المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب

الأخـــلاق في شعـر حـــافظ إبـراهيم

دراسة موضوعية وفنية

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب

إعداد الطالبة
فوزية بنت عبد الله بن عايض المنتشري الشمراني
الرقم الجامعي42580273

إشراف الدكتور/ حبيب حنش الزهراني

1430هـ-1431هـ

2009م –2010م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد :

يعد العلم بالآداب والأخلاق الإنسانية أهم ما عني به الإنسان عبر التاريخ ، وقد قام العلماء والفلاسفة بدراستها على مر العصـــور ، فسقراط أبو الفلاسفة – مثلا – قام بدراستها من منظور عقلي كعادته ، أما أبو حامد الغزالي ، الفيلسوف المسلم ، فقد تناولها من منظور إسلامي ذي صبغة صوفية ، وأما أنا في بحثي المتواضع فسوف أتناولها من خلال فن من أرقى الفنون وأكثرها انتشاراً بين الناس وهو الشعـــر .

فالشعر كغيره من أنواع الفنون سلاح ذو حدين ، بإمكان الشاعر أن يستخدمه من أجل أغراض سامية وأهداف نبيلة ، وبإمكانه أن يجعل منه آفة لنشر الفساد في المجتمع . وقد كان الشاعر المصري ح افظ إبراهيم من أهم شعراء المدرسة التقليدية المحافظة الذين تحدثوا عن الأخلاق في شعرهم ، وإن جاء ذلك في شعره على شكل أبيات تتخلل في أثناء قصائده ، إلا أنه كثير جـــداً .

و لم أكن أتوقع وأنا في السنة الأولى من مرحلة الماجستير بأني سأختار أحـــد شعـــراء الاتجاه المح افظ في العصر الحديث ليكون موضوع بحثي ، غير أن مرشـــدي الفاضل الأستاذ الدكتور / مصطفى عناية ، اختار أن يكون موضوع بحثي " الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم " وقد أدركت صواب اختيار أستاذي ومدى بعد نظره بمجرد ما بدأت اقرأ حول الموضوع ، فقد وجدت انه يجمع ما بين فلسفة الأخلاق وفن الشعر ، وهو بذلك يفتح أفاقاً واسعة وجديدة أمام الباحث ، لـــذا فأنا شاكرة لأستاذي اختياره الصائب ، فضلاً عن مجهوده الكبير معي .

ولقد استمد هذا الموضوع أهميته من أن حافظ إبراهيم – فيما يبدو لي – أهم شاعر في العصر الحديث تناول في شعره مشكلات المجتمع وأخلاقه وقيمه ، وذلك مثل الحث على التكافل والشجاعة وقوة العزيمة والصبر والوفاء وتقوى الله والعـــدل والتواضع والمروءة والرحمة وغير ذلك من فضائل الأخلاق ، كما انه – أيضا – حارب الظلم والتواكل والغـــدر والكذب والبخل وغيرها من المفاسد الخلقية التي أخذت بالانتشار في المجتمع المصـــري ، كما أن حافظ إبراهيم تميز بحسه الإنساني العالي وحبه لمشاركة الشعب في أفراحه وأحزانه ومعاناته من خلال شعره .

كما أن الموضوع يستمد أهميته – أيضا – من قلة البحوث العلمية التي تناولت الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم . فلقد بحثت كثيراً و لم اعثر على أي دراسة عن الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم على الرغم من كثرة هذا اللون من الشعر في ديوانه ، وتصويره لكثير من شئون مجتمعه وقضايا عصره . لهـــذا كله اقتنعت أن هذا الموضوع جدير بالدراسة والبحث .

يقوم صلب هذا البحث على جل الفضائل التي تحدث عنها حافظ في ديوانه بالدراسة والبحث ، إضافة إلى الرذائل التي حاربها في شعره وسأتبع في دراستي هذه المنهج الوصفي التحليلي .

كما أن طبيعة هذا البحث الأدبي اقتضت أن تقوم على الدراسة الموضوعية للأبيات التي تحدث فيها حافظ عن الأخلاق ، وسأتبع فيه المنهج الوصفي التحليلي إن شاء الله ، في إطار دراسة انتقائية تدل دلالة صادقة على الفضائل الخلقية في شعر حافظ . معتمدتاً في دراستي على ديوان حافظ إبراهيم النسخة التي صححها وشرحها ورتبها كلٌ من أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الابياري ، الطبعة السابعة المطبوعة بالمطبعة الأميرية بالقاهرة سنة 1955م وتتميز هذه النسخة بأنها محققة من قبل أساتذة أفاضل ومعروفين بالأمانة العلمية فكل معلوماتها صحيحة ودقيقة كما أني اعتمدت على نسخة أخرى من ديوان حافظ إبراهيم وهي طبعة خاصة بمناسبة احتفال المجلس الأعلى للثقافة بالذكرى الخامسة والسبعين لرحيل حافظ وشوقي في المبحثين الأخيرين (الموسيقى واللغة) بشكل كلي وذلك لأن هذه النسخة لم تصلني إلا بعد أن أنهيت مبحث الصور الفنية . كما أن دراسة الموسيقى تحتاج إحصائية دقيقة للبحور الشعرية التي نظم عليها حافظ وكان لابد أن تدخل القصائد التي لم تنشر ضمن هذه الإحصائية ولا سيما أن دراستي دارسة حديثة ومتزامنة مع نزول النسخة الجديدة من الديوان أما الفصل الأول فقد اكتفيت بان أضيف له بعض الأبيات التي تحدث فيها حافظ عن الأخلاق من القصائد التي لم تنشر لأني وجدت فيها شيئاً مختلفاً عما سبق ذكره وكل ما يميز هذه النسخة من الديوان هو احتواؤها على هذه القصائد التي لم تنشر من قبل .

وقفت طويلاً مع شعر حافظ وبعد جمع مادة الموضوع منه وتأملها ملياً ظهر لي أن خطة البحث يجب أن تكون على النحو التالي : –

المقدمة :

وتتناول أهمية البحث ودوافع الكتابة فيه وخطة البحث ومنهجه .

التمهيد :

يتناول سيرة حافظ إبراهيم و مفهوم الأخلاق ومضامينها في الشعر .

المبحث الأول : الفضائل .

- التكافل
- الشجاعة
- الوفاء
- الصبر
- قوة العزيمة
- العدل
- التقوى
- الإخاء
- الكرم
- الإباء
- التواضع
- الرحمة
- المروءة
- الصدق
- الأمانة
- ألوان أخرى

المبحث الثاني : الرذائل

- الظلم .
- التواكل .
- الغدر .
- الكذب
- البخل
- ألوان أخرى

الفصل الثاني : الدراسة الفنية

المبحث الأول : الصورة .

- مفهوم الصورة الفنية ووظائفها .
- الصور الفنية في شعر حافظ
- الاستعارة
- الاستعارة التصريحية
- الاستعارة المكنية
- التشبيه
- التشبيه المرسل
- الشبيه الضمني
- التشبيه البليغ
- المجاز

- المجاز المرسل
- الكناية
- الكناية عن الصفة
- الكناية عن الموصوف
-المبحث الثاني : الموسيقى
أولا :الموسيقى الخارجية
- الأوزان
- القوافي
- قواف مطلقة
- قواف مقيدة
- عيوب القافية
- الإيطاء
- سناد التوجيه
- الإقواء
ثانياً : الموسيقى الداخلية
- التصريع
- رد الأعجاز على الصدور
- الجناس
- الطباق
المبحث الثالث : (اللغة)
- الأفكار والمعاني
- المعجم الشعري
- الظواهر اللغوية
- الأساليب البديعية
- الاقتباس
- التضمين
- المبالغة
- المقابلة
- التقسيم
- الترصيع
- التكرار
- تقليد القدماء
- الفكاهة والصور الكاريكاتورية
- الأساليب الإنشائية
- الاستفهام
- الأمر
- النهي
- النداء
- التمني

- **الخاتمة**
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

- من أبرز الصعوبات التي واجهت بحثي هي : كثرة المراجع التي تناولت حافظ إبراهيم بالدراسة ولكن لم يعد طبعها وبالتالي لم تعد موجودة في الأسواق وعدم احتواء ديوان حافظ إ براهيم في جميع نسخه على تصنيف لبحور الشعر التي نظم عليها حافظ . لذلك اعتذر من أي تقصير أو خطأ وقعت فيه

كما أني أشكر الجامعة جزيل الشكر على ما قدمته لي من تسهيلات في سبيل انجاز بحثي وشكر خاص لأساتذتي الأفاضل الذين لم يبخلوا عليّ بإر شاداتهم وتوجيهاتهم ومساعداتهم الأستاذ الدكتور / مصطفى حسين عناية ، والدكتور / حبيب حنش الزهراني .

التمهـــيد

حافظ إبراهيـــــم

ولادته ونشأته:

ذكـــر في مقدمة الديوان أن ولادة محمد حافظ كانت في ذهبية بالنيل ، بالقرب من قناطر (ديروط) بالصعيد ، أبوه إبراهيم فهمي مصري صميم يعمل مهندساً في ديروط وأمه هانم بنت أحمد البورصه لي من أسرة تركية الأصل . و لم يعرف تاريخ ميلاد حافظ على وجه الحقيقة ؛ لكن قدر ميلاده بأنه في 4 فبراير سنة 1872م وهذا التاريخ على وجه التقريب لا التأكيـــد .

عاش حافظ حياة اليتم والحرمـــان حيث فقد أباه وهو في سن الرابعة، فانتقل مع أمه للعيش في بيت خاله في القاهرة، وهناك التحق بعدد من المدارس كان آخرها المدرسة الخديوية ولكنه لم يطيل المقام فيها؛ لأن خاله انتقل إلى طنطا وانتقل حافظ وأمه معه ، وفي طنطا ظل حافظ شاباً عاطلاً ؛ بلا مدرسة ولا عمل؛ مما دعا خاله إلى أن يشعره بأنه أصبح عبئاً عليه، فتوجه حافظ للعمل في المحاماة ، وتنقل بين عدد من مكاتب المحامين، ثم تركها والتحق بالمدرسة الحربية، وتخرج منها برتبة ملازم أول ، وعين في الحربية، ثم نقل إلى الداخلية ملاحظ (بوليس) في بني سويف ، ثم الإبراهيمية ، ثم أعيد للحربية، وسافر منها إلى السودان حيث لم يطق حافظ جو السودان ولا جفاء العيش فيها ؛ فتبرم وأكثر من الشكوى، حتى حدثت ثورة السودان عام 1899م واتهم فيها ثمانية عشر ضابطاً ، كان من بينهم حافظ فحوكموا وأحيلوا إلى الاستيداع ، ثم التمس حافظ إحالته إلى المعاش فأجيب طلبه، ثم سعى له أحدهم للعمل في جريدة الأهرام، إلا أن ذلك لم يتم لأسباب مجهولة، وظل حافظ بلا عمل ملازماً للإمام محمد عبده (1266-1323هـــ)، ويغشى مجالس الأدباء والعظماء يسمع منهم، ويغني لهم بشعره وأدبه، إلى أن ساعده أحمد حشمت باشا [1] سنة 1911م وعينه رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية، وظل بها حتى فبراير سنة 1932م، إذ أحيل إلى المعاش بعد أن ظل بها نحو عشرين سنة، وفي بيت صغير بالزيتون من ضواحي القاهرة ، توفى حافظ في الساعة الخامسة من صباح الخميس 21 يوليه 1932م أي بعد إحالته على المعاش بنحو أربعة أشهر ونصف [2].

---

(1) أحمد حشمت : 1858- 1926م - كان وزير المعارف في تلك الفترة تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية في الحكومة المصرية - وآخر منصب تولاه نظارته للمعارف العمومية . هامش الديوان 127/1 وسوف يكون هامش الديوان هو مرجعي الوحيد في الترجمة للشخصيات التي تحدث عنها حافظ لأن الترجمة الموجودة في هامش الديوان – في رأي- موجزة ووافية بالتعريف الموجز ، وكتبها علماء موثوق بهم ، كما أنهم مصريين وقريبين من الشاعر وعصـــره .

(2) أنظر:مقدمة ديوان حافظ إبراهيم ضبطه وصححه وشرحه ورتبه : أحمد أمين / أحمد الزين / إبراهيم الابياري – ط7 – 1955م – المطبعة الأميرية – القاهرة (بتصرف) .

صفاته:

وصف حافظ بأنه " كان أسمراً طويلاً ، عريض المنكبين ، مفتول الساعدين ، مستحكم الخلقة والتركيب ، سمحاً بسيطاً إلى أبعـــد الحدود ، محباً للناس راغباً في صحبتهم والتحدث إليهم دونما حرج أو كلفة " [1].

ومن أهم الصفات التي تميز بها حافظ الكرم فقد كان كريماً جواداً وفي ذلك ذكر له العديد من القصص منها أنه ذات يوم مرّ به سائل سأله من مال الله فوهب له جنيهاً ذهبياً ، وما أبقى لنفسه إلا قروشاً معدودة هي أجرة العربة التي تقله إلى منزله [2].

وفي إحـــدى المقاهي رأى المازني (1889-1949م) من حافظ إبراهيم ما أدهشه، فقد حضر أحدهم وأسر إلى حافظ بكلمة ، فقام حافظ من محله وانتحى به جانباً وأخرج له حافظة نقوده وسلمها له، وعاد إلى مجلسه ففتحها الرجل وأخذ من الجنيهات الذهبية ما شاءت له نفسه أن تأخذ ، ثم أعادها إلى حافظ، فتركها حافظ على سراقه مدة ثم أعادها إلى جيبه من غير أن ينظر فيها [3]. وغير ذلك من القصص التي تشهد بكـــرم حافظ الفياض والشهامة والرجولة التي كان يتمتع بهـــا .

كما كان حاضر النكتة خفيف الظـــل محباً للفكاهة والدعابة فقد " سمع يوماً خليل مطـــران (1872م – 1949م) يشرح للناس سبب التشويه في أنفه ، وأن هذا يرجع إلى أيام صباه ، يوم كان فارساً لا يشق غباره ، ما حمل حافظاً على التعليق قائلاً : وأخوك جورج ما باله ؟ أكان على ظهر حمار وراءك فجمح به الحمار؟!"[4]

كما عرف حافظ بسرعة الحفظ وقوة الذاكرة فقد " كان يسمع الفقيه في بيت خاله يقرأ سورة الكهف أو سورة مريم أو سورة طـــه ، فيحفظ ما يقول ويؤديه كما سمعه بالقراءة التي قرأ بها الفقيه " [5].

وقد اجتمعت فيه الصراحة والخوف حيث كان من أكثر الناس " وأعظمهم قسطاً من الصـــراحة ما وسعته الصـــراحة ، فإن ضاقت به فالخوف الصريح ، والإشفاق الذي لا غبـــار عليه " [6].

---

(١)حافظ إبراهيم حياته وشعره - د. يحي شامي- ص17-ط1 – 1995م – دار الفكر العربي – بيروت .

(٢)المرجع السابق- ص18 .

(٣) بؤس حافظ بين الحقيقة والوهم – أحمد محمد علي-ص99- فصول – المجلد الثالث – العدد الثاني – يناير –فبراير – مارس - 1983م .

(٤)حافظ حياته وشعره – د / يحي شامي ص19 .

(٥)ليالي سطيح – حافظ إبراهيم ص53 – مع دراسة تاريخية تحليلية للعصر والكاتب بقلب عبدالرحمن صـــدقي – الدار القومية للطباعة والنشر – 1384هـ - 1964 م – القاهرة .

(٦)حافظ وشوقي - د. / طه حسين- ص 194- ط2 – 1953م – مطبعة دار الجهاد – القاهرة .

كان شبح الخوف مسيطراً على حافظ " وكان لسذاجته يرعبه الخوف من التوافه ، ويعتقد في أمور غريبة ، فقد ذكر بعض أصدقائه أنه كان يعتقد أن نفحة التفاح منوم ة ، فكان لهـــذا يكثر من شمه وأكله" [1].

" ومن أبرز صفات حافظ التردد وعدم الإدلاء برأي قاطع في أمر من الأمور ، وهذه الصفة وثيقة الصلة بصفة الخوف لأنه كان يشفق على نفسه من أن يغضب أصحاب اليمين إذا أيـــد أصحاب الشمال" [2].

كما كان لا يحفظ أسرار أصدقائه فكثيراً ما كان يفشى أسرارهم " فإذا لامه صديق على إفشاء سر أجابه قائلاً : ومن الذي حملك على قوله لي ؟ " [3].

كما عرف أيضاً بأنه رجل اجتماعي يحب الاختلاط بالناس على تباين طبقاتهم فقد كان يجالس الساسة والمثقفين من كبار الشخصيات المصـــرية وكانت صلته قوية جـــداً مع عدد كبير منهم إلا أنه لم ينسى أصـــدقائه البسطاء من الناس العاديين وهذا يـــدل على وفائه وإخلاصه لأصدقائه ونفسه البسيطة التي لا تعرف الغـــرور [4]كما كان سريع الغضب سريع الرضـــا ، يتحول في لحظات من الحـــال إلى نقيضها كما عرف بلسانه السليط فقد كان له هجاء يناول فيه خصومه وكل من يغضبه بقوارص الكلم [5].

---

(١)حافظ إبراهيم شاعر النيل - د/ عبدالحميد سند الجندي- ص 49 - ط4 – دار المعارف – القاهرة .

(٢) المرجع السابق - ص 55 .

(٣)المرجع السابق - ص 59 .

(٤)المرجع السابق - ص 61 (بتصرف) .

(٥)المرجع السابق - ص 53-59 .

مفهـــوم الأخـــلاق

الخلق في اللغة " السجية والطبع والمروءة والدين " [1].

وهذا يعني أن الأخلاق منها ما هو من أصل فطرة الإنسان ، ومنها ما هو مكتسب قد يكون مكتسب من البيئة والتربية ، أو من المرجعية الدينية للإنسان ، ويدل هذا — أيضاً — على اتساعها وتشابكها وتشابهها ، ولعل ذلك كان وراء اختلاف الناس — بل الأمم — في تحديدها ، وما يحمـــد منها وما يعـــاب . بيد أن الإسلام بشمـــوله وإنسانيته جعل الأخلاق ركناً للحيـــاة الإنسانية السوية ، ولـــذا قال سبحانه وتعالى مخاطباً الرسول الكريم صلى الله عليه وســـلم : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [2]

وقد فسر الدكتور محمد سليمان الأشقـــر هذه الآية بقوله " المعنى : أنك على الخلق الذي أمرك الله في القرآن " [3]. ثبت عن عائشة أنها سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن . [4]

فأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم هي كل ما جاء في القرآن ، وأخلاقنا نحن المسلمين مستمدة من القرآن والسنة النبوية المطهرة ، نأتمر بما أمرنا به ونبتعـــد عما نهانا عنه.

وقد عرف الإمام أبو حامد الغزالي (450-505 هـــ) الخلق بقوله " الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصـــدر الأفعال بسهـــولة ويسر من غير حاجة إلى فكـــر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً ، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصـــدر خلقاً سيئاً ".[5]

وقد تميز الغـــزالي بأنه ذو نزعة صوفية ، ويعتقـــد أن من الناس من يولد حسن الخلق بالفطـــرة كالأنبياء، ويرى أن الطريق إلى تربية الخلق هو التخلق وغاية الأخلاق عنده السعادة الأخروية [6]

---

[1] ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة - طاهر أحمد الزاوي (خلق) - ط1 - 1959م – مطبعة الرسالة – عابـــدين .

[2] القلم 4

[3] زبدة التفسير بهامش مصحف المدينة النبوية – ص564 – الطبعة الشرعية الوحيدة – دار النفائس – الاردن .

[4] الأدب المفرد – الإمام أبي عبدالله محمد البخاري – ص148 تحقيق د/ علي عبد الباسط مزير- علي عبد المقصود رضوان –ط1-1423هـــ -2003م مكتبة الخانجي – القاهرة

[5] إحياء علوم الدين - 39/3 – طبع بالمطبعة العامرية بمصر المحمدية – 1326 هـــ

[6] الأخلاق عند الغزالي – د/ زكي مبارك- ص 115- 116 – 122 - منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت .

كما عرف الدكتور مقداد يالجن الأخلاق الحسنة بقوله " الأخلاق الحسنة هي أنماط السلوك الحسن الخيــرّ والمعروف في الحياة، سواء كان هذا السلوك ظاهراً أو باطناً يصدر من الإنسان بإرادة ويهدف إلى تحقيق غاية"

و لم يقتصر الحديث عن الأخلاق الفاضلة والدعوة إليها على القرآن والسنة أو عل ى كتابات المفكرين والفلاسفة، بل أيضا الشعراء في مختلف العصور ، كانوا يدعون إلى الأخلاق الفاضلة في أشعارهم؛ فهذا زهير بن أبي سلمى في العصر الجاهلي يصف سيدي مر ة وعشيرتيهما بالكرم الفياض والعطاء الذي لا يعرف حدوداً [1]:

هـمُ خيرُ حيٍّ في معدٍّ علمتهم لهم نائلٌ في قومهم ولهم فضل [2]

وهذا يــدل على أن العرب في الجاهلية وقبل ظهور الإسلام كان لديهم أخلاق عــربية فاضلة يفخــرون بهــا ، فجاء الإسلام وأقــرها ولذلك يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "[3].

فالإســــــلام دين الأخلاق لأنه عبارة عن جملة من الأخلاق الكريمة الصالحة للتطبيق في كل مكان وزمان .

وبعد ظهور الإسلام نجد أنه اتسع مفهوم الأخلاق في الشعر العــربي ، لأن الإسلام أضاف إلى الأخلاق العربية الحميدة أخلاقاً إسلامية ، كما أنه حرّم بعض عادات وأخلاق العرب الفاسدة ، كما أن المسلمين أصبحوا يتمثلون هذه الأخلاق الكريمة من أجل إرضاء الله ، وليس من أجل التفاخر وكسب السمعة بين الناس ، وقد ظهر في صدر الإسلام ارتباط الناس والشعراء – أيضاً – بالأخلاق الإسلامية ، وتمثلوا قيمه الاجتماعية التي جاء بها ، تقول الدكتورة : وفاء فهمي السنديوني في هذا " وقد عبر الشعراء في صدر الإسلام عن ارتباط الأخلاق بالدين، وأكدوا أن تعاليم الإسلام تسمو بالنفس الإنسانية عن الدنية، وتحث المسلمين على عمل الخير ويبدو ذلك في قول أبي الأسود الدؤلي (..... 69 هــ) :

وإني لتثنيني عن الجهل والخنى وعن شتم ذي القربى خلائق أربع
حياءٌ وإسلامٌ وتقيــا وأننــي كريمٌ ومثلى قد يضرُّ وينفــــــع

فقد عرض أبو الأسود الدؤلي لنوازع النفس الإنسانية ، وأنها قادرة على الخير والشر والنفع والضر ،

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة الإمام أبي العباس ثعلب أحمد بن يحي بن زيد الشيباني – ص109– مطبعة دار الكتب المصرية – 1363هـ - 1944م – القاهرة .

(٢) نائل : العطاء . هامش الديوان ص109.

(٣) السنن الكبرى – الإمام أبو بكر أحمد بن حسين علي البيهقي– 192/10– في ذيله الجوهر النقي للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني – دار الفكـــــر .

وإنما الذي يوجهها إلى الخير وإلى الخلق القويم هو إتباع الإسلام، والالتزام بالتقوى"[1].

وهذا الفرزدق (38-110هـ) في العصر الأموي يمدح أحد الولاة بأنه عادل لأنه يتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم[2] :

كم حلّ عنّا عدلُ سرتِهِ من مغرمٍ ثقلٍ ، ومن إصـرِ

هذا - أيضاً – أبو العتاهية (130-210هـ) في العصـر العباسي يحث على الانفاق في سبيل الله ومساعدة الآخرين والتواضع [3]:

وإذا اتسعت بررق ربكِّ فاجعلـن منه الأجلَّ لأوجهِ الصدقـاتِ
في الأقربينَ وفي الأباعـد تـارةً إن الزّكاة قرينةُ الصلـواتِ
وارع الجوارَ لأهلـهِ متبـرِّعـاً بقضاءِ ما طلبوا من الحاجـاتِ
واخفض جناحك إن رزقت تسلطُّاً وارغب بنفسك عن هنٍ وهناتِ

ونجد ابن دراج القسطلي [4] في الأندلس يهنئ أحد الملوك بفتوحاته وواصفاً إياه بقوة العزيمة والشجاعة في الحرب والجهاد في سبيل الله[5]:

بعزائمٍ في الرَّوع قحطانيـة تركت ديار الشرِّك قاعا فدفدا
جرَّدت للإسلامِ فيه صارماً عوَّدته ضرب الطُّلى فتعـودا
وسللتـهُ للهِ فيهـا سلةً منعت صليباً بعدها أن يعبـدا

ولا يكاد ينقطع الشعر عن الأخلاق في العصور الإسلامية المتأخرة ، فهذا صفي الدين الحلي[6] يصف أحـد السلاطين بصدق الوعد والوفاء [7]:

هو صادقُ الوعدِ الذي لوفائهِ نستشهـدُ الآيات والنتّيلا

---

(١)شعراء صدر الإسلام وتمثلهم للقيم الاجتماعية- د/ وفاء فهمي السنديوني - ص 298 – ط2- 1995م - كمبيوجرافك أرت سنتر للجمع التصويري والطباعة المتميزة - القاهرة .

(٢)ديوان الفرزدق 293/1 – قدم له وشرحه مجيد طراد - 1427 هـ - 2006م – دار الكتاب العربي – بيروت.

(٣)أبو العتاهية أشعاره وأخباره- ص 59-60 – طبعة محققة على مخطوطتين ونصوص لم تنشر من قبل – عني بتحقيقها د.شكري فيصل – مطبعة جامعة دمشق – 1384هـ - 1965م – دمشق

(٤) ابن دراج القسطلي : (347- 421هـ) هو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي القسطلي كان كاتب المنصور ابن أبي عامر وشاعره . مقدمة الديوان 5.

(٥) ديوان ابن دراج القسطلي- ص 454- حققه وعلقه عليه وقدم له د/ محمود علي مكي - ط1 - منشورات المكتب الإسلامي – دمشق .

(٦) صفي الدين الحلي " (677-752هـ) هو أبو المحاسن عبدالعزيز بن سرايا الطائي السنبسي ولد في الحلة في العراق ، ومات في بغـداد ، وكان شيعيا قحاً . مقدمة الديوان 5 .

(٧) ديوان صفي الدين الحلي- ص 582 – دار بيروت للطباعة والنشر – 1403 هـ -1983 م – بيروت .

وبذلك نجد أن الأخلاق بعد ظهور الإسلام أصبحت ذات مرجعية دينية مستمدة من القرآن والسنة ويقصد بها رضا الخالق .وأن الحديث عن الفضائل الخلقية في الشعر العربي موجو د في جميع العصور، ولكنه في العصر الإسلامي وما بعـــده قد ارتبط بالدين ارتباطاً وثيقاً وكذلك هو - أيضاً-في العصر الحديث، وخاصة مع دخول مظاهر الحضارة والترف الغربية إلى الدول العربية من جراء الاستعمار وما جلبه معه من عادات مختلفة عن العادات العربية وعن طبيعة الحياة في الشرق ، لذلك احتاج الشعراء إلى ذكر الفضائل الخلقية الإسلامية في أشعارهم للتذكير بها والدعوة إليها ، وقد كان الشاعر المصري حافظ إبراهيم من أبرز الشعراء الذين تحدثوا عن الأخلاق في أشعارهم ، وقد أشار إلى ذلك العـــديد من معاصريه، وخاصة الشعراء الذين رثوه، ومن أهمهم أحمد شوقي (1868-1932م) الذي قال في رثائه[1] :

قد كنت أوثر أن تقـــــول رثائي ... يا منصـــفَ الموتى من الأحياءِ
ألحقُّ نادي فاستجبت ، و لم تـزل ... بالحقِّ تحفلُ عند كـــلِّ نـــداءِ
وأخذتِ قسطاً من مناحـــــةِ ماجدٍ ... جمّ المآثرِ ، طيّبِ الأنبـــاءِ
ياحافظ الفصحى ، وحارس مجدها ... وإمام من نجلت من البلغـــاءِ
مازلت تهتف بالقديم وفضـــــله ... حتى حميت أمانةَ القدمـــــاءِ
رتبُ الشجاعةِ في الرّجالِ جـــلائلٌ ... وأجلُّهنَّ شجـــــــاعةُ الآراءِ

ونظراً لاهتمام حافظ إبراهيم بالأخلاق في شعره فقد استحقت أن تخص بالدراسة .

---

(١) ديوان أحمد شوقي 195/3 - 1999 - 200 – مداخله وتحقيق د / إميل أ . كبا – ط1 – 1415 هـ - 1995م- دار الجيل - بيروت .

الفصـــل الأول

الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم

دراســة موضوعيـــة

المبحث الأول

الفضـائل

الفضـــــائل

الفضل في اللغة : " ابتداءُ إحسانٍ بلا علةٍ "[1] .وه‍و" ضدُّ النقص، والفضيلةُ : الدرجة الرَّفيعةُ في الفضَلْ . والاسمُ الفاضلةُ . وفضله تفضيلا : مزَّاهُ "[2] وقد قال تعالى :﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[3] أي أن الله فضلهم بالتميز .

الفضيلة " سعي ناشئ عن إرادة حرة، ونية خالصة لله عز وجل ، وجهته وقصـــده مصالح الآخرين دون انتظار لجزاء من أحد سوى الله عز وجل" [4].

.بمعنى أن الفضيلة هي الأخلاق والعادات الحميدة والأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان تجاه الآخرين دون أن يقصـــد من وراء ذلك غاية دنيوية .

الفضيلة هي محور حديثنا في هذا المبحث حيث سأتناول جل الفضائل التي وردت في شعر حافظ إبراهيم بالدراسة والتحليل ، فبعـــد أن أذكر تعريفاً - راجحاً في ظني – لهذه الفضيلة أو تلك يساعد على إدراكها وتصورها ، سوف أذكر أمثلة عليها من شعر حافظ إبراهيم مع التعليق على هذه الأبيات المختارة ، وسأختم حديثي عن كل فضيلة بذكر رأي الخاص في رؤية حافظ لهذه الفضيلة ، وطريقة تناوله لها وسأذكر تناقضاته وسقطاته التي ظهرت لي في بعض منها ، كما أني سأرتب هذه الفضائل حسب الأكثر وروداً في الديوان . وسيكون التكافل أول هذه الفضائل التي سأتناولها في هذا المبحث .

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف – محمد عبدالروؤف المناوي (الفضل) تحقيق د/ محمد رضوان الداية – ط1 – 1410 هـ - 1990م – دار الفكر المعاصر - بيروت – دار الفكر – دمشق .

(٢) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة – طاهر أحمد الزاوي (فضل) – ط3 – دار الفكر

(3) الإسراء :0 7

(٤) الفضائل الخلقية في الإسلام – د/أحمد بن عبدالرحمن إبراهيم - ص60-61-ط1 – 1409 هـ 1989م – دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة .

التكـــــافـــــل

التكافل في اللغة : مشتق من (كفل) ، ويدل على تضمُّن الشيِّء للشيء. والكفيل : هو الضامن ، تقول كَفَلَ به يكفلُ كَفالةً والكافل : الذي يكفـــل إنساناً يعوله[1].

" وكلمـــة التكافل تعني التضامن ، أي أن يضمن كل فرد قادر فرداً آخر بحيث يعم ذلك الجميع ، فيشكلون بهذا التآزر والتمازج أمة متماسكة يشـــد بعضها أزر بعض "[2] .

كثيراً ما دعا حافظ إبراهيم في شعره إلى التكافل ولاسيما في عصر الاحتلال الذي كانت فيه الأمة العربية والإسلامية في أمس الحاجة إليه ، ولذا يتحدث عن الشخصيات السياسية والدينية التي كانت تقوم به وتعمل على نشره بين الناس ، ومن هذه الشخصيات الإمام محمد عبده (1266هـــ - 1323هـــ) ، الذي تحدث حافظ –كثيراً– عن مساعدته للفقراء والمحتاجين ، وقد أشار إلى أن الفقراء يتجهون لبيته ويشدون الرحـــال إليه ، كما تشد الرحـــال لبيت الله الحرام ، ولذا قال [3]:

حللتُ داراً بها تتلى مناقبـــه ببابها ازدحمت للبأسِ آمـــالُ

لي كل حولٍ بيت الجاه منتجعٌ كما تشدُّ لبيتِ اللهِ أرحـــــالُ

لقد كان الإمام محمد عبده محط آمال الناس وخاصة الفقراء والمحتاجين .

وفي أثناء حديث حافظ عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سرد لنا أروع قصة للتكافل في الإسلام ، إذ قد روى أن عمر كان يتفقد أحوال رعيته ليلاً فرأى امرأة توقد ناراً على حصى وماء ، كي تشغل أطفالها عن طلب الطعام إلى أن يناموا ، فما كان من عمر إلا أن حمل إليها الدقيق من بيت مال المسلمين وجلس يشعل النار ويصنع لها ولأبنائها الطعام و لم يتركهم حتى أكلوا و ناموا [4]:

ومن رآه أمام القدر منبطحـــاً والنارُ تأخـــذُ منه وهو يُذكيها

وقد تخلَّلَ في اثناءِ لحيتـــــــه منها الدُّخانُ وفوه غابَ في فيها

رأى هناك أميرَ المؤمنين على حالٍ تروعُ – لعمرُ الله - رائيها

وقد غدت هذه القصة نموذجا يحتذي به في التكافل على مـــر التاريخ .

---

(١)معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين بن فارس (كفل) اعتنى به . د/ محمد عوض و فاطمة محمد أصلان – ط1 – 1422 هـــ - 2001م دار احياء التراث – بيروت .

(٢)معاني الأخوة في الإسلام ومقاصـــدها - د / محمود محمد بابللي- ص 071

(٣)ديوان حافظ ابراهيم : 4/1

(٤)المرجع السابق: 53/1

ونراه مرةً يشير إلى أحـــد الشعراء وإلى مساعدته للفقراء والمحتاجين [1]:

أقام لديننا أهلوك ركـــــــناً له نسبٌ إلى ركن الحطيـم

فما طاف العفاةُ به وعــادوا بغير المسجـــديَّ واللّطـــيم

فالشاعر وأهله أصحاب نجدة ومساعدة فما جاءهم مستغيث إلا وعاد محمـــلاً بالعطايا والهبات .

والوزير أحمد حشمت (1858- 1926م) من الشخصيات التي تحدث حافظ عن مساعدتهم للمحتاجين وحبهم للتكافل[2]:

وألثم كفَّ كريمِ الجـــدود غياث العفاة مزيل الكُرَب

فالوزير من أسرة كريمة تمد يد العـــون للمحتاجين وتساعد في حل مشكلات المكروبين .

وقد أشاد بجميع من حمل حساً إنسانياً عالياً ، وتبرع من أجل إعادة إعمار " مسينا " وهي مدينة إيطالية منكوبة، وقع فيها زلزال وخلف الكثير من الأضرار [3]:

وسلام على امرئ جاد بالـدمـــ ع وثنى بالأصفـــــــر الرنانِ !

ذاك حقُّ الإنسان عند بني الإنـــ ـــسان لم أدعكم إلى إحسانِ

ويحث حافظ الناس على البـــذل والمساعدة بالمال عن رغبة وليس عن خوف [4]:

إن كنتم تبذلون المال عن رهبٍ فنحن ندعوكم للبذلِ عن رغبِ

وهو يطلب من الناس المساعدة بالمال من أجل بناء جامعة على الطراز الأوربي ، لأن الجامعة سبب في تقدم الأمة وازدياد نصيبها من التعليم ، كما يدعو إلى التسابق في عمل الخير لوجه الله وعدم انتظار أجر مادي [5]:

جاءت تسابق في المبرة بعضهـــــا بعضاً لوجـــه الله لا للمالِ

وعجـــزت عن شكر الذين تجرَّدُوا للباقياتِ وصالحِ الأعمـــالِ

فتسابقوا الخيراتِ فهي أمامكـــــم ميدانُ سبقٍ للجـــواد الرالّ [6]

وهو يشير إلى أن الكثير من الناس نذروا حياتهم لعمل الخير واختاروا مهناً إنسانية فيها الكثير من الإحسان والتكافل .

---

(١)الديوان:116/1

(٢)المرجع السابق: 128/1

(٣)المرجع السابق: 169/1

(٤)المرجع السابق : 205/1

(٥)المرجع السابق: 217/1 – 219

(٦)الرالّ : الكثير النائل وهو العطاء: **هامش الديوان219/1**

ثم نجد أن حافظ شديد الحب والتعلق بالصفات المحمودة ويظهر ذلك من خلال قوله [1]:

كلفٌ بمحمود الخلال متيَّمٌ بالبذلِ بين يديك والإنفاق

وهذه الصفات المحب لها والمتيم بها هي البذل والإنفاق .

وفي قصيدة (ملجأ رعاية الأيتام) ذكر حافظ أحد المواقف المؤثرة والمشرفة التي حدثت في القطار ، وكانت دليلاً على ثمرة التكافل ومساعدة الآخرين ؛ فقد سقط أحد ركاب القطار في النهر ، وكاد يغرق لولا أن رجلاً قفز من القطـــار لينقذه من الغرق ، وعندما عاد وهو يحمـــله هتفت إحدى الفتيات قائلة : تلك عقبى رعاية الأيتام ، وهي تقصد أن الغريق كان ممن يعملون بمبدأ التكافل ، ويكثرون من مساعدة الأيتام والمحتاجين فجزاه الله بأن هيأ له من ينقذه من الموت ، يقول حافظ [2]:

غابَ فيها وعادَ يحملُ جسماً سلمَّ من يد الهلاكِ اللزّامِ [3]

وقفت موقفَ الخطيبِ ونادت تلك عقبى رعايةِ الأيتـــامِ

وأقاموا للبرِّ داراً فكـــــانت خيرَ وردٍ يؤمُّه كلُّ ظامي

قد نجا المنعم الجواد من المو ت بفضل الزكاة والإنعام

ففي هذا الموقف تأكيد على أن من يقيل عثرات الآخرين يقيله الله من عثرات الدنيا والآخـــرة .

ويشارك في الدعوة إلى الحفـــل الذي أقامه أحد الوجهاء ، من أجل أن يذهب ريعه لمساعدة أسر الممثلين الذين توفوا أو أقعدتهم الشيخوخة عن العمل [4]:

بأنّ هـــــــذا عمـــلٌ صالحٌ قامَ به هذا الفتى القدسي

فاكتسبوا الأجـــر ولا تبتغوا شراءه بالثّمنِ البخـــسِ

وهذا يعـــد من التكافل الاجتماعي الذي أمر به الإسلام وحافظ يحث الناس على دفع المال للدخول إلى الحفل وكسب الأجر عند الله .

كما أنه يدعو الناس إلى كسب رضـــا الله وثوابه من خلال مساعدة الآخرين [5]:

أقـــرضوا الله يضاعف أجركم إن خيرَ الأجرِ أجرٌ مدخرْ

---

(١) الديوان :219/1

(٢) المرجع السابق: 225/1 – 226 – 227

(٣) الزام : اللازم :هامش الديوان225/1

(٤) الديوان: 234/1

(٥) المرجع السابق: 238/1

فهو يذكرهم أن خير الأجـــر ما أدخر في الآخرة لأن الإنسان يكون في أمس الحاجة إلى الحسنات في ذلك اليوم .

ويشير إلى رجال الجمعية الخيرية الإسلامية، وأنهم قد ادخروا جزاء صنيعهم عند الله سبحانه وتعالى، ولا يبغون به جزاء في الدنيا، فكم من أسرة ضاق بها الحال وأعياها السؤال فكانوا هم من يمد لها يد العون ويبذلون لها المعروف ويقدمون لها المساعدة في الخفاء[1]:

مهدوا لأنفسهم بما ... صنعوه زلفى واحتسابْ
كم أسرةٍ ضاق الرَّ جا ... ءُ بها وأعياها الطلابْ
دقُّ وا عليها بابها ... والليلُ مسدولُ الرِّقابْ
وتعاهدوها مثلما ... يتعاهدُ النبتَ السَّحابْ
فتحوا المدارسَ حسبةً ... وتنظَّ روا حسنَ المآبْ
وغدوتُ إنساناً تـــــــجـــمـــــ ... ـــله الفضائلُ لا الثِّ يابْ
قد كان فيها (عبده) ... غوثاً يلبِّ ى من أهابْ
لم يدعُ مسماحاً إلى ... إنعاشها إلا أجابْ

كما أن رجال الجمعية فتحوا المدارس التي اهتمت بتعليم القرآن الكريم حتى تستنير العقول وتتجمل النفوس بالأخلاق الحسنة.

وقد كثرت وجوه التكافل في المجتمع حتى غدت عاطفة البر تتجول بين الناس كما يرى حافظ، وإن كان في هذا شيء من المبالغة[2]:

فكأنِّ أشيمُ عاطفةَ البرِّ عيـــــا ... نـــــاً تجولُ بين الجلوس

وهذه ظاهرة صحية في المجتمع لأن الدين الإسلامي يحث على ذلك.

ويرى أن كل من يساعد يتيماً ويحميه من التشرد ، يكفيه أن الله سيأجره على ذلك، ويدخر له الأجر في الآخرة عندما يكون في أمس الحاجة له[3]:

كلُّ من أحيا يتيماً ضائعاً ... حسبه من ربه أن يؤجرا
إنَّما تحمدُ ع قبى أمره ... من لأخراهُ بدنياهُ اشترى

---

(١)الديوان: 1/240-241.
(٢)المرجع السابق: 1/242.
(٣)المرجع السابق: 1/245.

وقد هيأ الله للفقراء والمساكين نساء يقفن إلى جانبهم ويساعدنهم من خلال الجمعية التي أسسنها ويقول فيهن[1]:

قيّضَ اللهُ للضعيفِ نفوساً ... تعشقُ البرَّ من ذواتِ الحجالِ
أيِّدوا كلَّ مجمع قام ... للبـــرِّ ... بجاهٍ يظلُّه أو بمالِ
فاصنعوا البرَّ منعمين وجدوا ... أيها القادرونَ قبل السؤالِ

فحافظ يدعو الناس وخاصة الأثرياء والقادرين مادياً إلى دعم الجمعيات الخيرية التي تقدم المساعدة للفقراء والمحتاجين.

ثم نجده يصف الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) بأنه رجل صالح يكفل الأيتام ويقوم على رعاية الأرامل ويقدم المساعدة لكل ذي حاجة[2]:

ملاذَ عياي ... لٍ، ثمالَ أراملٍ ... غياثَ ذوى عدمٍ إمامَ ه ... داة
ويا ويحَ للفتيا إذا قيلَ من لها ؟ ... ويا ويحَ للخيرات والصدقاتِ
بكينا على فردٍ وإنّ بكاءنا ... على أنفسٍ لله منقطعاتِ
تعهَّد ه ا فضلُ الإمامِ وحاطها ... بإحسانه والدهرُ غير مُواتى
مثابةَ أرزاقٍ، ومهبطَ حكمةٍ ... ومطلعَ أنوارٍ، وكنزَ عظاتِ

فبكاء القوم عليه يوم موته إنما كان أكثره بكاءً على أسرٍ كان يعولها ويحوطها بالرعاية والعناية، وموته يعني انقطاع تلك المساعدات عنها، وعدم إيجادها لمعين في الأوقات الحرجة.

ويصف- أيضاً- الدكتور شبلي شميل[3] بأنه كثير الإنفاق في السر والعلن[4]:

مفضلاً محسناً على العسرِ واليُســـــ ... ـــرِ جميعَ الفؤاد رحبَ الجنابِ

وبمثل ذلك يصف محمد سليمان أباظة[5] وأنه كثير الإنفاق والمساعدة لمن يحتاج إسداء المعروف[6]:

قد كان متلافاً لأمواله ... وكان نهاضاً بمن يعثر

---

(١) الديوان: 1/245-247.

(٢) المرجع السابق: 2/133-134

(٣) شبلي شميل : (1850-1917م) طبيب لبناني نزل بمصر، مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية العميقة. هامش الديوان: 2/162.

(٤) الديوان: 2/163.

(٥) محمد سليمان أباظة : 1872-1923م هو ابن سليمان أباظة باشا تولى عدة أعمال كان آخرها وكالته لمصلحة الأملاك. هامش الديوان: 2/195.

(٦) الديوان: 2/195.

أصيبَ فيه المجدُ يومَ انطوى والعرفُ والسائلُ والمعسر

وقد أشار إلى أن عبدالخالق ثروت[1] كان يفعل الخير ولا يريد عليه شكراً ولا جزاءً في الدنيا وإنما هو يدخره في الآخرة[2]:

يهدي السبيلَ لس الكيه، و لم يرد شكراً و لم يعمل لنيلِ ثوابِ
يرتاحُ للمعروفِ لا متربحاً فيه ولا هو في الجميل مرابي

كما وصف الشيخ محمود سليمان[3] بأنه كثير العطاء وأنه عندما يعطي لا يمن ولا يؤذي بذكر أعطياته وهباته فقد عاش مئة سنة كل سنة فيها تذكر ما قدمه خلالها من أعمال الخير والتكافل.فكم صفح عن مسيء وكم أعطى للفقراء والمحتاجين وكم ساعد أصحاب المحن والمصائب من الناس وكم سعى للإصلاح بين المتخاصمين[4]:

مُسدى الجميل بلا منٍّ يكدِّره ومكرمُ الضَّيف أمسى ضيفَ (رضوان)
قضيتها مائةً في كل واحدةٍ تُعدُّ زادك من برٍّ وإحسانِ
فكم صفحت عن الجاني و لم تره وكم غرست وكان المعوزُ الجاني
وكم أقلت كريماً عند عثرته وكم مشيت بصلحٍ بينَ إخوانِ
أنجبت أربعةً سادوا بأربعةٍ : فضلٍ ونبلٍ وإحسانٍ وعرفانِ

فقد أنجب الشيخ أربعة أبناء جميعهم ساروا على نهجه وعرفوا بأنهم أص حاب فضل وإحسان وأخلاق نبيلة.

هكذا تحدث حافظ عن فضيلة التكافل من خلال مدحه لبعض الشخصيات المعروفة في عصره، ومن خلال حديثه عن الجمعيات الخيرية ، التي كانت تأخذ على عاتقها إعانة الفقراء وتلبية حاجاتهم، ولكن كان بإمكان حافظ التحدث عن هذه الفضيلة بشكل أعمق، وخاصة في القصائد التي

---

(١)عبدالخالق ثروت: 1873-1928م من كبار رجال مصر في عصره تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية كان أول مصري يتولى النيابة العمومية؛ من سوّاس مصر المعترف بحذقهم. هامش الديوان: 209/2.

(٢) الديوان : 211/2.

(٣)محمود سليمان: كان عميد الأسرة السليمانية المعروفة بالصعيد؛ ومن كبار رجال النهضة الوطنية، وكان رئيساً للجنة الوفدية المركزية . هامش الديوان: 215/2

(٤)الديوان: 215/2-216.

أفردها للحديث عن الجمعيات الخيرية ، ففي قصيدة (ملجأ رعاية الأيتام) مثلاً أسهب في وصف القطار ، بينما جاء حديثه عن التكافل في أبيات معدودة من القصيدة ، وموضوع التكافل من المواضيع الإنسانية التي يجب أن تعالج بحس إنساني عالي ، بحيث يكون هو الموضوع الرئيسي الذي تدور في فلكه القصيدة ، دون أن تتطرق إلى أشياء أخرى بعيدة عنه.

وقد ذكر حافظ أبيات أخرى في التكافل غير الأمثلة السابقة ولكنها لا تحمل أي إضافة أو أي جديد لما سبق ذكره [1].

(١)للاستزادة الديوان :(1/10-12-23-45-203)، (2/66-159-171-184-221-224) قصائد لم تنشر : (261-268) – ديوان حافظ إبراهيم – تقديم فاروق شوشه – طبعة خاصة بمناسبة احتفال المجلس الأعلى للثقافة بالذكرى الخامسة والسبعين لرحيل حافظ وشوقي (1932-2007م) المجلس الأعلى للثقافة- 2007م- القاهرة.

الشجاعة

الشجاعة في اللغة: من شجع وهو لفظ يدل على الجرأة والإقدام، من ذلك الرَّجُل الشجاع، وهو المِقدام، وجمعه شَجْعٌ وشُجَعاء [1].

والشجاعة" ليست فقط قوة البدن، فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعته للقتال وعلى قوة القلب وخبرته به، والمحمود منها ما كان بعلم ومعرفة دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين المحمود والمذموم"[2].

يرى (مسكويه)(325-421هـ) أن من يباشر الحروب ويقدم على خوض الأهوال كي يصل إلى المال أو لخوفه من عقوبة السلطان، أو الخوف على سقوط جاهه ليس بشجاع، لأن الشجاعة الحقيقية تهدف إلى غاية نبيلة شريفة لطلب الفضيلة واختيار الموت الجميل على الحياة الرديئة[3].

الشجاعة من أهم الفضائل التي تحدث عنها حافظ إبراهيم في شعره وخاصة في العصر الذي عاش فيه، حيث كانت الأمة العربية تواجه ويلات الحرب والاستعمار فبرز منها الكثير من الشخصيات التي عرفت بالشجاعة ، ومن أهم هذه الشخصيات الإمام محمد عبده(1266-1323هـ) [4]:

فأنت لها إنْ قام في الشرْق مرجفٌ وأنت لها إن قامَ في الغرب مرجفُ

فالإمام رجل معروف بالشجاعة والقدرة على مواجهة الخصوم بالحجة القوية.

كما أشار حافظ إلى بعض الشخصيات الإسلامية التي لنا فيها أسوة حسنة في الشجاعة كخالد ابن الوليد رضي الله عنه[5]:

مـــــا واقعَ الرُّوم إلا فرَّ قارحها ولارمى الفرسَ إلا طاشَ راميها

ومن هذه الشخصيات الإسلامية – أيضاً- الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه[6]:

فأعجبْ لقوّةِ نفسٍ ليس يصرفها طعمُ المنيّةِ مراً عن مراميها

فالخليفة رجل عرف بالشجاعة والإقدام وعدم الخوف من الموت فلا شيء يثنيه عن أهدافه مهما كان.

---

(١)معجم مقاييس اللغة لابن فارس (شجع).

(٢)التدين والصحة النفسية د/صالح إبراهيم عبد اللطيف الصنيع- ص255- ط1- 1421هـ- 200م- أشرف على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض.

(٣)تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لأبي أحمد بن محمد الرازي (مسكوية)- ص 103-104 قدم له الشيخ حسن تميم – ط2- منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت (بتصرف).

(٤)الديوان: 11/1.

(٥)المرجع السابق: 46/1.

(٦)المرجع السابق: 52/1.

كما أن سعد زغلول[1]كان من أشد أبناء جيله شجاعة وقوة وأقدرهم على مواجهة الشدائد، فالشعب قد لمس فيه ذلك فطلب منه أن يتقدم ويتحدث مع المستعمرين باسمه، ويطالب بحريته وتحقيق مطالبه وقد قال عنه حافظ[2]:

إنّا رميناهم بندبٍ حولٍ عن قصد وادي النيل ليس يحولُ
بأشدِّنا بأساً وأقدمنا على خوض الشدائد والخطوبُ مثولُ
بفتى جميعِ القلب غيرِ مشتتٍ أن مالت الأهرامُ ليس يميلُ
فاوض فخلفك أمةٌ قد أقسمت ألا تنام وفي البلاد دخيلُ
عزلٌ ولكن في الجهاد ضراغمٌ لا الجيشُ يفزعها ولا الأسطولُ

فالشعب المصري على رغم من أنه شعب أعزل لا يملك السلاح إلا أنه شعب شجاع لا يخاف الجيوش الجرارة ولا الأساطيل.

و لم يكن الرجل المصري وحده من تحلى بهذه الشجاعة بل أن المرأة المصرية – أيضاً- أظهرت شجاعة نادرة في عام 1919م عندما احتدمت نار الثورة الوطنية فقد أخذت المرأة فيها بنصيب وافر من الجهاد، وأظهرت شجاعتها وصمودها في المظاهرة التي قامت بها السيدات ضد المحتلين، ووقفن فيها صفاً واحداً و لم يتفرقن، و لم يخفهنّ الجنود المدججون با لسلاح، المنتشرون في الطرقات وقد أشاد بهن حافظ قائلاً[3]:

وفي السَّنةِ السَّوداءِ كنتن قدوةً لنا حين سالَ الموتُ بالمهجاتِ
وقفتنَّ في وجه الخميسِ مدججاً وكنتنَّ بالإيمانِ معتصماتِ
وما هالكتن الرُّمحُ والسَّيفُ مصلتاً ولا المدفعُ الرَّشاشُ في الطُّرقاتِ
عرفنالها في مجدِ (سعدٍ) نصيبها من الحزمِ والإقدامِ في الأزماتِ
تهوِّنُ للشَّيخِ الجليلِ هجومه على الهول بالتشجيعِ والبسماتِ

---

(١)سعد زغلول : 1860-1927م. تولى التحرير في الوقائع ثم ألحق ببعض الأعمال الإدارية في الحكومة ففصل لاتهامه بالاشتراك في الثورة العرابية، فاشتغل بالمحاماة وكان أول محامي يتولى منصب القضاة، ثم تولى وزارة المعارف، ثم تولى وزارة الحقانية، وتولى زعامة النهضة الوطنية إلى أن توفي. هامش الديوان: 67/1.

(٢)الديوان: 68/1-69.

(٣)المرجع السابق: 88/1-89.

فالمرأة المصرية بشجاعتها وصبرها شجعت الرجل على المقاومة وبثت الشجاعة في قلب الشيخ الكبير فأصبح متحمساً للقتال.

كما يصف الشاميين المهاجرين بالشجاعة فهم لا يهابون الموت ولا فرق عندهم إن ماتوا في أعالي الجبال أو في البحار[1]:

ولا يبالونَ إن كانت قبـورهمُ ذرا الشوّامخ أو أجوافَ حيتان

كما لم تكن الشجاعة مقصورة على ميدان القتال أو مقاومة ظروف الحياة، بل – أيضاً- الجرأة في الكتابة وطرح المواضيع الحساسة تعد شجاعة، ومحمد المويلحي [2]من الكتاب الذين عرفوا بالشجاعة والجرأة في الطرح حيث يقول حافظ واصفاً قلمه[3]:

يختالُ ما بين السطور كضيغم يختالُ بين عواملٍ وشفلو

فقلم محمد المويلحي كان يعمل عمل السيوف والرماح بالأعداء.

كما وصف السلطان محمد الفاتح[4]بالشجاعة والحنكة لفتحه القسطنطينية وبمثله يذكر شجاعة السلطان عبد المجيد[5]عندما التجأ إليه أحد زعماء ثورة كان يقصد بها تحرير المجر، فطلبت النمسا وروسيا من الدولة العثمانية تسليمه فرفض ذلك السلطان عبد الحميد باعتبار أن هذا التسليم لا تقره شريعة[6]:

هنا – فاخفضوا الأبصارَ- عرشُ محمّدٍ هنا الفاتحُ الغازي الكمي ال مُ دربُ

يناديهمُ : أما نزلي فدونه حياتي، وأمّا صارمي فمشطَّبُ

ويصف عضوين من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي التركية وأحد القادة الأتراك بالشجاعة، فالهلاك إذا لقيهم يهرب خوفاً منهم ، أما إذا هم لقوه فإنهم يواجهونه بكل شجاعة فهم يصارعون الموت فتلقى مخالبهم مخالبه فتكل مخالبه وترتد خوفاً منهم[7]:

ثلاثةُ آسادٍ يجانبها الرَّدَى وإن هي لاقاها الرَّدى لا تجانبُهْ

---

(١)الديوان: 94/1.

(٢)محمد المويلحي: 1858-1930م تولى عدة مناصب حكومية واشترك في تحرير عدة صحف وكان صاحب صحيفة مصباح الشرق ومؤلف كتاب عيسى بن هشام. هامش الديوان: 102/1.

(٣)الديوان: 102/1.

(٤)السلطان محمد الفاتح: 833-886هـ. كان السلطان السابع من سلاطين آل عثمان. هامش الديوان: 12/2.

(٥)السلطان عبدالمجيد: 1237-1277هـ. هو السلطان الحادي والثلاثون من سلاطين آل عثمان. هامش الديوان: 12/2.

(٦)الديوان: 12/2-13.

(٧)المرجع السابق: 43/2.

يصارعها صرفُ المنونِ فتلتقى مخالبها فيه وتنبو مخالبُهْ
صوالجه سمرُ القنا وكراته رءوسُ الأعادى؛ والحصونُ ملاعبُهْ

وفي قصيدة أخرى يصف أحد الطيارين الأتراك بالشجاعة، فهو في المهمات لا يستشير إلا سلاحه الذي يبادر إلى استعماله، كما أنه يطرب للحرب، ويشتاق لها ويدخلها مقامراً بحياته لا فرق لديه إن كسبها أم خسرها[1]:

من كلِّ أروعَ فاتكٍ لا يستشير سوى الغرارْ (2)
ذي مرّةٍ تشجيه ذا تُ النَّقعِ لا ذاتُ الخمارْ
يغشى المعامعَ ضارباً بحياته ضربَ القمارْ
لا ينثنى أو تخرجَ الـــــــــــ ـــــأجرامُ عن فلكِ المدارْ

فهذا الطيار يتصف بالثبات والإقدام فهو لا يرجع عن غايته ولا ينثنى عنها إلا إن خرجت الكواكب عن أفلاكها.

كما وصف أبناء مصر بالشجاعة فهم لا يهابون الموت وعلى رغم من حداثة سنهم لم يبخلوا بشبابهم على وطنهم[3]:

أبناؤنا- وهم أحاديثُ النَّدى- ليسوا على أوطانهم بشحاحِ
من ذا يغيرُ على الأسود بغابها ؟ أو من يعومُ بم سبحِ التِّمساحِ؟

فأبناء مصر شجعان أقوياء لا أحد يجرؤ على الإغارة عليهم أو الاقتراب منهم.

ويشير إلى أن محمود سامي البارودي (1255-1322هـ) كان فارساً شجاعاً في الشعر وفي المعركة ، فهو أفضل من كان يكتب الشعر ، وأفضل من يحمل السلاح، ويظهر الشجاعة والإقدا م، فالأبطال يفرون من مواجهته فزعاً وخوفاً منه، لأنه الصنديد الذي لا يجرؤ أحد على منازلته[4]:

لبيكَ يا مؤنسَ الموتى وموحشنا يا فارسَ الشِّعرِ والهيجاءِ والجودِ
لبيكَ يا خيرَ من هزَّ اليراعَ، ومن هزَّ الحسامَ، ومن لبى، ومن نودِى

---

(١)الديوان: 71/2.

(٢)الغرار: حد السهم والرمح والسيف:هامش الديوان71/2

(٣)الديوان: 86/2-88.

(٤)المرجع السابق: 124/2-125-126.

كم وقفةٍ لك والأبطالُ طائرةٌ والحربُ تضربُ صنديداً بصنديدِ
نسخت (يوم كريدٍ) كلَّ ما نقلوا في يوم (ذي قارَ) عن (هاني بن مسعودِ) (1)
كأنّهم كلمٌ، والموتُ قافيةٌ يرمى به عربي غيرُ رعديدِ

فما أظهره البارودي في يوم كريد من شجاعة وإقدام، يفوق ما أظهره (هاني بن مسعود) في يوم ذي قار المشهور من شجاعة وبسالة.

وقد أشاد حافظ بشجاعة مصطفى كامل[2] في كثير من قصائده[3]:

واهاً على تلكَ المواقفِ إنَّها كانت مواقفَ ليثِ غابٍ ضاري

كما يقول[4]:

هنا الكمي؛ الذي شادت عزائمهُ لطالبِ الحقِّ ر كناً ليس ينهدمُ
قد كان لا وانياً يوماً ولا وكلاً [5] يستقبلُ الخطبَ بسَّاماً ويقتحمُ

فمصطفى كامل رجل شجاع يستقبل الخطوب والرزايا بابتسامة المقدام الباسل.

هكذا تحدث حافظ إبراهيم عن الشجاعة من خلال قصائد مدحه ورثائه وحديثه عن السياسة ، فقد مدح الكثير من الشخصيات المعاصرة بهذه الفضيلة، كما أنه ذكر شخصيات إسلامية كان لنا فيها أسوة حسنة في الشجاعة. و لم يقتصر مفهوم الشجاعة في شعره على الشجاعة في ميدان القتال، بل اتسع لديه مفهومها إلى مواجهة ظروف الحياة القاسية، والجرأة في الكتابة، وطرح القضايا الحساسة، والصبر على الرزايا والمحن؛ وهو بذلك يكون قد نظر لفضيلة الشجاعة من أكثر من زاوية، وخرج برؤى مختلفة ومتعددة.

---

(1) يوم كرير : في سنة 1866م انتفض أهل جزيرة كرير على الدولة العلية فأرسلت مصر جيشاً لمساعدتها على تأديبهم وكان البارودي "رئيس ياور حرب " . وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والجزم ما اطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به ، ،قد أبلى الجيش المصري في إخماد تلك الثورة البلاء الحسن حتى أخمدها ، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا ، وعدتها خمسة آلاف مقاتل هامش الديوان 126/2 .

(٢)مصطفى كا مل : 1874-1908م. كان من رجال السياسة وكانت باكورة أعماله كتابه الذي رفعه إلى رئيس مجلس النواب الفرنسي وكان زعيم النهضة الوطنية في مصر. هامش الديوان: 134/2.

(٣)الديوان: 141/2.

(٤)المرجع السابق: 145/2-148.

(٥)الوكل: العاجز الذي يكل أمره إلى غيره:هامش الديوان 148/2

اهتمام حافظ بالشجاعة وإشادته بها كثيراً في شعره يعود- في رأيي- إلى افتقاده لهذه الصفة فقد وصفه الأستاذ أحمد محفوظ وصفاً دقيقاً حين قال :" كان رعديداً يرعبه الخوف من التوافه، كأنه طفل صغير ملأت رأسه صور الغيلان والعفاريت من قصص العجائز في ليالي الشتاء المقرورة"[1].

كما أن الدكتور طه حسين ذكر قصة حدثت له مع حافظ، تدل على مدى خوفه وإشفاقه حيث قال:" لقيته مرة عند محمد محمود، فأنشدني شعراً له يمدحه به، ويثني فيه على مجهوده وبلائه في مفاوضة الإنجليز، وكنت أعرف منه هذا الضعف وأحب أن أداعبه، فقلت له -ومحمد محمود يسمع ومن حوله من الأحرار الدستوريين-:"ما أجمل هذا الشعر وأقواه!".

قال:" أتسمعون ؟ سجلوا عليه، فإنه خليق بعد ذلك أن ينقدني"؟

قلت:" أشهدوا على أني مستعد للثناء على حافظ في غير تحفظ إذا نشر هذا الشعر".

قال مقهقهاً:" انتقدني ما شئت في غير تحفظ، فلن أنشر هذا الشعر، لأني لا أريد أن أحال إلى المعاش الآن".

قلت:" فإني سأنشر فصلاً عنك كله ثناء، وسأستشهد ببعض هذا الشعر، وكنت قد حفظت منه شيئاً".

قال:" ولا هذا أيضاً، وقضى المجلس وقتاً طويلاً في الضحك من إشفاق حافظ"[2].

وبهذا نجد أن حافظ كان يدعو إلى خلق ويأتي بنقيضه.

وقد ذكر حافظ أبياتاً أخرى في الشجاعة ولكنها – كما رأيت- لم تحمل جديداً يذكر على ما سبق ذكره[3].

---

(١)حافظ إبراهيم شاعر النيل. د/ عبد الحميد سند الجندي- ص58.

(٢)حافظ وشوقي د / طه حسين- ص194-195.

(٣)للاستزادة انظر الديوان: (1/29-33-76-245)، (2/62-111-119-201-202-203- 219-220-226) قصائد لم تنشر (254).

الوفـــاء

الوفاء في اللغة: إتمام العَهْد وإكمال الشَّرط، وَوَفى: أوْفى، فهو وفيٌّ، ويقولون: أوفيْتَكَ الشَّيءَ إذا قضيْتَهُ إياهُ وافياً[1].

وهو "تنفيذ مشروط بين طرفين ملزم لمن أخذ العهد على نفسه، ويسمى في الشرع أيضاً ميثاق"[2].يقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[3].

ويرى الدكتور أحمد عبدالرحمن أنه يجب على الوفي أن يحاول إحباط البواعث التي تدفعه إلى تغير شيء في العهد، لأن ذلك يعد نكثاً للميثاق، فمع مرور الزمن قد تطرأ على الإنسان مؤثرات جديدة تعمل عملها على إرادته، ولكن الإنسان الوفي يبطل مفعولها ويثبت على موقفه وينفذ ما ألزم به نفسه[4].

وقد تحدث حافظ إبراهيم عن الوفاء في كثير من قصائده وأثبت هذه الصفة لبعض ممدوحيه، كما أثبتها لنفسه[5]:

إنّ نفسَ الإمامِ فوقَ مناهم ... ما تمنَّوا وإنّني غيرُ صابي

رغم ما يريده الأعداء إلا أن حافظاً باق على مودته ووفائه للإمام محمد عبده (1226-1323هـ).

و لم يتوقف وفاء حافظ عند الإمام محمد عبده(1226-1323هـ)، بل إنه تعداه إلى محاولة الوفاء للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولو من خلال الشعر[6]:

لاهمَّ ! هب لي بياناً أستعينُ به ... على قضاءِ حقوقٍ نامَ قاضيها

قد نازعتني نفسي أنْ أوفيهِّـــا ... وليس في طوقٍ مثلي أن يوفيهِّا

ولكن الشعر لا يستطيع أن يوفي الخليفة حقه لأن حق الخليفة أكبر بكثير من أن يوفيه الشعر.

ويشير إلى وفاء أبناء مصر لها، فهم لم يبخلوا عليها بأرواحهم بل أنهم قدموا شبابهم فداء لها[7]:

---

(١)معجم مقاييس اللغة لابن فارس (وفى).

(٢)الأخلاق في الشريعة الإسلامية د/ أحمد عليان- ص 231- ط1- 1420هـ- 2000م- دار النشر الدولي – الرياض.

(٣)آل عمران 187

(٤)الفضائل الخلقية في الإسلام د/ أحمد عبدالرحمن إبراهيم- ص 213- ط1- 1409هـ- 1989م- دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة.

(٥)الديوان 14/1.

(٦) المرجع السابق: 39/1.

(٧) المرجع السابق: 71/1.

جدتم لها بالرَّس في ورد الصبِّا والوردُ لم ينظرْ إليه ذبولُ

فهؤلاء الشباب فضلوا أن يموتوا وتعيش مصر.

وحافظ رجل وفيّ يذكر ما يقدمه له أصدقائه من معروف وما يسدونه إليه من جميل[1]:

لك في دمى حقٌّ أردت وفاءهُ يومَ الوفاءِ فقصرت أشعاري

لم ينُسنى مرُّ الزمانِ و لم يزلْ حفظُ الوداد سجيَّتي وشعاري

فهذا الاعتراف من حافظ بجميل محمد المويلحي (1858-1930م) يدل على أنه صديق وفي حافظ للوداد.

وقد كتب في يعقوب صروف[2] قصيدة من باب الوفاء ورد الجميل له.

منها[3]:

وأتيتُ أقضي بعضَ ما أوليتني وأقولُ فيك الحقَّ غيرَ محابي

فقد كتب له هذه القصيدة من أجل أن يوفيه بعض معروفه الذي أسداه إليه ويقول فيه قول صدق من غير مجاملة.

ويذكر حافظ وفاءه لوطنه مصر، وأنه لم يتحول عن حبها برغم أنها لم تنصفه ، إلا أنه سيبقى ابنها البار الوفي، الذي لا يتحول عن حبها مهما حصل أو صدر منها[4]:

لا مصــرُ تنصفني، ولا أنا عن مودتها أريمُ [5]

أنا من عرفت ومن خبرْ تَ ومن مودته تدومُ

فهو رجل وفي محب لوطنه ولأصدقائه وأن مودته لهم دائمة لا تتغير.

ويعترف بالنعم الكثيرة التي كان يغدقها عليه الوزير أحمد حشمت (1858-1926م)، ويرى أن الوفود التي جاءت للسلام على الوزير إنما جاءت إخلاصاً منها ووفاءً له وليس رياءً وخوفًـمنه[6]:

وما كنتُ أحلمُ- لولا الوزير - بهذا الهناء وهذا اللقبْ

علي أيادٍ له جمَّةٌ وفضلٌ قديمٌ شريفُ السَّببْ

---

(١) الديوان: 102/1.

(٢) يعقوب صروف: (1852-1927م) كاتب لبناني كان منقطعاً لتحرير مجلة المقتطف. هامش الديوان: 105/1.

(٣) الديوان: 108/1.

(٤) المرجع السابق: 124/1.

(٥) أريم: أتحول: هامش الديوان124/1

(٦) الديوان: 128/1-129.

أتوا خالصين لوجه الأمير فلا عن رياءٍ ولا عن رهبْ
فشكرى لصنعك شكرُ النّبات ببطن الفلاة لقطرِ السَّحبْ

واعتراف حافظ بفضل هذا الرجل وشكره له يدل على وفائه وحفظه للمعروف.

أمَّا ما قامت به نساء قرطاجة في الحرب اليونانية الثالثة التي وقعت سنة 149 ق م بين الرومان والقرطاجيين، إذ قدمن شعورهن لتتخذ حبالاً للسفن، فهذا من عظيم وفائهن، كما يرى حافظ[1]:

رأت حُلاها على الأوطان فابتهجت و لم تحسَّ على الحلى الذّي ذهـــبا

وعندما سقط رجل من القطار في النيل، وتبرع رجل بإنقاذه من الغرق هتفت إحدى الفتيات في القطار تذكر محاسن الغريق، وقالت : إنه نجا لفضل وفائه، ورأى حافظ أن الوفاء قد تجلى في ثغرها، عندما أخبرت عن أعمال الخير التي كان يقوم بها الغريق تجاهها وتجاه غيرها[2]:

وشهدنا ثغرَ الوفاءِ تجلَّى إذ تجلّى في ثغرها البسامِ

كما أشار حافظ إلى وفاء المصريين لوطنهم ؛ فهم يفضلون الموت بمصر في الظروف القاسية التي تعيشها البلد على أن يتركوها للذهاب إلى بلد آخر قد يجدون فيه سبل الراحة[3]:

تؤثرُ الموتَ في ربا الرِّيِّل جوعاً وترى العار أنْ تعافَ المُقاما

سليمان أباظة[4] ممن وصفهم حافظ بالشهامة والوفاء، ويرى أن بعد موته لم يعد هناك وفاء يعجب به الناس[5]:

رحمَ الله منه شهماً وفيـــاً كان ملءَ العيونِ في كل نادي

وقوله[6]:

ولا والأسى وتلهب الأحشاءِ ما باتَ بعدكَ معجبٌ بوفاءِ
أودى (سليمانٌ)! فأودى بعده حسنُ الوفاءِ وبهجةُ العلياءِ

فبموت سليمان أباظة مات الوفاء.

---

(١) الديوان: 213/1.

(٢) المرجع السابق: 227/1.

(٣) المرجع السابق: 252/1.

(٤) سليمان أباظة: 1834-1897م هو ابن حسن أباظة تولى عدة مناصب في الحكومة المصرية وآخر منصب تولاه نظارة المعارف . هامش الديوان: 19/1.

(٥) الديوان: 121/2.

(٦) المرجع السابق: 122/2.

وقد وصف علي أبو الفتوح[1] بالوفاء لأصدقائه لأنه كاتم لأسرارهم [2] :

يا حافظاً غيب الصَّديـــــ ـــقِ ويا كريمَ المقولِ [3]

و لم يكن علي أبو الفتوح وفياً لأصدقائه فقط، بل كان أيضاً حلو الحديث عنهم ومعهم.

ويذكر حافظ أنه في يوم وفاة جرجي زيدان [4] قد دعاه وفاؤه لقول الشعر من أجل ر ثائه إلا أن الشعر عصاه و لم يواتِ[5]:

دعاني وفائي يومَ ذاكَ فلم أكنْ ضنيناً ولكنّ القريضَ عصاني

وعدم موتات الشعر له سبب خارج عن إرادته، وإلا لم يكن شيء ليمنعه عن الوفاء لصديقه، ولو برثائه ببعض من الأبيات.

ويرى أن قلم يعقوب صروف (1852-1927م) وفي لصاحبه؛ فهو على مدى خمسين عاماً لم يخنه و لم يخدعه[6]:

صاحـــبه خمسينَ عاماً فلـــــــم يخـــن له عهداً و لم يخدعِ

وإنما وفاء هذا القلم ينبع من وفاء صاحبه له .

ويذكر أن عبد الخالق ثروت (1873-1923م) كان وفياً لأصدقائه[7]:

يروى الصديقَ من الوفاءِ و لم يكن بالحاسد النعمى ولا المغتابِ

فهو لم يكن حاسداً للنعم التي خصوا بها ولا مغتاباً لهم وهذا ما جعله وفياً.

كما يشير إلى أن أصدقاء محمد المويلحي (1858-1930م) كانوا أوفياء فقد بد ا عليهم الحزن واضحاً لفقدهم صديقهم[1]:

---

(١) علي أبو الفتوح: (1873-1913م). هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا آخر منصب تولاه في الحكومة المصرية وكالة المعارف . هامش الديوان: 157/2.

(٢) الديوان: 158/2.

(٣) المقول: اللسان:هامش الديوان158/2

(٤) جرجي زيدان: (1861-1914م) . أديب ومؤرخ لبناني أنشأ مجلة الهلال وألف العديد من الكتب منها : (تاريخ مصر الحديث) و(تاريخ الماسونية). هامش الديوان: 164/2.

(٥) الديوان: 166/2.

(٦) المرجع السابق :208/2.

(٧) المرجع السابق: 211/2.

شاعَ فيه الوفاءُ والحزنُ حتَّ ضاقَ عن حشده فسيحُ الرِّحاب
كنت لا ترهقُ الصديقَ بلومٍ لا ولا تسبيحُ غيــبَ الصِّحاب

وإنما كان حزنهم عليه ووفاؤهم له لأنه لم يكن يلومهم و لا يحملهم ما يؤذيهم كما أنه كان وفياً لهم في غيابهم.

هذا ويصف حافظ عبدالحليم العلايلي[2] بنبل الطباع والوفاء لأصدقائه فهو لا يغتابهم ولا يؤذي من حوله[3]:

نبيلَ الطَّبعِ لا يغتابُ خلا ولا يـــؤذي العشيرَ ولا يمينُ
وفت لأليفها حياً وميــتاً كـــذاك كريمةُ (اللوَّزي) تكونُ

وكما أنه كان وفياً لأصدقائه فقد وفت له زوجته حياً وميتاً.

ويصف الإيطاليين بالوفاء وحفظ الجميل[4]:

فحفظتم وشكرتم صنعنا وبنو الرومانِ أولى من شكرَ

هكذا تحدث حافظ إبراهيم عن الوفاء في أثناء قصائده وأثبت الوفاء في أكثر من قصيدة لنفسه، فهو وفيّ لوطنه وأصدقائه، ولكنه لم يغص كثيراً في معاني الوفاء، فقد كان بإمكانه رسم صورة أكثر عمقاً للوفاء ؛ وخاصة أن مورثنا الثقافي العربي مليء بقصص الوفاء الخالدة.

وقد ذكر حافظ أبياتاً أخرى في الوفاء ولكنها لم تحمل أي جديد يذكر لما عرضنا له[5].

---

(١) المرجع السابق: 218/2.

(٢) عبدالحليم العلايلي: هو ابن عبد السلام العلايلي كان عضواً في حزب الأحرار الدستوريين وانتخب سكرتيراً للحزب . هامش الديوان: 221/2.

(٣) الديوان 222/2-223.

(٤) قصائد لم تنشر: 261.

(٥) للاستزادة : الديوان: (2/1-90-146-195)، (21/2-95-163-195).

الصـــبر

الصبر في اللغة: هو الحبس، يقال صبرتُ نفسي على ذلك الأمر، أي حبَسْتُها، والمصبورة المحبوسة على الموت، وصُبْرُ كلّ شيء: أعلاه [1].

" وهو قوة خلقية من قوى الإرادة، تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع والسأم والملل، والعجلة والرعونة، والغضب والطيش، والخوف والطمع، والأهواء والشهوات والغرائز"[2].

وقد ذكر الدكتور أسعد السحمراني أن الله خلق الإنسان وأسكنه الأرض وجعل حياته فيها كلها اختباراً وابتلاءً.فالإنسان يتعرض في جميع مراحل حياته لأطوار مختلفة من المحن والمصاعب والمشكلات التي تعترض طريقه وتعيق وصوله لمأربه، وذلك ليختبر الله قدرته على التحمل ويعرف مدى صبره على مواجهة المتاعب[3].

الصبر من الفضائل التي تحدث عنها حافظ إبراهيم كثيراً في شعره وحث عليها لأن الأمة كانت تمر بمرحلة تحتاج إلى الكثير من الصبر وقوة التحمل، فالحرب والاستعمار والعمل في السياسة كلها أمور لا يستطيعها إلا من تحلى بالصبر، لذلك نراه يشد من أزر الإمام محمد عبده (1226-1323هـ) ويحثه على الصبر، فليس أول المصلحين الذين كُذبوا وحُوربوا[4]:

لا تجزعنَّ فلست أول ماجدٍ كذبت عليه صحائفُ الفجّار

فهذا ديدن دعاة الإصلاح دائماً يحاربون ويقابلون بالتكذيب ويجب عليهم أن يتحلوا بالصبر حتى يصلوا إلى غاياتهم.

ومن كان له مواقف في الصبر الشاعر أحمد شوقي (1868-1932م) الذي نفي فلم يغضب ولم يجزع ولم يذل.فعادة من تقلب له الأيام ظهر المجن يجزع ويشعر بالذل، ولكن شوقي صبر وتجلد وقد قال عنه حافظ[5]:

نفيت فلم تجزع ولم تكُ ضارعاً ومن ترمه الأيامُ يجزعْ ويضرعِ

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (صبر).

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني2/305 – ط6- 1423هـ/2002م- دار القلم – دمشق.

(٣) الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة: د أحمد السحمراني- ص 126- ط1- 1408هـ/1988م- دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

(٤) الديوان 15/1.

(٥) المرجع السابق: 83/1.

فشوقي حول النفي لصالحه وعمل على تنمية مداركه الشعرية.

كما أن المرأة المصرية كا نت لها مواقف عظيمة في الصبر والثبات جعلت الرجال يتعلمون منها المقاومة، فقد كانت تدفع الوجل للجهاد في سبيل حرية الوطن وهي تبتسم رغم معرفتها أن الحرب لا تعني شيئاً سوى الموت[1]:

تعلَّمَ منكنّ الرجالُ فأصبحوا على غمراتِ الموتِ أهلَ ثباتِ
وتدفعه للموتِ والثَّغرُ باسمُ وفي صدرها نوءٌ من الزَّفراتِ
كذا فليكن صنعُ الكريم وصبره 30 على دهره والدَّهرُ غيرُ مواتي

فابتسامتها هذه ابتسامة تشجيع تخفي بها ما في داخلها من حسرة وألم تنوء بحمله.

كما إنه يحث أصدقائه على الصبر وعدم التعجل، والتدرج في سلم المجد[2]:

واستبقا العلياء واستمسكا بعروة الصبَّرِ ولا تعجلا

ويوصي أهالي الشرق بالصبر ويحاول أن يبث في نفوسهم الأمل بمستقبل أفضل[3]:

فديناكَ يا شرقُ لا تجزعنْ إذا اليومُ ولى فراقب غدا

كما يحث الشعب المصر ي على الصبر وشكر الله وحمده على نعمة الأمن والاستقرار[4]:

فاصمدوا ثمَّ احمدوا الله على نعمةِ الأمنِ وطيبِ المستقرّ

وينصح حافظ جريحاً بيروتياً على لسان أحد العرب بالصبر والتجلد لأن الصبر على الرزايا من عادة الرجل الشهم الرزين[5]:

لا تيأسى، وتجلَّـدْ أراكَ شهماً ركيـــــــنا
أبشــرْ فإنكَ ناجٍ واصبـــــر مع الصابرينا

وهو إلى جانب حثه له على الصبر يبشره بالنجاة.

---

(١) الديوان: 1/88-89.

(٢) المرجع السابق: 1/150.

(٣) المرجع السابق: 1/201.

(٤) المرجع السابق: 1/237.

(٥) المرجع السابق: 2/64.

ويحث على فضيلة الصبر ويرى إنه إن فارق القوم فليس هناك ما يقوم مقامه، كما يرى أنه كفيل وحده بنصرة القوم لأنه يغني عن المخترعات والمعدات[1]:

وتواصوا بالصَّبرِ، فالصبرُ إن فا ... رقَ قوماً فمالهُ من مسدَّ
خلقُ الصَّبرِ وحده نصرَ القو ... مَ وأغنى عن اختراعٍ وعدِّ
شهدوا حومةَ الوغى بنفوسٍ ... صابراتٍ وأوجهٍ غيرِ ربدِ
فمحا الصَّبرُ آيةَ العلمِ في الحر ... ب ، وأنحى على القوى الأشدِّ

فالإنجليز دخلوا الحرب متسلحين بالصبر مستقبليها بوجوه باسمة، فالصبر في الحرب غلب العلم وما جاء به من أسلحة متطورة، لذلك استطاع الإنجليز أن يغلبوا الألمان.

ويوصى المصريين أن يتعاملوا مع العدو بحذر وحرص وصبر على محاولته إحباطهم وإفشال محاولاتهم للنهوض، فهم إن فعلوا ذلك لا بد أن يأتي يوم يكون فيه النصر حليفهم[2]:

أوتسألوا القلبَ يقلْ حاذروا ... وصابروا أعداءكم تفلحوا
حلاّ- والصَّـــبرُ له غايةٌ- ... لغيرنا من بئرنا نمتـــحُ

ويطلب منهم أن لا يستمروا في الصبر على الذل والفقر بينما الأجنبي الغادر يتمتع بثروات البلاد التي هي من حق المواطن.

ويشير إلى أن أبناء مصر صبروا على الظروف العصيبة التي واجهتهم في بداية حياتهم ، ثم عندما وصلوا إلى ما يصبون إليه وجدوا له طعماً أحلى من الشه د، وذلك لأن هذه الراحة لم تأت إلا بعد تعب ومشقة[3]:

صبروا على مرِّ الخطوبِ فأدركوا ... حلو المنى معسولةَ الأقداحِ
شاكي سلاحِ الصَّبرِ ليس بأعزلٍ ... يغزوهُ ربٌّ عواملٍ وصفاحِ
الصبرُ- إن فكَّرتَ- أعظمُ عدَّةٍ ... والحقُّ – لو يدرون- خيرُ سلاحِ

---

(١) المرجع السابق: 81/2.

(٢) الديوان: 84/2.

(٣) المرجع السابق: 86/2-87.

والإنسان المتسلح بالصبر لا يعتبر أعزل، فحتى من يحمل السيف والرمح لا يطمع فيه، لذلك يعد الصبر أعظم سلاح يتسلح به الإنسان.

ويحث أحد أصدقائه أن يكون صبوراً على موت ابنته ، لأن الحسنات عند الله تكب لمن يصبر ؛ فالصبر هو الذي يجعل المصيبة طويلة أو قصيرة، والإنسان الصبور قادر على أن يتخطى لحظات الحزن

ويجعل منها لحظات أمل وتفاؤل[1]:

صبراً أبا (مـــلكٍ) فإن الباقيات لمن صبرْ

وبقدر صـــبرِ المبتلى طولُ المصيبة والقصرْ

ويصف حافظ محمد المويلحي (1858-1930م) بقوة الصبر وقت الشدة وانغلاق أبواب الفرج فكم تحمل بالصبر والأماني في حالة سبات عميق وكم صبر و لم يجزع على الحظوظ العواثر وكم حاصرته المحن والمصاعب إلا أنه كان كالجبال الرواسي في الصبر والثبات[2]:

كنتَ نعمَ الصَّبورُ إن حزبَ الأمـــ ـــــرُ وسدَّتْ مسارح الأسباب

كم تحملتَ والأماني صرعى وتماسك ت والحظوظُ كوابي

عشت ما عشت كالجبالِ الرَّواسي فوقَ نارٍ تذيبُ صمَّ الصِّلاب

ويرى أنه من الطبيعي أن يصل الإنسان إلى ما يريد إذا ما تحمل بالإيمان والصبر[3]:

وحقيقٌ أن يوفي حقَّهُ من بحبلِ اللهِ والصبرِ اعتصم

كما يرى أن الموروث الثقافي العربي علم أبناءه أن الصبر يحل أكبر الأزمات وأصعبها[4]:

علَّمونا الصبر يُطفي ما استعر إنما الأجرُ لمفجوعٍ صبرْ

هكذا تحدث حافظ إبراهيم عن فضيلة الصبر في أثناء قصائده، فنراه يحث على الصبر حيناً ويشيد ببعض الشخصيات التي سجلت مواقفاً مشرفة في الصبر حيناً آخر، ولكن حافظاً وقع في تناقض عجيب عندما طلب من الشعب المصري أن يصبر ويحمد الله على نعمة الأمن والاستقرار ؛ فالله سبحانه

---

(١) الديوان: 175/2.

(٢) المرجع السابق: 219/2.

(٣) قصائد لم تنشر: 254.

(٤) المرجع السابق: 259.

وتعالى يحمد في كل حال، في السراء والضراء، ولكن كيف يكون هناك أمن واستقرار والبلد تعيش في حالة حرب واحتلال.وقد وقع في تناقض آخر عندما كان يطلب من الشعب ومن بعض الشخصيات الصبر بينما هو عندما كان ضابطاً في الجيش أُرسل إلى السودان فكان يكثر من الشكوى والتذمر ، و لم يكن شكواه بسبب سوء معاملة الضابط الإنجليزي للضابط المصري، إنما كان لأنه لم يحتمل حياة السودان القاسية فقد افتقد مجالس اللهو والسمر في مصر .وقد ذكر حافظ أبياتًاأخرى في الصبر ولكنها كانت مشابهة لما ذكر سابقاً[1].

(١) للاستزادة: الديوان: (1/11-58-130-239)، (2/32-94-157-199-215-225-226).

قوة العزيمة

العزم في اللغة: ما عُقِدَ عليه القلبُ من أمرٍ أنت فاعلُه، أي متيقّنه[1].

" والعزم هو اتجاه نفسي جازم ذو نسبة عالية في القدرة على التصدي للعقبات والصعوبات، ومقارعتها ومغالبتها، فهو بسبب ارتقاء نسبته قادر على أن يدفع من طاقات التنفيذ شحنات زائدة على مستوى الطاقات العادية التي تدفعها الإرادة الجازمة بحسب العادة للأمور التكليفية التي يقوم بها معظم الناس"[2].

هذا المستوى من قوة الإرادة يعد من أعلى المستويات التي تدفع الإنسان إلى معالي الأمور وتوصيله إلى أعلى المراتب في الدنيا والآخرة.

تحدث حافظ إبراهيم في شعره عن قوة العزيمة، ووصف بها الكثير من الشخصيات وخاصة الإمام محمد عبده(1226-1323هـ)، فقد كان يشيد بمواقفه وقوة عزيمته ومضائه قدماً في تطبيق أحكام القرآن الكريم والقيام بأمر الإفتاء[3]:

وجرَّدتَ للفتيا حسامَ عزيمةٍ بحدَّيهِ آياتُ الكتاب المنزَّل

وقد وصف الشاعر الفرنسي فكتور هوجو: (1802-1885م) بقوة العزيمة لأنه استطاع بعزمه القوي أن يسهم في تغير مجتمعه الفرنسي وتحويله إلى مجتمع حر[4]:

جاءها (هوغو) بعزمٍ، دونه عزةُ التاجِ، وزهو الموكبِ

كما وصف كلاً من عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب – رضي الله عنهما- بقوة العزيمة ومضائها[5]:

كلاهما في سبيلِ الحقِّ عزمته لا تنثني أو يكونَ الحقُّ ثانيها

ويصف الشاميين المقيمين في أمريكا بقوة العزيمة في طلب الرزق ومكابدة ميادين الحياة فهم يرفضون الخضوع والذل[6]:

إن ضاقَ ميدانُ سبقٍ من عزائمهم صاحت بهم فأروها ألفَ ميدانِ

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس(عزم).

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها- عبدالرحمن حبنكة الميداني: 1/113-114.

(٣) الديوان: 3/1.

(٤) المرجع السابق: 22/1.

(٥) المرجع السابق: 43/1.

(٦) المرجع السابق: 94/1.

لا يستشيرون إن همّوا سوى هممٍ تأبى المقام عــلى ذلٍّ وإذعــانِ

وقد أشاد بالمهاجرين الشاميين الذين خرجوا من بلدهم ذاهبين إلى دول المهجر وليس لديهم شيء يعتمدون عليه سوى عزيمتهم القوية الصادقة[1]:

يمضي ولا حي لهُ إلا عزيمته وينثني وحلاهُ الجدُ والذَّهبُ
يكرُّ صرف الليالي عنه منقلباً وعزمهُ ليس يدري كيفَ ينقلبُ
لم يحمهم علمُ فيها ولا عددٌ سوى مضاءٍ تحامى وردهُ النُّوبُ

فهؤلاء المهاجرين ليس لديهم في دول المهجر سفارةٌ تحميهم وإنما الذي يحميهم عزائمهم القوية التي ترتد عنها نوائب الأيام كليلة مهزومة. 35

كما يرى حافظ أن الإنسان الكادح من أقوى الناس عزيمة فهو يقطع القفار والبحار لطلب الرزق، وهو في ذلك لا يعول إلا على عزيمته الصادقة في حله وترحاله[2]:

لا يستشيرُ سوى العزيمــــــة في الموارد والمصادرْ

ويرى أن العثمانيين جعلوا للشرق في أيامهم همة مثل همة الغرب في النهوض والتطور، ويطلب منهم أن يجعلوا قوة العزيمة سلاحهم للنهوض ، وأن يجعلوا ما يحرك تلك العزيمة الحكمة والتعقل[3]:

مــلكٌ! للشرَّقِ في أيامّه همُّ الغرب، نهوضاً واعتزامــــا
وامتطِ العزم جواداً للعلا واجعــــلِ الحكمةَ للعزم زماما

ثم نجده يطلب من المصريين على لسان مصر أن يقفوا وقفة رجل واحد وقفة حزم تغذيها العزيمة القوية المستعدة للنهوض واسترداد الحقوق[4]:

فقفوا فيه وقفةَ الحزمِ، وارموا جانبيه بعزمــــــة المستعدِّ

وكان سليمان أباظة: (1834-1897م) ممن عرفوا بقوة العزيمة فقد وصف حافظ عزيمته بأنها تقهر حوادث الزمان وشدائده وتغلب الأعداء[5]:

وعزائمٌ كانت تفلُّ عزائمَ الــ أحداث، والأيامِ والأعداءِ

---

(١) الديوان: 1/209-210.

(٢) المرجع السابق: 1/231.

(٣) المرجع السابق: 2/52-55.

(٤) المرجع السابق: 2 /82.

(٥) المرجع السابق: 2/122.

ومصطفى كامل (1874-1908م) أيضاً كان ممن عرفوا بقوة العزيمة فهذه العزيمة بقدر ما كانت تذهب شدائد الزمان وأخطاره بقدر ما ذهبت أيضاً بجسمه وافنته[1]:

أودى به ذاك الجهادُ وهدَّه عزمٌ يهدُّ جـــلائلَ الأخطارِ

لم يلوه عنها الوعيدُ ولا ثنى من عزمه قولُ المريب: حذارِ

كما يصف حافظ جرجي زيدان (1861-1914م) بأنه رجل قوي العزيمة فهي في مضائها كسن الرمح المنسوب إلى الهند وحد السيف المصنوع في اليمن[2]:

وعزماً شامياً له أينما مضى شباهندوانى وحدُّ يمـاني

ويصف الشيخ سليم البشرى[3] بأن عزمه ما زال شاباً فتياً فلم تصده التسعين عن إدراك الطلب والحاجة[4]:

لم تنقص له التسعون عزماً 36 ولا صدَّته عن دركِ الطلابِ

ويرى أن سعد زغلول : (1860-1927م) صاحب عزيمة قوية فالسجن والنفي لم يصرفه عما عزم عليه بل إنه زاد عزيمته قوة فحارب أعدائه مثلما حاربوه[5]:

لم ينهنه من عزمكَ السِّجنُ والنَّفـــ ـــي وسراجلتها (بمصر) الضرِّابا

عزمةٌ لا يصدها عن مـــــداها ما يصدُّ السيولَ تغشى الهضـابا

فسعد زغلول مثل السيول التي تغشى الهضاب ولا يصدها شيء.

ويوصى أبناء مصر أن يناضلوا من أجل مصر بعزيمة قوية ويضرب لهم مثلاً أمة اليابان التي وصلت إلى أقصى درجات التقدم بسبب عزيمتها القوية فبالعلم والإرادة وصلوا إلى غاياتهم النبيلة[6]:

بنضالٍ يصقلُ العزمُ به وسهادٍ في العلا حلوِ الألمْ

فاسألوا عنها الثريا لا الثرى إنها تحتلُّ أبراجَ الهممْ

همٌ يمشي بها العلمُ إلى أنبلِ الغاياتِ لا تدري السَّأمَ

---

(١) المرجع السابق : 2/137-141.

(٢) الديوان : 2/166.

(٣) سليم البشري : (1248-1335هـ) اختير عضواً في مجلس إدارة الأزهر وتولى مشيخة الأزهر مرتين. هامش الديوان: 2/170.

(٤) الديوان: 2/171.

(٥) المرجع السابق: 2/201.

(٦) قصائد لم تنشر: (254-255).

من خلال الأمثلة السابقة عن قوة العزيمة في شعر حافظ إبراهيم نلاحظ أن حديثه عن هذه الفضيلة جاء سطحياً؛ ويعود ذلك في -رأيي- إلى افتقاد حافظ لهذه الفضيلة فلم يكن لديه عزيمة ولا قوة إرادة ، ومما يدل على ذلك أنه بعد عودته من السودان وفقدانه لوظيفته في الجيش أخذ يبحث عن عمل، فأكثر من الشكوى والتذمر بدعوى أنه لم يجد عملاً، وهذا الكلام يخالف المنطق لأن حافظاً كان من حملة الشهادات في عصر كان فيه حملة الشهادات قلة، وهذا يعني أن مجالات العمل كانت مفتوحة أمامه ، ولكنه كان كما قال عنه الدكتور عبد الحميد سند " ولكن حافظاً كان متواكلاً كسلان، ينشد عملاً طيباً يقبض منه الراتب الضخم دون أن يكلفه شيئاً من الجهد والعنا"[1].

ولكن الحصول على الأموال والوصول إلى المناصب العالية لا يأتي إلا بالعمل الذي تغذيه العزيمة القوية والإرادة الصلبة وقد ذكر حافظ أبياتاً أخرى في قوة العزيمة ولكنها كانت — في رأيي- لا تضيف شيئاً آخر عم جاءت عليه الأمثلة السابقة[2].

(١) حافظ إبراهيم شاعر النيل د/ عبد الحميد سند الجندي 175.

(٢) للاستزادة الديوان: (1/18-119-202-246-251-252)، (2/50-90-104-131- 144-176-183)، قصائد لم تنشر : (262-263).

العـــــــدل

العدل في اللغة: الحكم بالاستواء. يقال للشيء يساوي الشيء: هو عِدْلُهُ، وعَدلتُ بفلانٍ فلاناً، وهو يَعْدِلُه[1].

" والعدل في الإسلام هو أن ينال كل ثمار عمله ويتحمل تبعة فعله، وذلك بناء على الآيتين الكريمتين [2].

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [3]

يرى الدكتور أسعد السحمراني أن العدل ضرورة إنسانية فهو أساس رئيسي في انتظام العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهو مقترن بالعمل الصالح والبر والإحسان[4].

من أهم الشخصيات التي عرفت بالعدل على مر التاريخ الإسلامي الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه وأرضاه –لذلك كان جل حديث حافظ إبراهيم عن العدل هو في أثناء كتابته لسيرته رضوان الله عليه، فعمر كان يقيم العدل ويحق الحق حتى وإن كان لضعيف فقير خامل الذكر ويقيم الحد على المعتدي وإن كان من سادة القوم[5]:

فما القوى قوياً رغم عزَّته عند الخصومة (والفاروقُ) قاضيها

وما الضَّعيفُ ضعيفاً بعد حجَّته وإن تخاصمَ واليها وراعيها

فحجة الإنسان عند عمر هي من تحدد إن كان ضعيفاً أو قوياً.

كما أن عمر لا يتغاضى عن الحق وإن كان عند رجل من سادة القوم مثل أبي سفيان ، بل يأخذه منه، وذلك فيما يروى عن معاوية وهو على الشام أنه بعث إلى عمر بن ا لخطاب رضي الله عنه بمال وأدهم، وكتب إلى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر ، فلما قدم الرسول إلى أبي سفيان سلمه المال والأدهم فدفع أبو سفيان بالأدهم والكتاب إلى عمر ، وأخذ المال لنفسه، فعندما قرأ عمر الكتاب ، قال أين المال يا أبا سفيان ؟ فقال: علينا دين ومعونه، ولنا في بيت المال حق، فإذا أخرجت لنا شيئاً قاضيتنا به، فقال عمر أطرحوه في الأدهم حتى يأتي بالمال، فجيء بالمال ، فقام عمر بإطلاقه، فلما عاد

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (عدل).

(٢) الفضائل الخلقية في الإسلام د أحمد عبدالرحمن إبراهيم– ص 119.

(٣) النجم 38-39

(٤) الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة– ص 117 (بتصرف).

(٥) الديوان: 44/1.

الرسول إلى معاوية قال له معاوية: أرأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم ؟ فأجابه: نعم وطرح أباك فيه، قال : و لِمَ؟ قال: جاءه بالأدهم وحبس المال ، قال: أي والله، ولو كان الخطاب لطرحه فيه[1]:

وما أقلتَ (أبا سفيانَ) حينَ طوى عنك الهديَّ معتزاً بمهديه ـــا

تالله لو فعل (الخطابُ) فعلتـــه لما ترخَّص فيها أو يجاريها

فعمر رضي الله عنه يحق الحق وإن كان على أبيه الخطاب.

لذلك فهو لم يتورع عن إقامة الحد على ابنه عندما شرب الخمر مساوياً في ذلك بينه وبين غيره من أفراد الرعية[2]:

وما أصابَ ابنه والسوطُ يأخذه لديه من رأفةٍ في الحدِّ يبديها

كما أشار حافظ إلى ما كان يتخذه عمر بن الخطاب تجاه من يرى لديه ثروة لا يعرف مصدرها، فقد كان يصادر نصفها إلى بيت مال المسلمين لأنه يرى أنها من حق المسلمين، وكذلك فعل مع عمرو بن العاص عندما رأى ما لديه من ثروة ومتاع، وهو لم يكن يملكها قبل أن يصبح والياً على المسلمين في مصر، فأرسل إليه عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة ليقاسمه ماله ، و لم يكن من عمرو إلا أن خضع لأم ر أمير المؤمنين، وأعطى محمد بن مسلمة نصف ثروته[3]:

و لم تقلْ عاملاً منها وقد كثرت أمواله وفشا في الأرض فاشيها

وقد كرر عمر نفس الموقف مع ابنه عبدالله، فقد روى أنه مر بنياق تظهر عليها آثار النعمة، وعندما سأل: لمن هذه النياق؟ قالوا له: إنها لابنه عبدالله. فاعتقد أنه لولا أنه ابنه لما استطاع إطعامها فأخذها وردها إلى بيت مال المسلمين باعتبار أنها من حق الرعية[4]:

قد استعانَ بجاهي في تجارتهِ وباتَ باسمِ (أبي حفصٍ) ينمِّيها

ردوا النياقَ لبيت المالِ إنّ له حـــقَّ الزِّيادة فيها قبل شاريها

وبذلك صار العدل الصفق التي عرف بها عمر بن الخطاب ، وقد شهد له بذلك حتى أعدائه ، إذ قال له رسول كسرى عندما رآه نائماً بين رعيته: عدلت فأمنت فنمت[5]:

أمنتَ لما أقمتَ العدلَ بينهمُ فنمتَ نومَ قريرِ العينِ هانيها

---

(١) الديوان: 1/44-45.

(٢) المرجع السابق: 1/48.

(٣) المرجع السابق: 1/48.

(٤) المرجع السابق: 1/49.

(٥) المرجع السابق: 1/51.

كما أشار حافظ في حديثه عن العدل إلى طوائف المتخرجين من الجامعة من محامين وقضاة ومهندسين وأطباء، ويرى أنهم إذا تولوا المناصب المهمة في البلاد سوف ينشرون العدل بين الناس ويصبح الحق هو القوة المنتصرة[1]:

ومن يوكَّلُ بالقسطاس بينكمُ ؟ حتى يرى الحقُّ ذا حولٍ وذا غلبِ

ويطلب من المصريين أن يجعلوا الحق والعدل أساساً لسياستهم[2]:

بنى على الإفكِ أبراجاً مشيَّدَةً فابنوا على الحقِّ برجاً ينطحُ الشهبا

كما يصف سليمان القانوني[3] بالعدل فهو الذي وضع القانون الذي تسير الدولة بمقتضاه[4]:

فهذا سليمانٌ وقانون عدله على صفحاتِ الدَّهرِ بالبِرِّ يُكتب

ويرى حافظ أن استعادة الحقوق إنما يكون بالمطالبة بها باستمرار دون يأس، فالأتراك اجتهدوا كثيراً من أجل الحصول على حقوقهم وإقامة العدل، وأن المصريين إذا اقتفوا آثارهم في ذلك لا شك سيحصلون على حقوقهم ويقيمون العدل في بلادهم[5]:

فما ضاعَ حقٌ لم ينم عنه أهلُهُ ولا نالَهَ في العالمينَ مقصِّـــرُ

لقد ظفر الأتراكُ عدلاً بسؤلهم ونحن على الآثار لا شكَّ نظفرُ

كما يشير إلى وجوب إعادة الحقوق المغصوبة والوقوف في وجه كل سلطان ظالم كما ذكر- أيضاً- العدل الإلاهي الذي نزل بأحد السلاطين فقد خلع ونفي وكان ذلك نتجه لما فعله من سلب حقوق الأمة ومصادرة حريتها[6]:

يصـــيحُ به لارى أو نبـــــلغَ المنى ولا شبعٌ أو يرجعَ الحقَّ غاصبُهْ

يناديه صوتُ الحقِّ: ذق ما أذقتهم فكلٌّ امرى رهنٌ بما هو كاسبُهْ

ويصف قاسم أمين[7] بأنه كان مناصراً للحق[8]:

---

(١) الديوان: 206/1.

(٢) المرجع السابق: 212/1.

(٣) سليمان القانوني: 900-974هـ السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان. هامش الديوان: 12/2.

(٤) الديوان: 12/2.

(٥) المرجع السابق: 36/2.

(٦) المرجع السابق: 43/2-46

(٧) قاسم أمين: 1865-1908م تدرج في المناصب القضائية حتى صار قاضياً بمحكمة الاستئناف الأهلية، وه و أول من نادى بتحرير المرأة المصرية في العصر الحديث، وله كتابان (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة). هامش الديوان: 141/2.

(٨) الديوان: 143/2.

حقٌّ تناصره، ومفخرةٌ تمشي إليها غيرَ منتحلِ

ويشير إلى أن سعد زغلول (1860-1927م) كان يسعى إلى إقامة الحق وتبصير الناس بحقوقهم[1]:

ومشى يحملُ اللواءَ إلى الحقِّ ويتلو في الرّاسِ ذاك الكتابا

كلّما أسدلوا عليه حجـــاباً من ظلامٍ أزالَ ذاكَ الحجابا

فالإنجليز كلما حاولوا إخفاء الحقيقة سعى سعد زغلول جاهداً إلى كشفها وإظهارها.

ويصف أمين الرافعي[2] بأنه رجل لا يرضى إلا بإقامة الحق وإشاعته بين الناس[3]:

فما سعيتَ لغير الحمد تكسبه ولا رضيتَ لغير الحقِّ إذعانا

هكذا تحدث حافظ إبراهيم عن العدل واتخذ من الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه وأرضاه- النموذج المثالي للعدل، كما أنه طالب بحق الشعب وضرورة حصوله على حقوقه الإنسانية والسياسية، لكن هذه المطالب جاءت على خجل واستحياء، وذلك يعود إلى خوف حافظ من السلطة وأمله في الحصول على مكانة عالية لديها، كما أنه أشاد ببعض السياسيين والمفكرين ووصفهم بالعدل.

وقد ذكر حافظ أبياتاً أخرى في العدل، ولكنها لم تتميز عن سمات الأمثلة المذكورة بشيء[4].

---

(١) الديوان: 202/2.

(٢) أمين الرافعي: 1886-1927م كاتب سياسي معروف وصاحب جريدة الأخبار. هامش الديوان: 205/2.

(٣) الديوان: 206/2.

(٤) للاستزادة: الديوان: (1/4-9-13-40)، (2/87-89-154-186).

التقـــــوى

التقوى في اللغة: من الوِقاية، أي ما يقي الشَّيء، واتقِّ اللهَ: وَقْوًا، أي اجعل بينك وبينه كالوِقَايَة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اتقوّا النّارَ ولو بشقِّ تمرة"وكأنَّ أراد: اجعلوها وقايةً بينكم وبينها. [1]

إذن" التقوى مأخوذة من الوقاية، أي أن تجعل بينك وبين معاصي الله وقاية وحاجزاً، والمتقي هو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله تعالى، مأخوذ من اتقاء المكروه بما تجعله حاجزاً بينك وبينه"[2].

وقد كانت فضيلة التقوى من جملة الفضائل التي تحدث عنها حافظ إبراهيم في شعره خاصة في الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الأمة العربية وما كان يمارسه عليها المحتلون من ظلم وقهر، لذلك كانت في أمس الحاجة إلى تذكيرها بتقوى الله وطاعته توضيح الدين الإسلامي الصحيح، فكلما ضل الناس عن طريق الحق والرشاد كان الإمام محمد عبده(1266-1323هـ) النور الذي يهتدون به، فيردهم إلى الحق والدين الصحيح[3]:

إنِّي لأبصرُ في أثناءِ بردتـه ... نوراً به تهتدي للحقِّ ضلالُ

بمشيةٍ بين صفى حكمةٍ وتقى ... يحبها اللهُ لاتيهٌ ولا خـــالُ

كما يصفه – أيضاً- بأنه الأفضل في التقى والعبادة، لذلك أحبه الجزائريون واستبشروا بقدومه، وقد أشار إلى أن الإمام كان ينشر في مجلة المنار تفسيراً لبعض الآيات القرآنية، مما أسهم إسهاماً كبيراً في فهم الناس للقرآن الكريم، وبالتالي تعمق مفهوم الإسلام في نفوسهم[4]:

أنت نعمَ الإمامُ في موطن الرأ ... ي، ونعمَ الإمام في المحرابِ

وسرى البرقُ للجزائ ... رِ بالبشـــ ... ـــ رى بقرب المطهر الأوَّابِ

فقرأنا على ضيائكَ فيه ... كلمات المهيمنِ الوهّابِ

سكنَّا إلى الذي أنـــزلَ اللـــــــــ ... ـــــه وكنا من قبله في ارتيابِ

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (وقى).

(٢) صفات المؤمنين في القرآن وآثارها على الإنسان بادي أحمد الكنتي العقبي القرشي- ص 201- 1422هـ- مكة المكرمة.

(٣) الديوان: 4/1.

(٤) المرجع السابق: 1/11-12-13.

فبعد أن قرأ الناس تفسير القرآن أزداد قربهم من الله لأنهم فهموا المعاني الصحيحة للآيات بعد أن كانوا في شك في بعض معانيه.

وقد وصف أحد الشخصيات السياسية بتقوى الله والنزاهة والضمير الحي[1]:

ربّاك والدكَ الكريمُ على التقيُّ وعلى النزَّاهة والضميرِ الطّاهرِ

ثم يعود حافظ لوصف الإمام محمد بن عبده (1266-1323) بأنه جمع بين الدين والدني ا والبر والتقوى والإحسان فقد كان عالماً عقلانياً يخاف الله في كل المواقف لذلك كان يخافه أهل الشك والوسواس[2]:

سلامٌ على الإسلام بعدَ محمّدٍ سلامٌ على أيّامه النَّضراتِ

على الدّينِ والدُّنيا، على العلمِ والحجا على البرِّ والتَّقوى، على الحسناتِ

وخفتَ مقامَ الله في كلِّ موقفٍ فخافكَ أهلُ الشكِّ والنَّزعاتِ

وولّيتَ شطرَ البيتِ وجهكَ خاليا تناجي إلهَ البيتِ في الخلواتِ

دعائمه التَّ قوى وأساسه الهدى وفيه الأيادي موضعُ اللّبناتِ

كان الإمام متديناً تقياً يمجد الله ويناجيه في خلوة ومنأى عن الرأس.

ويصف على أبو الفتوح : (1873-1913م) بأنه كان تقياً حريصاً على الأعمال الصالحة حتى تعلو منزلته عند الله[3]:

تسعى وراءَ الباقيا ت الصالّحاتِ وتعتلى

كما أنه وصف السيدة ملك ناصف[4] (باحثة البادية) بأنها قد ربت تلميذاتها على الفضيلة والتقوى[5]:

ربيتَهنَّ على الفضيـــ ـــلةِ والطّهارة والخفرْ

وعلى إبتلّاعِ شريعـــةٍ نــزلت بها آى السورْ

وقد وصف أحد الشخصيات بالتدين وعدم الغفلة عن ذكر الله[6]:

---

(١) الديوان: 25/1.

(٢) المرجع السابق: 129/2-131-133.

(٣) المرجع السابق: 158/2.

(٤) ناصف : 1886-1918م: بنت المرحوم حفني ناصف بك كانت من فضليات الكاتبات والباحثات : هامش الديوان: 172/2.

(٥) الديوان: 172/2.

(٦) المرجع السابق: 179/2.

يا عابدَ الله نم في القبر مغتبطاً ما كنت عن ذكر ربِّ العرشِ باللاهى

يذكر حافظ نفسه بوحشة القبر حيث لا يؤنس فيه إلا تقوى الله سبحانه وتعالى .ويصف الإمام محمد عبده(1266-1323) بأنه رجل تقي منيب، كثير الرجوع إلى الله، وكثيراً ما كان يقوم بأعمال صالحة في حياته[1]:

أُذكرى الموتَ لدى الوَهْمِ، ولا تغفلي ذكرته عند الهبوبِ
وفجعنا بإمـــامِ مصـــــــلحٍ عامرِ القلبِ وأوّابٍ منيبِ
كم له من باقياتٍ في الهـــدى والرَّدَى بين شروقٍ وغـــروبِ

ويشير إلى أن أمين الرافعي (1886-1927م) رجل تربى على الإيمان والتوحيد منذ نعومة أظافره فهو إنسان مؤمن بالله مؤمن بمبادئه[2]:

جرت على سننِ التوحيد نشأته في اللهِ و الرأى إخلاصاً وإيمانا

وقد وصف محمود سليمان بالقناعة والتدين فهو يسبح الله في السر والعلن[3]:

بكسرة وكساءٍ عشتَ مغتبطا تسبحٌ الله في سرٍّ وإعلانِ

هكذا رافقنا حافظ إبراهيم في حديثه عن التقوى من خلال أمثلة من شعره ، وقد اتضح من خلالها أن حافظاً كان لديه نزعة دينية تجعله يتعلق بكل ما يخص الإسلام. فقد قال عنه صديقه الأستاذ أحمد محفوظ:" كان ثابت العقيدة مؤمناً إيماناً ثابت الدعامة، كان يقوم على الاعتماد على الله في حياته كراكب البحر أو كراكب الصحراء الذي يتوجه إلى الله دائماً ليجنبه الغرق أو الضلال في التيه "[4]. وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يكن ذلك الإنسان المتشدد في دينه .فقد قال الدكتور عبد الحميد الجندي:" وكان في حافظ خلة طيبة، تلك أنه كان — على حبه لدينه — لا يندفع وراء التعصب المقيت، ولا يعرف عنه أحد أنه حمل على المسيحية أو اليهودية في مجالسه الخاصة أو العامة.والمتصفح لديوانه يجد فيه مدحاً لبعض اليهود مثل المولدة (لونا)، والمغنى (جاك رومانو) من أهالي الإسكندرية"[5]. بالإضافة إلى أنه كان يجلس مجالس اللهو ويشرب الخمر، إلا أن هناك نزعة تدين تظهر في شعره، إضافة إلى أنه كان لديه خوف دائم من الموت والقبر، ولعل هذا ما ولد لديه هذه النزعة الدينية .

---

(1) الديوان: 2/182-184.

(٢) المرجع السابق: 2/205.

(٣) المرجع السابق: 2/216.

(٤) حافظ إبراهيم شاعر النيل- د/ عبد الحميد سند الجندي- ص 62.

(٥) المرجع السابق.

وقد ذكر حافظ أبياتاً أخرى في التقوى حملت نفس طابع الأمثلة السابقة تقريباً[1].

45

(١) للاستزادة الديوان: (1/2-39-123-150). (2/197-219).

الإخـــــــاء

يقال في اللغة: (آخا فلان مؤاخاة وإخاً): اتخذه أخاً[1].

"وتطلق كلمة أخ في العقيدة على من يشارك آخر في معتقده، وقد يعبر عنه بلفظ " أخ في الدين " أو "أخ في الله" وهي الأخوة الإيمانية التي لا يقاربها رابطة مهما كانت وشائج القربى متينة، وهذا المصطلح نشأ في ظل الإسلام"[2].

ذكر الدكتور أحمد عبدالرحمن إبراهيم أن علاقة الإخاء بين الناس علاقة لا يمكن للمجتمع الاستغناء عنها، لأنها النشاط الاجتماعي الذي يستطيع من خلاله الإنسان إشباع ميوله الوجدانية، بالإضافة إلى ما ينتج عن ذلك من تآزر وتناصر وتعاون بين أفراد المجتمع[3].

وقد تناول حافظ إبراهيم هذه الفضيلة في شعره ، فنجده يذكر تلك الأخوة التي كانت بين البلدين مصر والشام، ومؤزارتهم لبعضهم البعض في الظروف الحرجة[4]:

حين قالت لأختها بنتُ مصـرٍ إنكم أمةٌ أبتْ أنْ تضامـــا

إنّما الشّامُ والكنانةُ صنـــوا ن، برغم الخطوب عاشا لزاما

نحن في حاجةٍ إل كلِّ ما ينـــــــــــمى قوانا ويربطُ الأرحامـــا

فهو يدعو الشعوب العربية إلى التعاون والتآزر و الإخاء لأنه بهذا فقط تقوى الدول العربية وتصبح لها قوتها ومكانتها بين الدول.

ويذكر حافظ أنه عندما ذهب إلى لبنان ظن نفسه أنه سيكون ضيفاً عليهم، ولكنه لم يشعر بذلك بل أحس بأنه موجود بين أهله وإخوانه وأصحابه، ويشير إلى أن الشاميين الذين هاجروا ونبغوا في بلاد المهجر ما زالوا يكنون لإخوانهم العرب مشاعر الأخوة، فأنى التقوا بهم شعروا أنهم مازالوا أهلاً وإخواناً[5]:

حسبتُ نفسي نزيلاً بينكم فإذا أهلي وصحبي وأحبـابي وجيراني

---

(١) المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجا (أخا) ط2- 1989م-1410هـ- دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع- اسطنبول.

(٢) معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها د/ محمد ا لبابلي- ص 14.

(٣) الفضائل الخلقية في الإسلام د/ أحمد عبدالرحمن إبراهيم- ص 98 (بتصرف).

(٤)الديوان: 1/28-30.

(٥)المرجع السابق: 1/91-94-95.

أنَّى التقينا التقى في كلِّ مجتمع أهلٌ بأهلٍ وإخوانٌ بإخـــــوانِ
تجرى المودّةُ في أعراقه طلقاً كجرية الماءِ في أثناءِ أفنـــــانِ
لا فرقَ ما بين بوذي يعيشُ به ومسلم ويهودى ونصـــــراني

فهو يتمنى أن يرى العالم العربي تسوده المحبة والإخاء وأن يسود الإخاء بين كل البشر على اختلاف مشاربهم وأعراقهم ودياناتهم.

ويصف أحمد شوقي (1868-1932م) بأنه أخ كريم، فحافظ لا يجعله في الجهة المقابلة بحيث يكون من المنافسين له، وإنما دائماً يعترف بشاعريته وإجادته، ويذكر مشاعر الأخوة التي بينهما[1]:

وشكراً (لشوقي) رسولِ القريض الـــ ـــــكريمِ الإخاءِ المتينِ السببْ

ثم نجده يدعو شباب مصر أن يجتمعوا على كلمة واحدة ويكونوا إخوة[2]:

فيأيها الناشئون اعملوا على خيـــر مصرٍ وكونوا يدا

ويذكر الأخوة التي تربط الدول العربية وتآزرها مع بعضها البعض[3]:

إن ودعا في ثرى الأهـــرامِ ذو ألمٍ أجابهُ في ذرا لبنانَ منتحـــبُ
هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم فصافحوها تصافح نفسها العربُ

ويصف العاملين في دار رعاية الأطفال بأنهم أهل لمن ينزل في الدار من الأطفال[4]:

ودعتها وتركتها في أهلها وخرجت منشرحاً رضى البالِ

وهذا يدل على روح الأخوة التي كانت سائدة في الدار.

ويرى حافظ أن الدولة العثمانية قد جمعت كل فئات الشعب من المسلمين ومسيحيين ويهود تحت راية واحدة يسودهم الإخاء[5]:

تحالفَ في ظلِّ الهلالِ إمامه وحاخامه – بعد الخلافِ- وراهبهْ

كما يشير إلى الأخوة بين العرب وإن اختلفت دياناتهم، فقد قام مطران كبير من طائفة الروم الأرثوذكس – وهو من أسرة معروفة في بيروت – بالعناية بالجرحى في الفترة التي ضرب فيها الأسطول

(١)الديوان: 129/1.

(٢)المرجع السابق: 203/1.

(٣)المرجع السابق: 208/1-211.

(٤)المرجع السابق: 217/1.

(٥)المرجع السابق: 42/2.

الإيطالي مدينة بيروت، ويرى حافظ أن المسلمين والنصارى إخوة وأهل وطن واحد في الدول العربية وخاصة في منطقة الشام[1]:

(مسرَّةَ) الشامِ ؟ إنا إخوانكم ما حيينا
ثقوا فإنّا وثقنـــــا بكم وجئنا قطينا[2]
فأنت فخرُ النَّصارى وصاحبُ المسلمينا

وبذلك أصبح هذا المطران مثالاً للمسيحي الشهم الذي يفخر به النصارى كما أنه بأعماله الخيرة كسب صداقة المسلمين وحبهم.

ويطلب حافظ من المصريين أن يكونوا متحابين متوائمين، تربطهم روابط قوية ، لأن العدو يتربص بهم ويستغل ما يحصل بينهم من مشاحنات للإيقاع بهم[3]:

فلقوّها بجرةٍ من وئامٍ 47غيرِ رثِّ العرا وسعى وكدِّ

ويشير إلى موقف مصطفى كامل (1874-1908م) عندما حضره الموت، فقد أوصى بأن لا يتفرق أتباعه وأبناء حزبه، بل يجب أن يكونوا رجالاً تجمعهم المودة والأخوة حتى لا يسر العدو وبتفرقهم[4]:

يناشدنا بالله ألا تفرقوا وكونوا رجالاً لا تسرُّوا الأعاديا

ويعود ويشير إلى روح الأخوة والمودة التي تسود بين أبناء البلدان العربية[5]:

في مصرَ، في تونسٍ، في الهند، في عدنٍ في الرُّوس، في الفرس، في البحرينِ في حلبِ
هذا يحـــنُّ إلى هذا وقد عقـدتْ مـــودّةٌ بينهم موصـــولةُ السَّبَبِ

ويرى أن سعد زغلول استطاع أن يجمع الأحزاب والشيوخ والنواب في صف واحد فأصبح يسودهم الإخاء والوئام بدل المشاحنات والضغينة[6]:

قد جمعتَ الأحزابَ حولكَ صفاً ونظمـــتَ الشيوخَ والرُّابا

كما يرى أن المصريين عندما تماسكوا واتحدوا أصبحوا يشكلون قوة قادرة على رد كيد ألأعداء[1]:

---

(١)المرجع السابق: 65/2.

(٢)القطين: أهل الدار المقيمون فيها:هامش الديوان65/2

(٣)الديوان: 81/2.

(٤)المرجع السابق: 135/2.

(٥)المرجع السابق: 156/2.

(٦)المرجع السابق: 203/2.

فتماسكنا فكانت قوّةٌ زلزت ركنَ الليالي فانهدمْ

هكذا تحدث حافظ إبراهيم عن الإخاء باعتباره حلمه وحلم لجميع العرب، فالكل يتطلع إلى اللحظة التي يتحد فيها العرب ويصبحوا إخوةً قولاً وفعلاً لذلك نجده أكثر من ذكر الأخوة العربية ووجوب تآخى أبناء الشعب الواحد، ولكن للأسف حلمه ظل حلماً و لم يتحقق حتى يومنا هذا.

(١) قصائد لم تنشر 254.

الكـــــــــــرم

الكرم في اللغة: شرفٌ في الشَّيء في نفسه أو شرفٌ في خُلُقَ من الأخلاق.يقال رجلٌ كريم، وفرسٌ كريم، ونبات كريم[1].

"والكرم هو الإعطاء بيسر وسهولة، ودون عسر وتكلف . وهو إفادة لما ينبغي دون غرض، وليس من الكرم هبة المال جلباً لنفع، أو خلاصاً عن ذم"[2].

يرى الدكتور أسعد السحمراني أن الكرم نوع من الإيثار رفيع المستوى ؛ فالكرم هو حالة متوسطة بين الإسراف والتبذير والشح والتقتير، ولا بد أن ينطلق الكرم من نفس طيبة، وأن ينبع من نية فعل الخير فالكريم لا يسعى إلى مظاهر كاذبة يكمن ورائها هدف أني أو مصلحة معينة وإنما هو يفعل الخير خالصاً مخلصاً لوجه الله[3].

وقد تحدث حافظ إبراهيم عن الكرم باعتباره صفة متأصلة في الشعوب العربية ، لذلك نجده يذكر ما وجده الشاميون الذين نزلوا مصر من ود ومحبة وكرم، فقد كانوا بمثابة أهل لهم أكرموهم وأحسنوا ضيافتهم وقابلوهم بالترحاب والبشاشة وطلاقة الوجه[4].

قد نزلنا جواركم فحمـــدنا ... منكم الودِّ والرَّدى والذِّماما

وحللنا في أرضكم فأصبـدنا ... منزلاً مخصباً وأهلاً كرامـــا

وغشينا ديـاركم حيثُ شئنا ... فلقينا طـــــــلاقةً وابتساما

ويصف الشعب اللبناني بكرم الضيافة وطلاقة الوجه وبشاشته مع الضيف، كما أن الشاميين أكرموه وأعزوه حتى كاد من لطفهم أن ينسى أهله وأصدقاءه في مصر[5]:

من كلِّ أبلج سامي الطَّرف مضطلعٍ ... بالخطبِ مبتهجٍ بالضيَّف جذلانِ

حسبي وحسبُ النهى مانلتُ من كرمٍ ... قد كدتُ أنسى بهأهلي وخلاني

ويصف أحد الشخصيات بالجود والكرم، فعطاياه مثل المطر متاحة لكل من يستحق ، وأن النار التي اشتعلت ببيته هي ضيفة أصابها التعب والعنت فأرادت أن تدخل بيته من أجل أن يصيبها غيثه وعطاؤه، فهو رجل معروف بكرمه ومواساته لكل منكوب[6]:

---

(١) معجم مقاييس اللغة ابن فارس: (كرم).

(٢) كتاب التعريفات العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني- ص 265 تحقيق وزيادة د /محمد عبدالرحمن المرعشلي- ط1- 1424هـ-2003- دار النفائس للطباعة والنشر – بيروت.

(٣) لأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة- ص 129 (بتصرف).

(٤) الديوان: 1/28-29.

(٥)المرجع السابق: 1/91-96.

(٦)المرجع السابق : 1/182.

ونسوا أنّ جودَ كفكِّ غـــــيثُ ظلَّ للمرتجى الورود قريبـا
وهي ضيفٌ أصابه عنتُ الدَّهـــ ـــر وألقى هذا الفناءَ رحيبا
فأتى يبردُ الغليلَ بقطـــــــــــرٍ من ندى سيِّدٍ يواسى الغريبـا

ويرى أن عثمان بن أرطغرل[1] أب لكل من له عرق وأصل في الكرم[2].

إذا ضاءت الأحسابُ يوماً لمعرقٍ فعثمانُ خيرُ الفاتحينَ لهم أبُ

ويصف عثمان أباظة[3] بالكرم والجود وأن الأرض أمست تتباهى وتفاخر الشهب لأنها نالت شرف مواراة جثمانه[4]:

أمست تنافسُ فيك الشُّهبَ من شرف أرضٌ، تواريتَ فيها يا فتى الجود

كما يصف سليمان أباظة : (1834-1897م) بالكرم والجود والتقى، ويتسأل عن حاله في حياته البرزخية فقد كان كثير العطاء[5]:

خبِّرنا جهينَ لا تكـــــذبينا ما الذّي يفعلُ البلى بالجواد ؟
كيف أمسى وكيفَ أصبح فيه ذلك المنعمُ الكثيرُ الرَّمـــاد ؟
رحمَ اللهُ منه طرفاً تقيـــــاً ويميناً تسيلُ سيلَ الغـــوادى

ثم يوصى به القوم أن لا يحملوه على الرقاب فقد كفى ما حملت الرقاب من هباته وعطاياه[6]:

لا تحملوه على الرِّقاب، فقد كفى ما حلَّتْ من مرةٍ وعطاءِ

وهو بهذا يمدحه بالكرم والجود.

ويصف الدكتور شبيلي شميل (1850-1917م) بالكرم والسخاء فهو لم يجمع المال طوال أيام حياته[7]:

عاشَ ما عاشَ لا يليقُ على الأ يـّامِ مالاً و لم يلنْ للصعِّابِ

ويشير إلى أن محمد سليمان (1872-1923م) كان كريماً جداً، إلى درجة أنه أوشك أن يصبح فقيراً من جراء كرمه[8]:

---

(١) عثمان بن أرطغرل: 656-726هـ هو مؤسس الدولة العثمانية. هامش الديوان: 11/2.
(٢)الديوان: 11/2.
(٣) عثمان أباظة: 1848-1896م تولى جملة مناصب، فكان ناظر قسم، ثم ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية، وعمل مفتشاً لتفتيش (الزنكلون) كان بيته ملتقى الأدباء والشعراء وكان حافظ كثير التردد عليه. هامش الديوان : 118/2.
(٤)الديوان: 119/2.
(٥)المرجع السابق: 121/2.
(٦)المرجع السابق:122/2.
(٧)المرجع السابق: 163/2.
(٨)المرجع السابق : 195/2.

أوشكَ أن يفقره جودهُ ومن صنوفِ الجود ما يفقر

ويصف مصطفى المنفلوطي (1876-1924م) بأنه فتى كريم فهو لم يخلف وراءه مالاً لأنه كان مغرماً بالأعطيات والهبات[1]:

لم تبق يا فتى المحامدِ مالاً فلقد كنتَ مغرماً بالهباتِ

هكذا تحدث حافظ إبراهيم عن الكرم ونلاحظ من خلال الأمثلة السابقة أنه أسقط صفة الكرم التي اشتهر بها بين أصدقائه على الشخصيات التي كان يمدحها أو يرثيها، فعندما قال إن أحدهم لم يجمع المال طوال حياته كان يتحدث عن نفسه .وعندما قال إن الآخر أوشك على الفقر من جراء كرمه أيضاً كان يتحدث عن نفسه، فقد ذكر الدكتور عبد الحميد سند الجندي أن:"من أخص صفات حافظ الجود الذي يكاد يبلغ حد السرفه، كانت حافظة نقوده في متناول كل يد... كان أجود من الريح المرسلة كما يقول صديقه البشرى، ولو أنه قبض يديه بعض الشيء لأصبح من أهل الثراء والغنى ، ويتحدث الناس عن سخائه بما يشبه الأساطير التي نقرؤها عن أجود العرب القدامى ... من ذلك أنه سمع عرضاً أن امرأة فقيرة تجاور داره بالجيزة قد جاءها المخاض فبعث إليها بعشر ة جنيهات، وكان مرتبه حينذاك لا يزيد على الأربعين جنيهاً"[2]. بالإضافة إلى أن حافظ في حديثه عن الكرم جاء ببعض التعبيرات الجميلة وإن كانت لا تعد مبتكرة.

---

(١) قصائد لم تنشر 266.

(٢) حافظ إبراهيم شاعر النيل- ص 50-51.

الإباء في اللغة: (أبِيَ) الشيءَ يأباه ويأبيه إباءً وإباءةً – بسكرهما- : كرِهَهُ.وآبِيَةٌ إليَّ. والآبِيَةُ: التي عافَ الماءَ والتي لا تريُدُ عَشاءً[1].

وهو: "شدَّة الامتناع. وكلُّ إباء امتناع، ولا عكس ورجل أبيٌّ: يأبى تحمُّل الضيَّم "[2].

"والأبي: الممتنع عن الانقياد"[3].

وكثيراً ما كان الإنسان العربي صعب الانقياد، وأكثر ما ظهر إباؤه وصموده في العصر الحديث ، أبان الاحتلال الأجنبي ، عندما قاوم الاستبداد والظلم حتى آخر قطرة في دمه، ورفض أن يعيش ذليلاً منكسراً في وطنه، وظل الشعب بجميع أفراده يقاوم، الرجل والمرأة والشيخ والطفل إلى أن زاحت غمة الاستعمار عن بلادنا العربية، وعادت إلى العربي كرامته.

تناول حافظ إبراهيم فضيلة الإباء في شعره ورأى في الشاعر الفرنسي فكتور هوغو صورة قوية للإباء ، لأنه فضل حياة المنفى على أن يعيش في وطنه ذليلاً منكسراً ، لذلك فهو عصامى وأبيّ كما أن المنفى قد زاد قريحته خصوبة مما أدى إلى غزارة إنتاجه[4]:

بشرَّوه بالتَّاني ونسوا أنه ذاكَ العصـــامي الأبي

كما وصف أحد الشيوخ بالإباء وأنه يستحق كل الرتب والأوسمة التي نالها من الدولة العثمانية[5]:

وما للخليفة أسدى إليه وساماً يليقُ بصدر الأبي ؟

ويصف القائد الفرنسي برثران[6] بالإباء والأنفة[7]:

و(برثران) الذّي حاكَ الإباءُ له ثوباً من الفخر أبلى الدَّهرَ والحقبا

كما يتحدث عن الروح الجديدة التي سرت في مصر روح تملؤها الغيرة وإباء الظلم ، فالإنجليز هم من أشعل نار الوطنية والإباء في نفوس المصريين بما صبوه عليهم من ظلم وإذلال ، فقد انقضى عصر النوم

---

(١) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة طاهر أحمد الزاوي (أبى) – ط3- دار الفكر.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف محمد عبدالرؤوف المناوي- ص 27 – تحقيق د/ محمد رضوان الداية – ط1- 1410هـ- 1990م- دار الفكر المعاصر – بيروت- دار الفكر- دمشق.

(٣) هامش كتاب التعريفات للجرجاني- ص 63.

(٤)الديوان: 21/1.

(٥)المرجع السابق: 199/1.

(٦) برثران: 1773-1844 م جاء مع نابليون إلى مصر حيث جعله قائداً للمدفعية. هامش الديوان: 213/1.

(٧)الديوان: 213/1.

والغفلة وانتهى مفعول المخدر الذي طالما خدرهم به الإنجليز ، وجاء عصر الوطنية الحرة وإباء الضيم ورفع الظلم[1]:

وفيه سرتْ في (مصرَ) روحٌ جديدةٌ مباركةٌ مـــن غـــــيرةٍ تتسعَّـــــرُ
تصدَّى فأوراها، وهيهات أن يهـرى سبيلاً إلى إخمادها وهـــــــــي تزفرُ
مضى زمنُ التوَّيم يا نيلُ وانقضـــى ففي (مصرَ) أيقاظٌ على (مصرَ) تسهرُ

ويصف الإنسان الشرقي بأنه يعشق المجد والكرامة ويأبى الذل والخضوع[2]:

إنّ في اضلاعنا أفئدةً تعشقُ المجدَ، وتأبى أن تضاما

ويعبر عن النفس العربية الأبية التي لا ترضى بعيش الذل والهوان[3]:

لا نرتضى العيشَ يجرى في ذلةٍ وهوان

ويرى أن الشعب المصري شعب قوي وأبي ، فإما أن يعيش حياة كريمة أو يموت ، فذلك أفضل من حياة الذل والاستعباد[4]:

إلاّ جمعنا للجهاد صفوفنا سنموتُ أو نحيا ونحن كرامُ

كما يصف حافظ نفسه بإباء الإنسان الكريم وصبر الحليم ومفاخرة الإنسان الثري[5]:

تعودنَ مربِّي إباءَ الكريم وصبرَ الحليم وتيهَ الغنى

ويصف قاسم أمين (1865-1908م) بالإباء لأنه ظل قوياً متماسكاً ومتمسكاً بمبادئه على رغم ما وجه له من طعن ونقد وتجريح عندما أصدر كتابيه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة)[6]:

قد كنتَ أشقانا بنا، وكذا يشقى الأبى بصحبة الوكلِ[7]

ويرى أنه برحيل مصطفى كامل (1872-1908م) أصبح هناك فراغاً لا يملؤه إلا رجل أبي يشتعل غيرة وحمية[8]:

---

(١)الديوان: 35/2.

(٢)المرجع السابق: 59/2.

(٣)المرجع السابق: 63/2.

(٤)المرجع السابق: 92/2.

(٥)المرجع السابق: 111/2.

(٦)المرجع السابق: 143/2.

(٧) الوكل: الضعيف العاجز الذي يكل أمره إلى غيره:هامش الديوان143/2

(٨)الديوان: 146/2.

تركتَ فينا فراغاً ليس يشغلهُ إلا أبى ذكي القلبِ مضطرمُ

ويرى أن في الموت انتصاراً للأبي على الدهر الغادر لأن الأبي يفضل الموت على أن يذوق ذل الزمان[1]:

صدقتَ ففي الموتِ نصرُ الأبي على الدَّهرِ إنْ هو يوماً غدرْ

وقد وصف الشعب المصري بالإباء والثبات على المبدأ فقد عذبهم الإنجليز بشتى أنواع الظلم والعذاب ومع ذلك لم يجدوا من أحد منهم ميلاً أو استسلاماً[2]:

هل ظفرتم مرّ بقلب أبي أو رأيتم مرّ إليكم مثابا؟

كما يصف أمين الرفاعي بك (1886-1927م) بأنه رجل أبيّ ثابت على مبادئه؛ فالمال لا يغريه ليحيد عن مبادئه، ولا يلين ولا يضعف ولا يتراجع عن مواقفه مهما قست عليه الظروف[3]:

لم يلوهِ المالُ عن رأيٍ يدينُ به (ولو حملتَ إليه الدَّهرَ ملآنا)

و لم يلنْ عوده للخطبِ يرهقه قسا عليه شديدُ العيش أم لانا؟

كما يشير إلى أن محمود سليمان أورث أبناءه أخلاقه الكريمة من الرفعة وشرف النفس والإباء وعزة الشأن[4]:

أورثتهم شمماً، هشَّ الإباءُ لهُ وأورقت في ذراهُ عزَّةُ الشَّانِ

و يشير إلى أن محمد المويلحي (1858-1930م) رجل أبى لأنه عاف الغنى الذي لا ينال إلا بالذل لأن فقد الإباء شر ما يصاب به المرء[5]:

ونبذتَ الثَّرَاءَ تبذلُ فيه من إباءٍ في بذله شرُّ عابِ

وحديث حافظ إبراهيم عن الإباء اقترن في أحيان كثيرة بالظلم، وذلك شيء طبيعي لأن صفة الإباء أكثر ما تظهر عندما يتعرض الإنسان للظلم والإهانة. وقد وصف حافظ نفسه بالإباء، ولكني اختلف معه كثيراً؛ فهو لم يكن بالرجل الأبي وذلك لأنه كان غير راض عن أداء الحكومة في تلك الفترة ، وغير راض عن الوضع السياسي والأمني والإنساني في تلك الفترة، ومع ذلك لم يجرؤ على البوح ، فقد كانت له أشعار ينتقد فيها الحكومة، ولكن كان يفضل أن يقولها في الخفاء خوفاً من السلطة، و لم يقف الأمر عند ذلك بل إنه كان يمدح الحكومة ، ويتمنى أن يكون ذا حظوة عندها، وكان يمدح المحتلين مح ولاً

(١)الديوان: 192/2.

(٢)المرجع السابق: 202/2.

(٣)المرجع السابق: 205/2.

(٤) المرجع السابق: 216/2.

(٥) المرجع السابق: 219/2.

مساوئ الاستعمار إلى محاسن وذلك نحو قوله يصف اللورد الإنجليزي بأنه كان رحيماً بالضعفاء يقدم لهم المساعدة ويمد لهم يد العون إذا نزلت بهم المحن [1] :

وكنتَ رحيمَ القلب تحمي ضعيفنا وتدفعُ عنّا حادثَ الدَّهرِ إن عدا

فهذا البيت دليل واضح على تملق حافظ للمستعمرين .

(١) : لمرجع السابق 21/2 .

التواضـــــع

التواضع في اللغة: "من وضع أصل واحد يدلُّ على الخَفضْ [للشيء] وحَطّه وَوَضَعْتُبالأرض وَضعاً، وَوضعَت المرأة ولدها[1].

وقال الفضيل بن عياض:"هو الخضوع للحق والانقياد له ولو سمعته من صبي لقبلته"[2].

ويرى الدكتور أحمد عبدالرحمن أن التواضع لا بد أن يكون ضرباً من التقويم النقدي الموضوعي للنفس وللآخرين.

ومعنى هذا أن الغيرية داخلة فيه، لكن على نحو خاص غير إيجابي فالإنسان المتواضع لديه حرص على أن يتعرف على الناس معرفة نقدية موضوعية، لذلك نجده يبحث في شخصياتهم على ما يميزهم ، ويفترض أن هناك الكثير من المواهب والفضائل التي يتحلون بها، ولم يطلع عليها بعد، ومن جهة أخرى نجده حذراً جداً في تقويمه لنفسه فهو يخشى الوقوع في المبالغة ، أما إذا أخطأ الآخرون في تقويمه فإنه يسعى إلى توضيح الأمر لهم بنفسه[3]

تحدث حافظ عن فضيلة التواضع من خلال وصفه لبعض الشخصيات وإشارته لبعض المواقف فقد وصف أحد الشخصيات بالتواضع، وأن تواضعه قد استمر معه إلى أن وصل إلى أعلى المراتب[4]:

لبسَ التواضعَ حلةً ومشى إلى رتبِ الجلالِ مسدَّدَ الأقدامِ

كما أشار إلى موقف خالد بن الوليد عندما استقبل عزل عمر بن الخطاب له عن إمارة الجيش بكل رحابة صدر، وأطاعه ولم يعترض، وقد نفذ بلال بن رباح أمر عمر بن الخطاب في خالد بأن يجره بعمامته، بعد أن استحيا أبو عبيدة بن الجراح أن يفعل ذلك فوضع بلال عمامة خالد في رقبته ثم أعادها إلى رأسه مرة أخرى، وقال له: نطيع أمراءنا ونكرم سادتنا[5]:

واستقبلَ العزلَ في إبلٍ سطـــوته ومجده مستريحَ النفّس هاديه ـــا

يقوده حبشي في عمـــــامتـــــه ولا تحرِّكُ مخـزومٌ عـواليهـــا

---

(١) معجم مقاييس اللغة ابن فارس (وضع).

(٢) الأخلاق في الإسلام د: كايد قرعوش/ د. خالد القضاة/ د. عبدالرزاق أبو البصل/ د. محمد حسن الشبلي/ د. محمد نصر موسى/ د. نصر البنا/ د. وليد السعد- ص 205- ط4-1424هـ-2004م- دار المناهج للنشر والتوزيع – عمان – الأردن.

(٣) الفضائل الخلقية في الإسلام- ص 234-235 (بتصرف).

(٤)الديوان: 24/1.

(٥)المرجع السابق: 46/1.

ألقى القيادَ إلى الجـــرّاحِ ممتثـــلا وعزّةٌ الرَّمسِ لم تجرح حواشيها
وانضمَّ للجند يمشى تحتَ رايتـه وبالحياة إذا مـــالت يفدِّيهـــــا

وهذا يدل على تواضع خالد بن الوليد، فهو لم يعترض و لم يثر بل امتثل لأمر عمر وسلم قيادة الجيش لأبي عبيدة بن الجراح، وانضم للجند كواحد منهم.

كما أشار حافظ إلى موقف رسول كسرى عندما جاء إلى بلاد المسلمين في خلافة عمر بن الخطاب باحثاً عن الخليفة، وكان متوقعاً أن يراه في قصر مثل قصور الملوك والسلاطين، لكنه تفاجأ عندما وجد خليفة المسلمين يسكن في بيت مثل بيوت أفقر العرب، فدهش مما رآه، وبحث عنه فوجده نائماً تحت ظل شجرة عظيمة، متخذاً من الرمل وسادة تحت رأسه، ومتلففاً ببردة قديمة بالية، فهاله هذا التواضع من أمير المؤمنين[1]:

وراعَ صاحبَ (كسرى) أن رأى عمراً بينَ الرَّعيةِّ عطلاً وهو راعيها
فوق الثرَّى تحت ظلِّ الدَّوحِ مشتمـــلاً ببردةٍ كادَ طولُ العهدِ يبليها

و يشير- أيضاً- إلى ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أراد الذهاب إلى بيت المقدس فرأى فرسه يتوجع فنزل عنه، وركب برذون وهو ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحمار فهزه، فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال : قبح الله من علمك هذا الخيلاء، ثم دعا بفرسه بعدما تركه أياماً فركبه حتى وصل إلى بيت المقدس[2]:

ردُّوا ركابي فلا أبغى به بدلاً ردُّوا ثيابي فحسبي اليوم باليها

ويصف إحدى الشخصيات بالتواضع ويرى أن تواضعه جعله من أحسن الناس[3].

حلوُ التواضعِ والتقَّى ضعُ آية القوم الخيار

كما يرى أن قاسم أمين (1865-1908م) كثير الفضائل ومتواضع في غير ابتذال[4]:

جمُّ المحامد غيرُ مهضَّمٍ جمُّ التقَّاضعِ غيرُ مبتذلِ

ويشير إلى أحد الفلاسفة الروس بأنه عاش حياة ا لزاهدين على رغم أنه كان يملك الكثير من الأموال ومات و لم يزره الغرور لحظة[5]:

---

(١) الديوان: 51/1.

(٢) المرجع السابق: 52/1.

(٣) المرجع السابق: 74/1.

(٤)المرجع السابق: 142/2.

(٥)المرجع السابق: 150/2.

يناديكَ: أهلاً بالذّي عاشَ عيشنا وماتَ و لم يدرج إليه غرورُ

كما يصف إسماعيل صبري باشا (1854-1923م) [1] بالتواضع وأن هذا التواضع يزين نفسه كما يزين الحياء النساء[2]:

يزينُ تواضعه نفسه كما زانَ حسنَ الملاح الخفرْ

ويرى أن تواضع العالم الحقيقي له روعة يسقط معها تكبر مدعى العلم[3]:

تواضعٌ العلمِ له روعةٌ ينهار منها صلفُ المدَّعى

ويصف عبدالخالق ثروت باشا (1873-1928م) بأنه رجل متواضع لين الجانب لم يخالط نفسه الزهو والكبر[4]:

حلوُ التَّواضعِ لم يخالط نفسه 56 زهوُ المدلِّ يحاطُ بالإعجابِ

ومن خلال حديث حافظ إبراهيم عن التواضع نلاحظ أنه ركز على مواقف بعض الشخصيات التي تدل على تواضعهم ووصف البعض الآخر بالتواضع بشكل مباشر ولكن كلتا الحالتين كانت مجرد إشارات سطحية لصفة التواضع و لم يتناو ل هذه الفضيلة بشيء من العمق والفلسفة التي تسهم في إظهار خلجات النفس ومكنوناتها التي بدورها تكسب الشعر إحساسه الطبيعي .كما أن حافظ نفسه كان يتصف بهذه الصفة الجميلة وقد وضحنا ذلك من خلال ترجمتنا له في مقدمة البحث.

---

(١) إسماعيل صبري: 1854-1923م تولى عدة مناصب قضائية وإدارية، وآخر منصب تولاه وكالة الحقانية عرف شعره بالرقة ولطف الصياغة وجودة النسيب. هامش الديوان: 187/2.

(٢) الديوان: 190/2.

(٣) المرجع السابق: 208/2.

(٤) المرجع السابق: 210/2.

الرحمـــــة

الرحمة في اللغة: من رحم وتدل على الرّقةّ والعطف والرآفة. يقال من ذلك رَحِمَه يَرْحَمُه، إذا رَقّ له وتعطّفَ عليه[1].

" وهي رقة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس. أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس، أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر"[2].

وهي أيضاً:" عبارة عن التخلص من أنواع الآفات وعن إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات"[3].

ويرى الدكتور أحمد عبدالرحمن إبراهيم أن الرحمة مبادرة إنسانية تدل على سمو الحس الإنساني وتوطد مشاعر الإخاء بين أفراد المجتمع الواحد فهي التعبير العملي عن تعاطف الإنسان مع أخيه الإنسان فيما يواجهه من أحزان[4].

كثيراً ما كان الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- هو المثال الذي يحتذى به في معظم الفضائل التي تحدث عنها حافظ إبراهيم، وها هو ذا مثال يحتذى به في الرحمة فقد وصفه حافظ بأنه رحيم بالضعفاء قوي جبار على الأقوياء المتجبرين[5]:

كم خفتَ في الله مضعوفاً دعاك به وكم أخفتَ قوياً ينثنى تيها

وذكر أنه كان رحيماً جداً ولكنه لا يظهر ذلك وإنما يظهر قوته وقسوته فهو في أقصى حالات قوته وغضبه كان يحمل في صدره قلب أم حانية على أولادها[6]:

في طى شدَّته أسرارُ مرحمةٍ للعالمينَ ولكن ليسَ يفشيها

وبينَ جنبيه في أوفى صرامته فؤادُ والدة تـرعى ذراريها

ثم يصف كلمات أحمد شوقي (1868-1932) بأنها أحن على من أضناه التعب من الشجرة العظيمة الوافرة الظلال وأعطف على المولود من ثدي أمه[7]:

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (رحم)

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها عبدالرحمن حبنكة- 5/2.

(٣) التفسير الكبير – الإمام الفخر الرازي- 7/1- ط3- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(٤) الفضائل الخلقية في الإسلام- ص 75 (بتصرف).

(٥) الديوان: 44/1.

(٦) المرجع السابق: 54/1-55.

(٧) المرجع السابق: 77/1.

أحنُّ على المكدود من ظلِّ دوحةٍ وأحنى على المولودِ من ثدى مرضعِ
على سهِّها رفقٌ يسيلُ ورحمـةٌ وروحٌ لمن يأسى وذكرى لمن يعــى

ويصف مشرط أحد الإطباء بالرحمة واليمن والرفق فهذا المشرط يساعد على تخفيف آلام الناس ويساعد على شفاء المرضى[1]:

ومشــرطاً جمِّعَ من رحمةٍ وصيغَ من يمنٍ ومن رفق

ويخبر حافظ أنه رحم حال فتاة مسكينة لأنه مثلها عاش حياة اليتيم والفقر والتشرد[2]:

فعلمتُ ما تخفى الفتاةُ، وإنما يحنـــو على أمثالها أمثالي

كما يشير إلى أن دور رعاية الأطفال تفيض بالرحمة والحنان التي تغمر من ينزل بها[3]:

ملئتْ رحمة وفاضت حناناً فهي للبائساتِ دارُ السلَّامِ

ويخاطب اللورد الإنجليزي بمصر ويحثه على الرحمة والمودة لكي يستطيع استمالة الشعب[4]:

فاجعلْ شعارَكَ رحمة ومودَّةً إن القلوبَ مع المودَّة تكسبُ

ويصفه – أيضاً- بأنه كان رحيماً بالضعفاء يقدم لهم المساعدة ويمد لهم يد العون إذا نزلت بهم المحن[5]:

المحن[5]:

وكنتَ رحيمَ القلب تحمى ضعيفنا وتدفعُ عنا حادثَ الدَّهرِ إن عدا

ويعد هذا مظهراً من مظاهر تملق حافظ للمستعمرين.

وينصح حافظ العرب أن ينهجوا نهج الغرب في النهوض والتقدم ولكن عليهم أن يجتنبوا طمعهم وجشعهم وأن يلتزموا بالرحمة والتقوى التي هي من مبادئ دينهم[6]:

جانبِ الأطماعَ وانهج نهجه واجعلِ الرَّحمةَ والتقوَى لزاما

ويصف محمود سليمان بالبر والرحمة فقد أقام لأبنائه صرحاً عالياً من المجد والسمعة الحسنة[7]:

يذكرنَ برَّاً رحيماً قد أقامَ لهم صرحاً من المجد أعلى ركنه الباني

(١) الديوان: 97/1.

(٢) المرجع السابق: 215/1.

(٣) المرجع السابق: 226/1.

(٤) المرجع السابق: 19/2.

(٥) المرجع السابق: 21/2.

(٦) المرجع السابق: 55/2.

(٧) المرجع السابق: 216/2.

حديث حافظ إبراهيم عن فضيلة الرحمة تميز بأنه خلع صفة الرحمة على الجماد على كلمات شوقي ومشرط الطبيب وبذلك يكون حافظ خرج من روتين الوصف المباشر للشخصيات وذكر مواقفها كما أنه وسع مفهوم الرحمة وفتح له آفاقاً جديدة.

المـــــــروءة

المروءة في اللغة: هي كمال الرجولة[1].

"هي صفة للنفس تحملها على فعل كل خير، ودفع كل ضر كلما وجدت لذلك سبيلاً، فهي عنوان علو الهمة، وشرف النفس، ودليل الكرم"[2].

ذكر في كتاب فتح الخلاق في مكارم الأخلاق أن المروءة كلمة جامعة وشاملة للعديد من الفضائل والأخلاق الكريمة، مثل الكرم والشجاعة وعزة النفس فهي تجعل صاحبها محبوباً ممن حوله متطلعاً دائماً إلى الكمال، ومتمسكاً بالخصال الكريمة، فمن تجرد من المروءة فقد تجرد من جملة الأخلاق الفاضلة وعاش نذلاً خسيساً منبوذاً ممن حوله فلا يجد صديقاً يعطف عليه ويواسيه إذا أصيب بمكروه ولا قريباً يتودد إليه إذا نزلت به نازلة فتضيع حياته في التعاسة والوحدة والوحشة ويحرم من الاستمتاع بالحياة لأنه لا يأتي إلا بمشاركة الناس أفراحهم والتعاون معهم في أوجه الخير والصلاح[3].

من خلال حديث حافظ إبراهيم عن المروءة كسر قاعدة كانت سائدة عند العرب والمسلمين ، حيث كانوا دائماً يضعون اليهود في الجهة المقابلة لهم، لكن حافظ من خلال وصفه لأحد المغنيين اليهود بالمروءة والرجولة كسر تلك القاعدة[4]:

ومروءةٌ لو أنّها قد قسِّمتْ بينَ اليهود لأحسنوا وتصدَّقوا

فهذه المروءة لو قسمت على اليهود وهم شعب متمرد ومخادع لأحسنوا وتصدقوا.

كما يصف الأطباء الذين يعملون في دار رعاية الأطفال بالمروءة فهم ، لم يحرجوا الفتاة ويسألوها عن اسمها فكل ما يهمهم هو إنقاذ المريض بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى وهو يشير إلى وجوب التراحم والتعاطف ويهدف إلى استنهاض مروءة الشعب[5]:

لم يخجلوها بالسؤالِ عن اسمها تلك المروءةُ والشعُورُ العالي

يا عينُ سحى، يا قلوبُ تفطَّرى يا نفسُ رقى يا مروءةُ والى

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مرأ).

(٢) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق- أحمد سعيد الدجوي- ص 74- تحقيق عبدالرحيم مارديني- ط1- 1411هـ- 1991م- مكتبة دار المحبة- دمشق.

(٣) المرجع السابق (بتصرف).

(٤) الديوان: 170/1.

(٥) المرجع السابق: 217/1-218.

ويذكر حافظ أن قلبه يهتز اشتياقاً لذكرى المروءة والكرم وسائر الصفات الكريمة التي يتصف بها الشعب المصري[1]:

وتهزُّني ذكرى المروءة والنَّدَى بين الشمائلِ هزَّةَ المشتاقِ

ثم يصف الغريق الذي سقط من القطار في نهر النيل وأنقذه أ حد ركاب القطار بأنه من أصحاب المروءة والبر[2]:

ورأينا شخصَ المروءة والبـــ ـــرِّ تبدى في شخص ذاكَ الهمامِ

ثم إنه يطلب من النساء أن يخرجن ويظهرن مروءتهن ومساعدتهن للبائسين ، لأن وجودهن جنباً إلى جنب مع الرجل يقويه ويجعله أكثر اندفاعاً ، كما أن رجال الإسعاف يعرضون أنفسهم للخطر من أجل إنقاذ الآخرين لا لشيء سوى أن مروءتهم تدفعهم لذلك[3]:

قمن علِّمننا المروءةَ والعطـــ ـــفَ على البائسين والسؤَّالِ

لا لشيءٍ سوى المروءةَ يحلو طعمها في فـم المريءِ الموالي

كما يطلب من الإنسان العربي أن يسابق الغربي في النهوض ولكن ع ليه أن يلتزم بالمروءة والقوة التي عرف بها[4]:

سابقِ الغربى واسبقْ واعتصم بالمروءات وبالبأسِ اعتصاما

ويخبر المتسائلون عن المروءة والوفاء والرأي السديد وأنها متمثلة في شخص مصطفى كامل باشا (1874-1908م) [5]:

فيا سائلي أين المروءةُ والوفا وأين الحجا والرَّأى ؟ ويحكَ هاهيا

ثم يصف أحمد حشمت (1858-1926م) بالكرم والمروءة فقد أصبح الكرم مستوحشاً بعده والمروءة أقفرت[6]:

وأرى الندّى مستوحشاً قلقاً وأرى المـــــروءةَ أقفرتْ ربعاً

في حديث حافظ إبراهيم عن المروءة نلاحظ أنه توقف عند المعنى الحرفي للمروءة والمروءة خ لق مركب يدخل فيه عدد من الأخلاق ، كما أشرت إلى ذلك في بداية الحديث عن المروءة ، وهذه الميزة في المروءة تفتح آفاقاً واسعة أمام الشاعر لكي ينظر إليها من زوايا متعددة ، ولكن حافظ لم يستغل هذا الجانب وتوقف عند المعنى الحرفي الإشاري للمروءة.

---

(١) الديوان: 219/1.

(٢) المرجع السابق: 227/1.

(٣) المرجع السابق: 246/1-247.

(٤) المرجع السابق: 55/2.

(٥) المرجع السابق: 134/2.

(٦) قصائد لم تنشر: 267.

الصـــــــدق

الصدق في اللغة: الصِّدْقْ: خلاف الكَذِب، سمّي لقوّته في نفسه، ولأن الكَذِبَ لا قوّة له، هو باطلٌ ، وأصل هذا من قولهم شيءٌ صِدّقٌ، أي صُلْب[1].

الصدق:" الإخبار عن الشيء على ما هو عليه في الواقع"[2].

يرى الدكتور أسعد السحمراني أن الصدق من أهم الفضائل التي تزرع الثقة بين الناس مما يثمر وحدة مجتمعية وتماسكاً قوياً بين أفراد الجماعة الواحدة ، كما أن الصدق يبرز استقامة الإنسان الذي يتصف به ويوضح شجاعته واتزانه ، لأن الصدق يجمع خصالاً محمودة قلما وجدة في غيره[3].

قد تناول حافظ إبراهيم الصدق في شعره وبدأه بالحديث عن نفسه بأنه لم يصف كأساً بمعنى أنه لم يصف خمراً، ولم يتلذذ بها ولم يبك على الإطلال ، ولم يدع شيئاً لنفسه وهو في الواقع لغيره ، ولم يتكلف النبل ويتشبه بالنبلاء، وجميع هذه الصفات من الأخلاق الحسنة التي تدل على صدقه مع نفسه ومع الآخرين[4]:

ولم أصف كأساً ولم أبكِ منزلاً ولم أنتحل فخراً ولم أتنبلِ

ويتابع حديثه عن نفسه ويشير إلى أن من سمعوا شعره في الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) قالوا له صدقت في مدحه، وهو يرى أنهم صادقون فيما وصفوه به من مصداقية في مدحه له[5]:

قالوا صدقتَ فكان الصِّدْقَ ما قالوا ما كلُّ منتسبٍ للقولِ قوّالُ

وهو بذلك يثبت لنفسه الصدق ، بمعنى أنه لا يمدح الرجل إلا بما هو فيه والصدق من أهم الصفات التي تجعل الناس يفضلون شاعراً على آخر ، فعمر بن الخطاب – رضي الله عنه- كان يفضل زهير بن أبي سلمى لأنه كان لا يمدح الرجل إلا بما هو فيه بمعنى أنه كان يتحرى الصدق في شعره.

كما يصف الشاعر الفرنسي فكتور هوجو بصدق القول[6]:

قلتَ عن نفسكَ قولاً صادقاً لم تشبهُ شائباتُ الكذبِ

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (صدق).

(٢) الأخلاق في الإسلام د/عبد اللطيف محمد العبد- ص 170- ط2- 1409هـ - 1988م- دار التراث – المدينة المنورة.

(٣) الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة- ص 133 (بتصرف).

(٤) الديوان: 2/1.

(٥) المرجع السابق: 3/1.

(٦) المرجع السابق: 22/1.

ويرى أن الذي حمى شعر شوقي (1868-1932م) من الزلل هو أنه جعل الحقيقة غرضه الذي يرمى إليه في قصائده[1]:

ما كان يأمنُ عثرةً لو لم يكن روحُ الحقيقةِ ممسكاً بعنانهِ

وهو بذلك يمدحه بالصدق في شعره.

كما يصف أحد المثقفين بأنه محب للصراحة والصدق والوضوح وكاره لمن يظهر خلاف ما يبطن[2]:

يا عاشقَ الخلق الصرِّيـــــ ـــحِ وشانيءَ الخلق الموارى

ويرى أن جريدة الشرق تهدف إلى الحقيقة والإصلاح[3]:

الحقُّ فيه زيته، وفتيله صدقُ الحديثِ، ونوره الإصلاحُ

ويصف حنفي ناصف بك [4] بأنه عاش وظل حتى أواخر حياته وهو في كامل قواه العقلية فلم يصيبه ما يصيب العقل من أمراض الشيخوخة كما أنه إنسان صادق في تعامله مع الناس فهو يعاملهم في مغيبهم مثلما يعاملهم في حضورهم[5]:

عاشَ خصبَ العمر موفور الحجا صادقَ العشرةِ مأمونَ المغيبِ

ويرى أن سعد زغلول (1860-1927م) بصراحته وصدقه يقتل ما يقوم به المنافقون من مؤامرات ودسائس فمنهجه هو الصدق والصراحة والوضوح[6]:

تقتلُ الدسَّ بالصرَّاحـــــة قتلاً وتسقِّى منافقَ القوم صـــابا

وترى الصدِّقَ والصرَّاحةَ ديناً لا يراهُ المخالفون صـــوابا

تعشقُ الجوَّ صافي اللَّون صحواً والمضلون يعشقونَ الضبَّابا

أنـــت أوردتنا من المـــاء عذباً وأراهم قد أوردونا السَّرابا

فسعد زغلول عاشق للشفافية مع الجماهير في سياسته أما الإنجليز فإنهم من عشاق سياسة التعتيم.

---

(١) الديوان: 61/1.

(٢)المرجع السابق: 74/1.

(٣)المرجع السابق: 100/1.

(٤) محمد حنفي بيك ناصف: (1272-1337هـــ) هو ابن الشيخ إسماعيل ناصف كان أستاذ اللغة العربية في مدارس الحكومة اختير للتدريس في مدرسة الحقوق، فتعلم القانون وترك التدريس وانتخب كاتب سر للنائب العمومي، ثم عين قاضياً بالمحاكم الأهلية فوكيلاً لإحدى المحاكم، وانتخب لتدريس الأدب العربي في الجامعة المصرية وهي أهلية، ثم انتخب مفتشاً أول للغة العربية بوزارة المعارف. هامش الديوان: 130/1.

(٥) الديوان: 186/2.

(٦) المرجع السابق: 203/2.

من خلال الأمثلة السابقة نلاحظ أن حافظ إبراهيم بدأ حديثه عن الصدق بنفسه، فقال إنه لم يصف الخمر و لم يتلذذ بها في حين أن لديه قصائد كاملة في ديوانه عن الخمر ، يصف فيها الخمر ويتلذذ بها، وقد سميت بالخمريات بالإضافة إلى أبيات و صف الخمر التي كانت تأتي في أثناء قصائ د مدحه ورثائه وشكواه كما أن مفهوم الصدق واسع جداً ولكن حافظ كعادته اكتفى بالمعنى الإشاري الحرفي للصدق.

الأمـــــــــــانة

الأمانة في اللغة:"الأمانة هي ضد الخيانة، ومعناها سُكون القلب، قال الخليل: الأَمَنَةُ من الأمن، والأمان إعطاء الأَمَنَةَ، والأمانة ضد الخيانة[1].

هي:" شعور المرء بتبعية في كل أمر يوكل إليه، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه على النحو الذي فصله الحديث الكريم[2]: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية و هي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع، وهو مسؤول عن رعيته"[3].

ذكر الدكتور محمود بابللي أن الأمانة من أبرز الصفات الحميدة التي يجب على المسلم التخلق بها، لأنها تشيع الثقة بين الناس فيزداد إقبالهم على التعامل مع هذا الإنسان المشهور بالأمانة ، لأنهم متيقنين من سلامة عاقبة تعاملهم معه.

كما أنها كانت من أبرز الصفات التي عرف بها الرسول صلى الله عليه وسلم بين قومه قبل البعثة، لذلك سموه الصادق الأمين، وقد كان لأخلاقه الفاضلة تأثيراً كبيرا على الكثير من الناس، فدخلوا الإسلام دون تردد لما عرف عن الرسول الكريم من أمانة وصدق وأخلاق فاضلة[4].

وتحدث حافظ إبراهيم عن الأمانة في شعره ، وبدأ حديثه عنها بوصفه أحد الشخصيات بأنه خير من يؤتمن على الحج، وخير من يكون العين الساهرة التي ترعى وتنظم الحج[5]:

يا أميرَ الحجِّ ! أنت له خيرُ واقٍ خيرُ مؤتمنِ

كما أنه يصف الإمام محمد عبده(1266-1323هـ) بالأمانة في كل شيء[6]:

يا أميناً على الحقيقة وإلافـ ـتاءِ والشرَّعِ والهدى والكتابِ

كما يذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لا يقدم على قول أو فعل إلا أراد به مصلحة رعيته وفائدتها وهذا يدل على حرصه ومدى إحساسه بالأمانة والمسؤولية[1]:

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (أمن).

(٢) خلق المسلم – محمد الغزالي– ص 45 –ط2– 1406هـ/1986م– دار القلم للطباعة والنشر – دمشق.

(٣) رواه البخاري 119/13 في فتح الباري بشرح صحيح البخاري– أحمد بن علي بن حجر العسقلاني– تقديم وتحقيق وتعليق عبد القادر نبيه–ط1– 1421هـ – 2001م– مكتبة الملك فهد الوطنية– الرياض.

(٤) معاني الأخوة في الإسلام ومقاصده– ص 147 (بتصرف).

(٥)الديوان: 2/1.

(٦)المرجع السابق: 11/1.

فما يعالجُ من قولٍ ولا عملٍ إلا أرادَ به للرّاسِ ترفيها

كما تطرق حافظ إلى الأمانة الأدبية حيث أشار إلى أمانة الكاتب الذي قام بترجمة كتاب نوادر الفلك لأرسطو، فقد كان حريصاً على نقل كل معلومات الكتاب ، كما هي في الأصل، وقد كان يرى حافظ أن الترجمة يجب أن تكون نسخه طبق الأصل عن الكتاب المترجم، وإن لم تكن كذلك فإنها تذهب سدى[2]:

تصونُ معنى ربـهِ صـــــونَ اللآلِيء في المحارِ

والرَّجُلُ إن عدمَ الأما نةَ كـــــان عنوانَ الخسارِ

ويحث مصطفى صادق الرافعي (1880-1937م) على امتلاك ناصية الشعر والأمانة فيه[3]:

وهذا الصوَّلجانُ فكن حريصا على ملكِ القريض وكن أمينا

65

كما يصف أمين الرافعي بك (1886-1927م) بالأمانة والقوة فقد كان يتلقى الخطوب العظام بالفرح[4]:

إلى أمينٍ على أوطانه يقظٍ ذي مرّةٍ يتلقى الخطبَ جذلانا

من خلال الأمثلة السابقة تحدث حافظ إبراهيم عن الأمانة وأشار إلى الأمانة الأدبية وشدد على ضرورة الأمانة في الترجمة وأنها يجب أن تكون نسخة طبق الأصل ، وهذا ما لم يفعله حافظ في ترجمته لرواية البؤساء التي ألفها الشاعر الفرنسي فكتور هوجو(1802-1885م)، فقد خرجت نسختها العربية بملامح مختلفة عن النسخة الفرنسية الأم، وهذا يدل على عدم أمانة حافظ في الترجمة، وقد يعود إلى عدم تمكنه من اللغة الفرنسية [5] .

---

(١) المرجع السابق: 47/1.

(٢) الديوان: 72/1-75.

(٣) المرجع السابق: 101/1.

(٤) المرجع السابق: 206/2.

(٥) أنظر: حافظ ابراهيم شاعر النيل ، د. عبدالحميد سند الجندي ، ص 219-220

فضائل أخرى

هناك بعض الفضائل التي أومأ إليها حافظ إبراهيم بإشارات قليلة تجعلنا نجملها تحت هذا العنوان لقلتها وندرة ورودها في ديوانه بخلاف الفضائل التي تحدثنا عنها سابقاً.

ومن هذه الفضائل القناعة التي تحدث عنها حافظ من خلال حديثه عن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- الذي كان يقنع بالقليل، بل إنه قد يجوع أحياناً، فهو الذي قال لزوجته عندما طلبت الحلوى: إن شهوات النفس جامحة بلا قيود ، ولكن كسرة الخبز تؤدي نفس الغرض الذي تؤديه الحلوى فكلاهما يسد الجوع، وقد حثها على القناعة لأنها تغنى نفس المتجمل بها[1]:

جوعُ الخليفة – والدُّنيا بقبضتـــه ... في الزُّهد منزلةٌ سبحان موليهـــا

لا تمتطى شهوات الرِّفسِ جامحـــةً ... فكسرةُ الخبزِ عن حلواك تجزيها

قال: اذهبي واعلمي إن كنتِ جاهلةً ... أنَّ القناعةَ تغنى نفسَ كاسيهـــا

ويلى على عمـــرٍ يرضى بموفيـــة ... على الكفافِ وينهى مستزيديها

كما أشار إلى التسامح ووصف كل من تبرع للجمعية الخيرية الإسلامية بالسلام النفسي والتسامح[2]:

لم يدعُ مسماحاً إلى ... إنعاشها إلا أجابْ

وقـــد كان حافظ يتمتع بروح متسامحة محبة للخير، فعلى رغم ما قاسى الشعب المصري من ظلم السلطان عبد الحميد[3] إلا أنه يوصيهم به خيراً، ويطلب منهم عدم الاثقال عليه وظلمه[4]:

أكرموهُ، وراقبوا اللهَ في الشيـــ ... ـــخِ، ولا ترهقوهُ بالهدَّيدِ

كما يطلب الصفح عن زلات بعض الزعماء التي بدت في ذلك الحين على رئاسة المفاوضات الرسمية[5]:

الرسمية[5]:

واصفحوا عن هنات من كان منكم ... رُبَّ هافٍ هفا على غير عمدِ

كما نجده يصف سليمان أباظة (1834-1897م) بالتسامح[6]:

---

(١) الديوان: 1/53-54.

(٢) المرجع السابق: 1/241.

(٣) السلطان عبد الحميد: (1842-1918م). ولى الملك في أغسطس سنة 1876م وخلع 1908/4/27م. هامش الديوان: 2/37.

(٤) الديوان: 2/38.

(٥) المرجع السابق: 2/81.

(٦) المرجع السابق: 2/122.

ومحامٌد نسجتْ له أكفـــــانه من عفّـــَه، وسماحةٍ، وإباءِ

وأشار في حديثه عن شكر النعمة إلى أبناء سليمان أباظة (1834-1897م) ووصفهم بعدما تم شفاء أبيهم بأنهم بين فخور بما من الله به عليهم من شفاء والدهم وبين شكورلله على نعمة الشفاء[1]:

وباتَ بنوكَ الغرُّ ما بينَ رافل بحاقٍّ يمنٍ أو شكـــورٍ لمولاهُ

ثم نجده يعترف بنعمة الله التي أنعم بها على الأراضي المصرية بوجود نه ر النيل الذي يفيض عليهم بالخيرات[2]:

نيلٌ يفيضُ على سهولكِ رحمةً وفتى يقيك غوائلَ العثراتِ

ويبدو أن حافظاً رجل متفائل لأنه ينظر إلى النصف الممتلئ من الكأس؛ فهو يطلب منا أن ننظر إلى إيجابيات العام المنصرم، فإن مات فيه الألوف فقد ولد وعاش فيه الملايين من البشر[3]:

وإن قيلَ أودى بالألوفِ أجابهم 67 مجيبٌ: لقد أحيا الملايينَ فانظروا

وتحدث- أيضاً- عن البشر والترحاب واستقبال الضيوف بوجه بشوش ووصف أحدهم بذلك[4]:

وهشٌ إن لاقيتني وتخصني بالبشرِ في ناديك والترَّحابِ

كما وصف زوجة عبدالحليم العلايلي بالعفاف وصيانة النفس[5]:

لقد نسجَ العفافُ لها رداءً وزانَ رداءها الخدرُ المصونُ

بهذا نكتفي ونقف بما عرض له حافظ في الفضائل التي ذكرها في شعره، وقد ذكرت معظم أبياته فيها، والتي كان أكثر ما يميزها البساطة والوضوح ، ويعود سبب هذه البساطة إلى أن حافظاً لم يكن صاحب ثقافة عالية تساعده على تعميق رؤيته للأشياء، وتجعل لديه فلسفة خاصة تجاهها، فقد كان يذكر هذه الفضائل في أثناء شعره ويشير إليها بشكل مباشر، ويكتفي بمعناها الإشاري الحرفي، فلم يحملها فلسفة خاصة، ولم يوسع مفهومها إلا فيما ندر، ولم يتناولها من زوايا متعددة ، إنما أكثر من وصف الأشخاص بها بشكل مباشر،كما أن حافظاً في حديثه عن بعض الفضائل وقع في بعض التناقض، فقد حث الناس على الصبر وهو لم يكن بالإنسان الصبور، ودعي إلى قوة العزيمة ولم يكن قوي الإرادة، وحث على

---

(١) الديوان: 20/1.

(٢)المرجع السابق: 23/1.

(٣)المرجع السابق : 32/2.

(٤)المرجع السابق: 214/2.

(٥)المرجع السابق: 223/2.

الشجاعة وهو لم يكن شجاعاً، ودعي إلى الإباء و لم يكن بالرجل الأبي، وقد ذكرت ما يدل على هذه التناقضات أثناء حديثي عن الطريقة التي تناول بها حافظ كل فضيلة من هذه الفضائل.

والحقيقة أن حافظاً كان يقول الشعر كيفما اتفق؛ فلم يبتكر المعاني و لم يغص فيها بل إنه كان يمدح شخصيات، ويرثى أخرى دون أن يعرفها ويكتب عن أشياء لم يقرأها، و لم يطلع عليها لذلك كان من الطبيعي أن يأتي شعره بهذه البساطة.

المبحث الثاني

الرذائـــل

الرذائـــــــل

الرذائل هي الأخلاق الذميمة عند الناس، وهي بلا شك القسم الآخر من الأخلاق في شعر حافظ، ونظراً لأن كل مجتمع توجد فيه صفات وأخلاق حميدة وغير حميد ة، فإن الحديث هنا منصب على هذا النوع المذموم، والذي به يكتمل الكلام عن الأخلاق في قسميها المتضادين.

الرذيلة" هي السيئة الخبيثة المذمومة ،والفعل المنكر، والخلق الفاسد المتصف بالشر . والعمل الذي لا يتفق مع الواجبات الدينية والخلقية، والذي لا يتفق مع ما شرع الله أمراً ونهياً، وهي : الاعتقاد الفاسد، والإرادة الفاسدة وهي: المعصية والذنب والخطيئة"[1].

الرذيلة بهذا المفهوم هي ما حاربه حافظ في شعره ، فمثلما تحدث في شعره عن الأخلاق الفاضلة ودع إلى التحلي بها، أيضاً تحدث عن جملة من الرذائل التي أخذت بالانتشار في عصره، ولأنه من أصحاب الفطرة السليمة فقد فطن إلى الآثار السلبية لانتشار هذه الرذائل في مجتمعنا المسلم المحافظ، فتحدث عنها وحذر منها، وهذا يدل على أنه شاعر من الشعب وإلى الشعب ، يناقش قضاياه، ويتأثر بمشكلاته، ويتحدث بصوته ،ويأمل أن يرتقى ويعيش حياة أفضل، وفي هذا المبحث سنورد أبـرز الخلال الرذيلة التي تحدث عنها حافظ إبراهيم في شعره.

---

(١) النظرية الخلقية عند ابن تيمية- د/ عبدالله عفيفي- ص 484- ط1-1408هـ-1988م- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض.

الظلـــــــم

"الظلم هو الانحراف عن العدالة، ولذلك حُدَّ بأنه وضع الشيء في غير موضعه المخصوص"[1]، وذكر أبو بكر الجزائري إن الله حرم الظلم على نفسه حيث قال في حديث قدسي :"يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا "[2].إذن هو من باب أولى أن يكون أشد تحريماً على الإنسان، فالمسلم لا يظلم ولا يُظلم لا يصدر عنه الظلم لأحد، ولا يقبل على نفسه الظلم من أي أحد.

والظلم ثلاثةأنواع: ظلم العبد لربه، وذلك بالكفر والإشراك، وظلم العبد لغيره، وذلك بأذيتهم في إعراضهم أو أبدانهم أو أموالهم بغير حق، وظلم العبد لنفسه وذلك بتلويثها بالذنوب[3].

وفي ظل ظروف الحرب والاستعمار التي كانت تمر بها المنطقة العربية ، تعرض الشعب العربي إلى كثير من الظلم على أيدي المحتلين ، وممن تعرض لهجمات شرسة على أيدي ه ؤلاء الإمام محمد عبده(1266-1323هـ) فقد كانت بعض الصحف المغرضة تنشر عنه الافتراءات والأكاذيب ، وكان يرى حافظ إبراهيم أن ذلك من سمات الإنسان الناجح فلا بد أن يحاول أعدائه النيل منه[4]:

وتقوَّلوا عنك القبيح وهكذا يمنى الكريمُ بغارةِ الأشرارِ

و لم يتوقف حافظ عند ذكر الظلم الذي يتعرض له المصر يون، وإنما تحدث عن الظلم الذي تتعرض له الإنسانية بشكل عام .فقد ذكر ما كان يتعرض له الفرنسيو ن على يد لويس بونابرت (1808-1873م)، فمن شدة خوفهم منه أوقفوا حتى عقولهم عن الإبداع ، وهذا أكبر ظلم ممكن أن تتعرض له البشرية، لأن كبت العقول المبدعة يؤدي إلى تأخر الشعوب[5]:

طبعَ الظُّلمُ على أقفالها بلظاهُ خاتماً من رهبِ

وتحدث- أيضاً- عن الظلم الذي من الممكن أن يتعرض له الإنسان بعد موته فالفراعنة ب رغم المنزلة العالية التي وصلوا إليها إلا أنهم بعد موتهم أصبحوا في موضع ذل وإهانة فقد أصبحت أجسادهم تعرض أمام الملأ لتجنى من ورائها الأموال[6]:

---

(١) تعريفات الراغب الأصفهاني- د/عمر عبدالرحمن الساريسي- ص 70- ط1- 1425هـ-2004م- عالم الكتب الحديث- إربد.

(٢) رواه مسلم 132/15 في صحيحه بشرح النووي – ط2- 1392هـ-1972م – دار الفكر- بيروت.

(٣) منهاج المسلم - أبو بكر الجزائري- ص 173-174.

(٤) الديوان: 15/1.

(٥) المرجع السابق: 21/1.

(٦) المرجع السابق: 66/1.

أرى فـراعينَ مصرٍ في ذلّةٍ ونحـــــوسِ
معروضــةً للبـرايا أجسادهم بالفلـــوسِ
عنهم نبشنا زمـــاناً في مظلمات الـدُّروسِ

كما أحس حافظ إحساساً عميقاً بمعاناة الشعب المصري، وذكر الظلم الذي كان يتعرض له المواطنون المصريون في بلدهم، حيث ضربت عليهم الذلة والمسكنة بينما الأجانب المقيمين فيها تكون لهم السيادة والعزة[1]:

أتمشى به شمَّ الأنوف عداته وربُّ الحمى يمشي بأنفٍ مجدَّعِ

و لم يغفل عن الظلم الذي كان يقع على أصحاب الفكر النير المطالبين بالحرية من قبل أوطانهم وحكوماتهم[2]:

فكيفَ لعمري أطقتَ المقام بأرضٍ تضيقُ بأحرارها ؟

أشار- أيضاً- إلى الظلم الذي تشهده الأرض بسبب المجازر والحروب التي يقيمها الإنسان على وجهها[3]:

ألبسوكِ الدِّماء فوق الدمـــاءِ وأروكِ العداءَ بعـــدَ العـــداءِ
فالبستِ الرَّحيعَ من عهد قابيـــ ـــلَ وشاهدتِ مصرعَ الأبرياءِ

كما ذكر الظلم الذي تعرض له الشرق من المحتلين الذين يريدون له أن يظل في معزل عن العلم والحضارة والتطور الذي يشهده العالم[4]:

وتقضى عليكَ قضاةُ الضلّال طوالَ الليالي بأنْ ترقدا ؟

و لم يكن الشعب يُظلم من المحتلين فقط، بل كان يشترك معهم الوزراء المتآمرون الذين كانوا يستغلون مناصبهم لجني الأموال التي هي في الأصل من حق الشعب ، فطريقه المحتلين هي الظلم والتنكيل بالشعب والاستبداد به، وعلى الشعب أن يستعد للمقاومة وعدم الاستسلام[5]:

---

(١) الديوان: 87/1.

(٢) المرجع السابق: 119/1.

(٣) المرجع السابق: 193/1.

(٤) المرجع السابق: 202/1.

(٥) المرجع السابق: 204/1-205.

وأرى الـــوزارةَ تجتنى من مرِّ هذا العيشِ شهدا

فسبـيلـه أن يستبـــــ ـــــدَّ وشأننا أن نستعدّا

ويشير إلى المستعمرين الأجانب الذين يتمتعون بثروات البلاد ، بينما المصريون يعانون من الغلاء والمعيشة القاسية، حتى إنهم أصبحوا يفضلون الموت على الحياة، لأنهم لا يستطيعون أن يوفروا أقل شيء ممكن أن يوفره الإنسان وهو قوت يومه[1]:

يردُ الواغلُ الغريبُ فيروى وبنوكَ الكرامُ تشكوا الأواما[2]

وأغيثوا من الغلاء نفـوساً قـد تمنت مع الغلاءِ الحِماما

ويرى حافظ أن الظلم قبل الاستعمار كان منتشراً في مصر بشكل عشوائي وفوضوي ، وعندما جاء الاستعمار بدعوى تخليص الشعب من الظلم لم يزد على أنه جعله ظلماً منظماً وقانونياً[3]:

لقد كان فينا الظُّلمُ فوضى فهذبت حواشيه حتى باتَ ظلماً منظَّما

كما يرى أنه على قدر الظلم والأذى الذي تصبه الحكومة على الشعب يكون صراخ الوطنيين والثائرين على الحكومة؛ خوفاً من وقوع المزيد من الظلم على الشعب، ويتمنى لو أن الظلم قد دام فيهم حتى يحرك غيرة الوطنيين، ويحثهم على المطالبة بالحرية والاستقلال ويتحدث عن صور الظلم والتعذيب التي كان الشعب المصري يتعرض لها على يد المحتلين من جلد وقتل وعدم اهتمام بالتعليم من أجل إبقاء الشعب على جهله وسذاجيته[4]:

على قدر الأذى والظلمِ يعلـو صياحُ المشفقين من المزيـدِ !

رمانا صاحبُ القوَّير ظلمـــا بكفران العوارفِ والكنـودِ

فليت (كرومراً) دام فينـــا يطوِّقُ بالسلاسلِ كـلَّ جيدِ

ويتحفُ (مصرَ) آناً بعـــدَ آنٍ بمجلودٍ ومقتـــول شهيدِ

رمى (دارَ المعارفِ) بالـــرزَّايا وجـــاءَ بكلِّ جلبٍّ عنيدِ

وهكذا ستنتج أنه ليس هناك شر محض فحتى الظلم الذي يعد أسوأ ما في الوجود عاد بفائدة على أصحاب الضمائر الحية وجعلهم يثورون ويطالبون بحقوقهم.

---

(١) الديوان: 252/1-253.

(٢) الأواما: شدة العطش:هامش الديوان252/1

(٣) الديوان: 19/2.

(٤) المرجع السابق: 26/2-27-28.

كما أن شعور حافظ الإنساني قد امتد إلى بلاد فارس ،وصوّر أنواع الظلم والعذاب والقتل الذي كان يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية في فارس[1]:

ولا أُقرىءُ (الشاهَ) السلَّامَ، فإنه يريقُ دماءَ المصلحينَ ويهدرُ

ومن الظلم الذي كان يتعرض له الشعب في مصر تقيد حرية الصحافة ،تبعاً لما يريده الحاكم وليس بما تقتضيه الديموقراطية[2]:

فتقيدت فيه الصحافةُ عنوةً ومشى الهوى بين الرَّعيةِّ مطلقا

كما ذكر صنوف العذاب والظلم الذي تعرض له الشعب الليبي على يد الإيطاليين ، فقد قتلوهم ومثلوا بهم و لم يفرقوا في ذلك بين النساء والأطفال والشيوخ وذوي العاهات فقد أحرقوا عليهم دورهم و لم يراعوا المواثيق الدولية[3]:

كبلوهم، قتلوهم، مثلوا بذوات الخدرِ، طاحوا باليتامى
ذبحوا الأشياخَ والزمنى، ولم يرحموا طفلاً، و لم يبقوا غلاما
أحرقوا الدُّور، استحلوا كلَّ ما حرمت (لاهاي) في العهد احتراما
باركَ المطرانُ في أعمالهم فسلوه باركَ القومَ عـلاما؟

ويخاطب الإنجليز ويقول لهم أظلمونا وعذبونا مثلما يحلو لكم، واحجبوا عنا الحقيقة ، واقطعوا الأمل ، أحرمونا من الطعام والشراب فإنا سنبقى صامدين ثابتين على مبادئنا ، لا يزحزحنا عنها مزحزح ، ويتحدث عن صور العذاب والظلم الذي كان الإنجليز يصبونه على الشعب المصري من غارات وطائرات منتشرة تحمل قنابل الموت[4].

فاحجبوا الشمَّسَ واحبسوا الرَّوح عنّا وامنعونا طعامنا والشّرابا
واستشفوا يقيننا رغم ما نلقى فهل تلمحون فيه ارتيابا
قد ملكتم فم السرّيلِ علينا وفتحتم لكلِّ شعواءَ بابا
وأتيتمْ بالحائماتِ ترامى تحملُ الموتَ جاثماً والخرابا
وملأتم جوانبَ الريِّلِ وعداً ووعيداً ورحمةً وعذابا

من خلال الأمثلة السابقة من شعر حافظ إبراهيم عن الظلم نلاحظ أن حافظاً كان يتمتع بحس إنساني عال، فلم يقتصر تصويره للظلم على ما كان يقع على الشعب المصري من المحتلين، بل امتد ليصل إلى الشعوب التي تعاني من ظلم الحكام المستبدين مثل فرنسا، والتي تعاني الحرب والاستعمار مثل ليبيا ، كما أنه لم يقتصر في حديثه عن الظلم الذي يعانيه الشعب من الطغاة والمستعمرين ، بل اعتبر تشويه

---

(١) المرجع السابق: 33/2.

(٢)الديوان: 49/2.

(٣)المرجع السابق: 56/2.

(٤)المرجع السابق: 201/2.

الصحف للحقائق ظلم، وتقييد حرية الصحف ظلم، واستغلال بعض الوزراء المصريين لمناصبهم ظلم – أيضاً– ولقد ذكر حافظ الكثير من الأبيات عن الظلم ولكنها تدور في فلك الأمثلة التي أوردناها [1].

(١) للاستزادة انظر ا لديوان : (1/73-199-207)، (2/14-15-16-17-18-37-63-69-73-78-80-92-93-95-96-97-101-105-110-140-146-147-152).

التواكـــــــــــل

التواكل هو العجز والكسل وقد ذكر الشيخ أبو بكر الجزائري أن المسلم لا يكسل ولا يعجز ، بل يعزم وينشط ويعمل ويحرص على إنجاز عمله على أكمل وجه ، فقد كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– كثيراً ما يقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل".

وكيف يعجز المسلم ويتواكل ويقعد عن العمل وهو من يؤمن بنظام الأسباب وقانون سن ن الكون ولما يكس ل وهو يؤمن بدعوة الله إلى المسابقة [1] في قوله تعالى :

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [2].

وذكر الدكتور وهبة الزحيلي "أن الرسول صلى الله عليه وسلم علم بضرورة الاعتماد على الذات والجهد الشخصي المستقل، وترك التواكل والاعتماد على جهود الآخرين أو مكاسبهم وأعمالهم، وذلك لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام : "لأن يأخذ أحدكم أحبله، ثم يأتي الجبل، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعو ه". فهذا الحديث فيه حث على العمل وتحصيل الرزق وفيه ضرورة إجهاد النفس في تحصيل الرزق الحلال الطيب المبارك فيه[3].

وحذر حافظ إبراهيم من داء التواكل الذي ران زمناً على الأمة العربية، و لم يكن في المجال السياسي فقط، بل إنه طال الشعر فلم يحدثوا فيه أي جديد ، وضلوا يرددون ما قاله القدماء دون تجديد، و لم يكن من المتوقع أن يتواكلوا حتى في الشعر ؛ وهو الفن الذي برع فيه العرب، فكل الشعوب تعمل باجتهاد أثناء الرخاء، لكي يكون لديها عدة وذخيرة تحتم ي بها إذ حلت بهم الحوادث والمصائب ، إلا العرب فهم لا يملون من ذكر مفاخرهم ومآثرهم وأمجادهم القديمة، ولا يعملون للمستقبل بل يتكلون على ما فعله العرب سابقاً، ولأن الشرق اعتاد على إنجازات أبنائه فإنه يصعب عليه أن يرى أبنا ءه متواكلين غير بارزين في المجتمع[4]:

وأقوامنا في الشرّق قد طلـــل نومهم ... وما كان نومُ الشعِّر بالمتوقعِّ
لدى كلّ شعبٍ في الحوادث عـــدّةٌ ... وعدَّتنا ندبُ التراُّث المضيَّعِ

---

(١) منهاج المسلم– أبو بكر الجزائري– ص 179 (بتصرف).

(٢) سورة الحديد21.

(٣) أخلاق المسلم وعلاقته بالخالق– ص 185.

(٤) الديوان: 1/86-87.

عزيزٌ عليه ما بنى الشَّـرقِ أن ترى كواكبه في أفقه غيرَ طلـع
وأعلامه من فوقه غير خفـــــق وأقلامه من تحتها غير شرَّعِ

ويتمنى أن يرى الشرق كله غير غافل عن طمع الغرب في استغلال ثرواته ، فهو يريد من العرب أن يستيقظوا من غفلتهم، ويكفوا عن تواكلهم واتكالهم على الأجانب المستعمرين لحل مشكلاتهم وتحسين أوضاعهم[1]:

متى أرى الشرَّقَ أدناهُ وأبعده عن مطمعِ الغرب فيه غيرَ وسنانِ

فالمستعمر لا يهمه الشعب فكل ما يهمه الاستفادة من ثروات البلاد.

ويشير إلى ما تتميز به الأمم الغربية من العلم الجم والعمل الدؤوب حتى إنهم جعلوا من الصخور في رؤس الجبال أماكن مخضرة تزدهي فيها ألوان النباتات المختلفة على عكس الأمة العربية وما عرفت به من تواكل وكسل فقد جعلوا الأراضي الزراعية الخصبة أراضي مقفرة مجردة من النباتات[2]:

نضرَّوا الصخَّر في رءوس الرَّواسى ولدينا في مـــــوطن الخصب بورُ
قد وقفنا عند القديم وســـــاروا حيثُ تسرى إلى الكمال البـدورُ

ويعتب الشاعر على أمته لخضوعها وسكوتها على سلب حقوقها وعلى الظلم الذي تعرضت له مصر والبلاد العربية على أيدي المستعمرين، ويحث الشعب المصري على الاجتهاد، وترك التواكل لأن الغريب الأجنبي يبذل قصارى جهده في مصر ليصل إلى أعلى المراتب ، بينما المصري يكون أشد شراً على البلاد من الأجنبي إذا تواكل وغفل عن مصلحة البلاد ، لأنه يكون بذلك فتح المجال للأجنبي أن يمسك بزمام الأمور، ويستنكر وجود الشباب في الأزبكية حيث الملاهي الليلية والمراقص التي تمارس فيها الرذيلة ، فقد نجح الإنجليز في دفع الشباب إلى الانغماس في الملذات واللهو وشرب الخمر ، فانشغلوا بذلك عن أمور الحكم والسياسة، فكانت فرصة سانحة للأجانب أن يجدوا في العمل ، والكسب فكان من الطبيعي أن يصلوا إلى مراتب عالية في الدولة، وأن يتأخر المصريون لأنهم آثروا الخمول والكسل والتواكل والقعود عن كسب الرزق[3]:

وكم غضب الناسُ من قـبلنا لسلب الحقوق و لم نغـضبِ
أنابتهَ العصـرِ إن الغـريب مجـدٌ بمصرَ فلا تلـعـــبى
يقولـون : في الشَّءِ خيرٌ لنا وللشَّء شرٌّ مـــن الأجنـبي

---

(١) الديوان: 94/1.

(٢) المرجع السابق: 180/1.

(٣) المرجع السابق: 197/1-198.

أفي (الأزبكية) مثوى البـدنين وبين المساجد مثـوى الأبِ؟
أمورٌ تمرُّ وعـيشٌ يمـــــرّ ونحن من اللهّـــو في ملعــبِ
ومـــــاذا عليه إذا فاتنـــــا ونحن على العيش لـم ندأبِ
ألفنا الخمـــــولَ ويا ليتنـــــا ألفنا الخمولَ ولم نكـــــذبِ

ويرى أنه لولا التخاذل والتواكل المسيطر على الأمة لظهر منها أناس موهوبون ، فالموهبة والذكاء موجودان، غير أن أصحابها خاملون عن صقلها77فالعرب يمتلكون عقولاً مبدعة لولا أنهم جعلوا الخمول سلطاناً عليها، ويتمنى أن تكتشف آلة للقضاء على التواكل والكسل عند العرب ، ويعيب عليهم اتكالهم على المجد التليد الذي خلفه الآباء والأجداد ، وعدم محاولتهم إحداث تغير في حاضرهم[1]:

إن فينا لولا التخّاذلُ أبطـــــا لاً إذا ماهم استقلُّوا اليراعـــــا
وعقولاً لولا الخمـــولُ تـولا ها لفاضت غرابةً وابتـداعـــا
كاشفَ الكهرباء ليتـك تعنى باختراعٍ يروضُ مدَّ الطِّـــباعا
آلةٍ تسحق التواكل في الشـــر ق وتلقى عن الريا القناعـــــا
قد مللنا وقوفنا فيه نبكـــــى حسباً زائلاً ومـــجداً مضاعـــا
وسئمنا مقالهم كان زيـــــدٌ عبـقرياً وكان عمروٌ شجاعـــا

ويشير إلى أحد السلاطين في مراكش أنه كان منغمساً في اللهو والملذات ولم يتذكر إخوانه العرب إلا عندما أضاع بلاده وأصبحت الحرب على الأبواب[2]:

ذكَّرتنا يومَ ضاعت أرضُ أندلسٍ الحربُ في الباب والسُّلطانُ في اللَّعبِ

كما يشير إلى أن الأمة العربية عندما كانت في قمة الخطر وكان أعداؤها يستهدفونها ويحاولون التربص بها كانت تضرب بكل ذلك عرض الحائط وتنغمس في اللهو والملذات[3]:

وهي- والأحداثُ تستهدفها- تعشق اللَّهوَ وتهوى الطَّربا
لا تبـالى لعبَ القومُ بهـــــا أم بها صرفُ الليالى لعبـا؟

ولم تكن الأمة العربية تهتم إن كانت الحوادث التي تصيبها والنكبات التي تنزل بها أهي من المحتل اللعين أو من صروف الدهر وذلك لأنها أمة متواكلة خاملة.

---

(١) الديوان: 1/200-201.

(٢) المرجع السابق: 1/2.

(٣) المرجع السابق: 2/2.

كما نراه يخاطب الإنجليز ويقولهم كيف يحلوا لكم أن تتشفوا فينا ونحن ضعفاء سلمناكم أنفسنا وانقدنا لكم، وكيف تنكلون بنا، وتكشفون عن غيظكم وعدائكم لنا، ونحن لسنا أنداداً لكم، ويطلب منهم أن يكرموهم في بلادهم ؛ فالخمس والعشرين عاماً التي استعمرت فيها بريطانيا مصر قد علمت المصريين الخنوع والسكوت مهما فعل المستعمر وتمادى فالأمة المصرية استثقلت أن تعادي من رماها في عقر دارها وخشيت أن تتخذه عدواً[1]:

كيف يحلو من القوى الشّفيِّ ... من ضعيفٍ ألقى إليه القيادا ؟
إنّها مثلةٌ تشفُّ عن الغيـ ... ـظِ ولسنا لغيظكم أنـدادا
أكرمونا بأرضنا حيثُ كنتـم ... إنما يكـرمُ الجوادُ الجـوادا
إنّ عشرينَ حجّةً بعد خمـسٍ ... علّمتنا السكـونَ مهما تمادى
أمّةُ الرِّيِّ أكبرت أنْ تعـادى ... من رماها وأشفقت أن تعـادى
ليس فيها إلا كـلامٌ، وإلا ... حسرةٌ بعد حسرةٍ تتهـادى

وهذا أحط درجات الخنوع والتواكل؛ فطوال فترة الاستعمار لم يكن من المصريين إلا مجرد الكلام والتحسر على واقع حياتهم والشاعر بهذه الأبيات وصل إلى أقصى درجات الخنوع والتواكل.

ويطلب حافظ من أبناء مصر ترك التخاذل والتواكل، لأن أسوأ أمر يمكن أن يصاب به الإنسان هو التخاذل، ويرى أن المصريين ليسوا أصحاب طموح، رغم أنهم يمتلكون الكثير من الذكاء ولكنهم شعب متواكل لا يخطط للمستقبل[2]:

ودعوا التّخاذلَ في الأمور، فإنّما ... شبحُ التّخاذلِ أنكرُ الأشـباحِ
وابنُ الكرانةِ في الكنانةِ راكـدٌ ... يرنـو بعينٍ غيرِ ذات طماحِ
لا يستغلُّ – كما علمت- ذكـاه ... وذكـاؤه كالخاطفِ اللمّـاحِ

كما أنه يصف الشعب المصري بأنه متواكل كسول لا يفاخر إلا بالألقاب ولم يجتهد ويواظب إلا على اللهو واللعب فهو يريد أن يرى نصف مخترع أو ربع عالم محتسب قادر على حسن التصرف والتدبير ولكن في مصر لا يوجد إلا المتواكلين المنغمسين في اللهو المهتمين بصغائر الأمور ويدعو المصريين إلى أن يتركوا التواكل والكسل والغفلة فالوقت قد أزف وهم مازالوا في غفلتهم[3]:

وهل (في مصرَ) مفخرةٌ ... سوى الألقاب والرُّتبِ ؟

---

(١) الديوان: 15/2.

(٢) المرجع السابق: 89/2-91.

(٣) المرجع السابق: 97/2-98.

وذي إرثٍ يكـــاثرنا بمالٍ غيـــــرِ مكتسب
وفي الرُّومي موعظـــةٌ لشعـــبٍ جدَّ في اللعب
أروني نصـــفَ مخترعٍ أروني ربـــعَ محتسبِ ؟
فهبّـــُوا من مراقدكم فإن الوقتَ من ذهـــب

ويشير إلى أن المصريين قد غفلوا وتواكلوا فترة من الزمان و لم يستيقظوا من غفلتهم إلا عندما اقتربت النهاية فالتواكل آفة تغيب ا لإنسان عن حاضره وتجعله عديم الفائدة[1]:

قد غفونا وانتبهـــنا فإذا نحـــن غرقى، وإذا الموتُ أممْ
آفةُ المرءِ إذا المـــرءُ ونى آفةُ الشعبِ إذا الشعبُ انقسم
ليس منا من يني أو ينثنى 79 أو يعـــق النيلَ في رَعى النعم

من خلال الأمثلة السابقة من شعر حافظ إبراهيم في التواكل نلاحظ أنه تحدث عن خنوع العرب وعدم مواجهتهم للمحتلين، والقعود عن التطور والتخلف في ميدان الصناعة والتخلف ، حتى عن قول الشعر برغم نبوغ العرب فيه.وقد أسرف حافظ في اتهام العرب بالتواكل، على الرغم أنه وصل إلى قمة الخنوع والتواكل في القصيدة التي تحدث فيها عن حادثة دنشواي[2]. وقد أوردنا جزء منها في الأمثلة السابقة – ففي رأيي – أنه فقد كرامته وإباءه في هذه الأبيات ، ووقع في تناقض كبير فكيف يطلب من الشعب ترك التواكل ومواجهة المستعمر ، وهو يخاطب المحتلين بهذه اللغة الخانعة المتواكلة ، كيف يطلب من الإنجليز أن يكرموهم في أرضهم وهم أصحاب الأرض ، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة فالحرية والكرامة سلبت منهم بالقوة ويجب عليهم أن يستردوها بالقوة والمقاومة ، وأن يتعاملوا مع الإنجليز بنديه وإن كانوا أقل منهم عدة وعتاداً . فالجمهور بحاجة إلى القصائد الثورية التي تحمسه وتدفعه إلى الإقدام ببسالة، وهذه الأبيات تضعف العزيمة وتدعو إلى اليأس.ولكن الدكتور شكري محمد عياد رأى في هذا النوع من القصائد عند حافظ رأياً آخر فهي عنده قصائد ذات أسلوب تهكمى لا يخلو من بعض التجمل:" لأن فيها غضبٌ مكظوماً ، وكأن الشاعر يرى أن التصريح بسوء الحالة والإقرار بالعجز عن

---

(١) قصائد لم تنشر: 254.

(٢) في يوم الأربعاء الموافق 1906/6/13م، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وقصدوا إلى بلدة دنشواي من أعمال مركز تلا بمديرية المنوفيه، لصيد الحمام، وهناك أصيب بعض الأهلين فاصطدموا بالإنجليز؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت، فثارت ثائرة (اللورد) كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك، وعقدت المحكمة المخصوصة لمحاكمتهم، وكان المدعي العمومي فيها إبراهيم الهلباوي بيك المحامي المعروف؛ وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين ، وجلد وحبس ثمانية منهم . ونفذ الإعدام والجلد في نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله، وك ان في ذلك الحكم وفي تنفيذه من القسوة ما آثار الأنفس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش في النفوس من أسى وحسرة. هامش الديوان: (14/2).

الرد أدنى إلى الكرامة من صياح لا يجدى . ولكن الأجدر بالملاحظة هو أن ما تصرح به هذه القصائد لا يمثل حقيقة ما في نفس الشاعر، وإنما هو أشبه بقناع وضعه على وجهه الغاضب الثائر، لتصل رسالته في أقوى صورة إلى قرائه وسامعيه، وهؤلاء فريقان :مصريون إن خصصت، أو عرب إن عممت؛ وإنجليز تجاه المصريين، أو أوربيون تجاه العرب .أما الفريق الأول فشأن حافظ معه، في معظم أحواله، أنه يريد أن يبكيه ويدميه كما عرفت، فلا بأس بأن يبالغ في إظهار ضعفه واستكانته ليثير نخوته .وأما الفريق الثاني — ولا شك أنه كان منهم عارفون بالعربية يقرأون كل ما تنشره الصحف المصرية عنهم، وآخرون يترجم لهم كل ما ينشر بالعربية- فأي شيء أنكى فيهم وهم يزعمون أنهم رسل المدنية، وحماة العدل، من إظهار ظلمهم في أخس صورة ! صورة العدوان على الضعيف العاجز، اغتراراً بما لديهم من قوة ؟ ومن هنا يأتي التهكم، فقد مسخ الشاعر قوتهم المادية فبدت كأبشع درجات الضعف الخلقي"[1].

أنا لا أنكر أن رأي الدكتور شكري عياد فيه بعض الصحة إلا أن هذا الأسلوب التهكمي لا يناسب الحالة النفسية التي كان يعيشها الشعب المصري في تلك الفتر ة — وكما قلت سابقاً- هو بحاجة إلى من يدفعه إلى الأمام وليس من يدعوه إلى الاستسلام ، وخاصة إن شعر حافظ يلقى في المناسبات التي يحتشد فيها الجمهور وهو في حالة تعطش نفسي وبحاجة إلى الدعم المعنوي .كما أن هذا المعنى التهكمي لا يصل الجمهور الذي يسمع القصيدة وهي تلقى فالذي يصل للذهن في هذه الحالة المعنى الظاهري للأبيات فحتى المتلقي القارئ للأبيات لا يصله هذا المعنى التهكمي الخفي إلا بعد إعمال الفكر ومعاودة النظر مراراً وتكراراً في الأبيات.

(١) قراءة أسلوبية لشعر حافظ- فصول- ص 25- المجلد الثالث- العدد الثاني — يناير فبراير — مارس- 1983م.

الغـــــــدر

يقال: "غدر به غدراً: من باب ضرب نقض عهده" [1].وقد ذكر الدكتور عبداللطيف محمد العبد أن الله أمر بالوفاء بالعهود والعقود لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ [2] ومن هنا كان الغدر نقضاً للعهود لذلك جاء التشديد عليه ، كما أن للغدر آثاراً سيئة تظهر على صاحبه يوم القيامة حيث يعلن عن الغادر، ويشهر به بين الخلائق لقوله صلى الله عليه وسلم: "لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان" . والغادر محروم من رحمة الله ورضوانه . كما أنه منبوذ ومكروه اجتماعياً[3].

وأشار حافظ إبراهيم في حديثه عن الغدر إلى بعض أبناء مصر الذين أحسنت إليهم وبرت بهم ثم كان جزاؤها الخيانة والجحود[4]:

أنت أنبتِّ ذلك الرَّبَّ يا (مصـــــ ـــرُ) فأضحـــى عليكِ شوكاً قتادا

أنت أنبتِّ ناعقاً قامَ بالأمـــــــــ ـــسِ فأدمى القلوبَ والأكبادا.

ويخاطب الإنجليز ويقول لهم جعلتم مناصب صناعة القرار بأيديكم فأصبحتم تفننون في إذلال الشعب المصري وأنتم بذلك خنتم كل عهودكم ووعودكم[5]:

وحاولت إعطاءَ الغريب مكانةً تـجـــرُّ علينا الويـلَ والذلَّ ســـرمـــدا

كما يشير إلى أن نقض الإنجليز للعهود وخيانتهم المواثيق التي أبرموها هي التي أضاعت حقوق الشعب المصري[6]:

ولكنَّ نطالبـكم بحـــــــقٍّ أضـــــــرَّ بأهله نقـــضُ العهودِ

ويصف الإيطاليين بالغدر والخيانة ونقض العهود وعدم رعاية الحقوق وعدم احترام حرمة دم الإنسان فقد كانوا طغاة جبارين ولكنهم مع ذلك وجدوا مقاومة شرسة من الليبيين[7]:

تلكَ عقبى أمةٍ غـــــــادرةٍ تنكثُ العهدَ ولا ترعى الذِّمامـــا

---

(١) المصباح المنير– أحمد بن محمد الفيومي المقري (غدر)- 1987م- مكتبة - لبنان- بيروت.

(٢) المائدة ، آية 1 .

(٣) الأخلاق في الإسلام : 274-275.

(٤) الديوان : 16/2

(٥) المرجع السابق: 24/2.

(٦) المرجع السابق: 27/2.

(٧) المرجع السابق: 58/2.

تلكَ عقبى كـــلِّ جبارٍ طغى أو تعالى أو عن الحقِّ تعـــامى

ويخاطب الإنجليز بقوله كنا نظنكم في السابق مخادعين غادرين ولكننا اليوم متيقنون من غدركم وخيانتكم[1]:

بأنّا قد لمسنا الغـــدر لمساً وأصبحَ ظنُّا فيكم يقينـــا ؟

تحدث حافظ إبراهيم من خلال الأبيات السابقة عن الخيا نة بعض أبناء مصر لبلدهم وعن الغدر والخيانة التي تعرض لها الشعب المصري والشعوب العربية بشكل عام من دول الاحتلال ، وأن خيانة هذه العهود والمواثيق قد دفعت الشعوب العربية ثمنها غالياً من حريتها واستقرارها.

82

(١) الديوان: 93/2.

الكـــــــــذب

"يراد بالكذب ما كان على خلاف مخبره، حتى وإن كان صاحبه غير متعمد لذلك ، ومن الكذب البهتان، وهو الكذب على الناس بما ليس فيهم، والكذب على أي شخص حرام سواء كان هذا الشخص مسلماً أو كافراً براً أو فاجراً"[1].

قال الله سبحانه وتعالى عن الكذابين : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2].

وذكر الدكتور محمد عفيفي أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قد أباح الكذب في حالات خاصة وهي في إصلاح ذات البين وفي الحرب وفي حديث الرجل لامرأته[3].

قال الأحنف بن قيس: "اثنان لا يجتمعان أبداً في البشر: الكذب والمروءة"، وقال علي بن عبيدة : "الكذب شعار الخيانة وتحريف العلم وخواطر الزور واعوجاج التركيب"[4].

وفي زمن كثر فيه الكذب خاصة على الصعيد السياسي احتاج الناس لمعرفة الحقيقة لذلك قام محمد المويلحي (1858–1930م) بكتابة كتابه حديث عيسى بن هشام وقد طلب منه حافظ أن يسرع في طرحه، لأن الناس قد كثر بينهم الكذب والخداع وهم بحاجة إلى من يوعيهم[5].

وابعثْ لنا (عيسى) فهذا وقته فالناسُ بينَ مخادعٍ ومُوارى

ويشير إلى أن هناك جرائد لم تنشأ إلا من أجل التفريق بين أفراد الأمة الواحدة وتضليلهم وخداعهم بالأكاذيب[6]:

جرائد ماخـــطَّ حرفٌ بهـا لغـــيرِ تفـــريقٍ وتضليلِ
يحلو بها الكـــذبُ لأربابهـا كأنّـــا أوّل إبريـــلِ

فهذه الجرائد لا تنشر سوى الأكاذيب والأباطيل لأصحابها المخادعين.

---

(١) النظرية الخلقية عند ابن تيمية– د/ محمد عبدالله عفيفي– ص 518.

(٢) النحل: 105

(٣) النظرية الخلقية عند ابن تيمية– ص 519 (بتصرف).

(٤) آداب المجتمع في الإسلام– محمد جمال الدين رفعت– ص 220 عنى بطبعه ونشره عبدالله إبراهيم الأنصاري– طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي– دولة قطر.

(٥) الديوان: 103/1.

(٦) المرجع السابق: 110/1.

كما يشير إلى بعض الكتاب الانتهازيين معدومي الضمير، الذين يعمدون إلى الحقيقة فيزيدون عليها بعض الأكاذيب والأقاويل العارية عن الصحة بقصد التضليل والتمويه وخداع الناس بأخبار مضللة وخاطئة[1]:

فيردُّها سودا على جنباتهـــــــا من ظلمةِ التمويه ألفُ نطاقِ

ويتهم الإنجليز بالكذب والخداع إذ يقول[2]:

وتأنقوا في الخلف حتى أصبحت أقوالهـــــم تذرى بغير رياحِ

كما أنه وصفهم بالكذب والخداع فقد أضمروا في نفوسهم الكره والاستغلال وأظهروا الحب والود والمساعدة[3]:

أخفيتَ ما أضمرته وأبنتَ ودَّ الصـــاحِب

ويرى حافظ أن الصحف التي ظهرت في فترة الاستعمار لم تكن تحوي سوى التمويه والأخبار الكاذبة[4]:

ماذا في صحائفكمْ سوى التمَّويهِ والكذبِ ؟

من خلال حديث حافظ إبراهيم عن الكذب في الأبيات السابقة انتقد السياسة البريطانية وما كانت تطبقه في مصر فقد كانت سياستهم الكذب على الشعب واستغلال جهله من خلال الصحف التي تعمل لصالحهم ومن خلال كتاب معدومي الضمير رضوا أن يكونوا أداة طيعة في أيدي المحتلين.

---

(١) الديوان: 221/1.

(٢) المرجع السابق: 87/2.

(٣) المرجع السابق: 96/2.

(٤) المرجع السابق: 98/2.

البخـــــــل

" البخل: هو المَنْعُ مِنْ مال نفسه، وقيل: البخُل ترك الإيثار عند الحاجة . قال حكيم: البخل محو صفات الإنسانيّة وإثبات عادات الحيوانيّة"[1].

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ ﴾ [2].

وعلق الدكتور وهبة الزحيلي على هذه الآيات بقوله: إن الإنسان إذا استغنى عن ربه فلم يرغب إليه بعمل الطاعات واستغنى بماله عن كسب الفضيلة يوفقه الله إلى العسر والضيق . فالبخيل مذموم عند الله والناس، والبخل نقيصة وعيب ورذيلة، وكذلك يلحق الضرر بالنفس وبالغير وبالمجتمع ويسيء لصاحبه إساءة بالغة، ويستطيع البخيل أن يتخلص من البخل بترويض نفسه على السخاء والإنفاق تدريجياً، فيعطي القليل أولاً ثم يتدرج إلى الكثير بخطوات متوالية أو متباعدة[3].

ولأن البخل صفة ممقوتة اجتماعياً وغالبا ما يكون المتصفون به مادة للتفكه والتندر بين الناس فقد تناول حافظ إبراهيم هذه الصفة بروح الدعابة والفكاهة التي عرف بها فنجده يشير إلى شيلوك وهي إحدى شخصيات شكسبير التي جسد فيها البخل في أدق تفاصيله[4].

ومثلَ في (شيلوكَ) للبخل سحنةً عليها غبارُ الهون والوجه أقتمُ

كما يصف أحد أصدقائه بالبخل والتقتير فهو لا يصرف الفلس إلا إذا كان ليس لديه خيار إلا صرفه فمن شدة بخله لو كان بإمكانه العيش دون أن يتألم من الجوع لاختار أن يسد مدخل الطعام ومخرجه حتى يتقى الإنفاق والشراء[5]:

وأقـــامَ دينَ عبادة الـــــ ـــدينار بين الأظهـــــــرِ
ولقد عجبتُ لبخـــــــلـــه ولكفـه المتحجـــّـــــــرِ
لا يصرفُ السُّـحْـتُوتَ إلاّ وهو غيـــرُ مخـــــــيرِ
لـــو أنّ في إمكـــــــانـه عيشاً بغيـــر تضـــــــوُّرِ
لاختـارَ ســدَّ الفتحتيـــــــ ـــن وقال: يا جيبُ احـذرِ

---

(١) كتاب التعريفات للجرجاني- ص 102.

(٢) سورة الليل:8-11.

(٣) أخلاق المسلم وعلاقته بالخالق- ص 190.

(٤) الديوان: 37/1.

(٥) المرجع السابق: 143/1-144.

كما قلت سابقاً روح حافظ إبراهيم المرحة هي الطاغية في حديثه عن البخل فقد تحدث عنه على سبيل الدعابة والفكاهة.وقد كان من الصواب تناول البخل بهذه الطريقة المرحة لأنه رذيلة اجتماعية أ خذت طابع التندر والفكاهة منذُ كتاب البخلاء للجاحظ وحتى يومنا هذا.

مذمومات أخرى

أومأ حافظ إبراهيم بإشارات قليلة لبعض الصفات الذميمة مما يجعلنا نجملها تحت هذا العنوان. فقد أشار إلى تطبيق الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) لأحكام الدين في الإفتاء وبذلك محا كل البدع والضلالات التي ليست من الدين في شيء[1]:

محوتَ به في الدِّين كلَّ ضلالةٍ وأثبتَّ ما أثبتَّ غيـرَ مضلَّل

وأشار أيضاً إلى ما أحدثه الناس من بدع في الدين ليست موجودة في أصله والدين منها برئ فهم يطوفون بالقبور ويعكفون عليها مثلما كان يعكف الناس على الأصنام في الجاهلية ويطلب من الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) أن يطلع على تلك الأفعال ويحاول توعية الغاوين من الناس[2]:

رأوا في قبـور الميتين حياتهم فقاموا إلى تلك القبور وطوَّفوا
وباتوا عليها جاثمـينَ كأنهم " على صنمٍ للجاهليّةِ عكَّفُ"
فأشرق على تلكَ الرُّوس لعلها ترقُّ إذا أشرقتَ فيها وتلطُفُ

كما أشار إلى إنكار عمر بن الخطاب – رضي الله عنه وأرضاه- للبدع والضلال وإقامته للدين الصحيح وذلك عندما أصبح الناس يصلون عند شجرة الرضوان ويطوفون بها وهي الشجرة التي تحتها بايع الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية[3]:

أزلتها حينَ غالوا في الطَّواف بها وكان تطوافهم للدين تشويها

وأنكر حافظ ما يحدث عند قبور الأولياء والصالحين من بدع فقد أصبح الناس يقيمون عندها الصلوات وينحرون النذر ويقرؤون القرآن وهذه كلها أفعال ليس لها أصل في الدين[4]:

من لي بحظِّ النائمين بحفرةٍ قامت على أحجارها الصلواتُ

وتحدث عن الحقد من خلال قصيدة خنجر ماكبث التي ترجمها عن شكسبير وقد أشار إليها بقوله[5]:

أراني في (ماكبيث) للحقد صورةً تكادُ بها أحشاؤه تتضرَّمُ

ويشير إلى ما حدث مع أحد ملوك الغساسنة في الشام عندما اعتنق الإسلام فبينما هو يوماً يطوف بالكعبة وطيء إعرابي ثوبه فضرب الإعرابي ضربة قوية على أنفه فته شم فشكاه الإعرابي إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فأمر بأن يقتص منه فرفض، وفر إلى القسطنطينية وتنصر[6]:

---

(١) الديوان: 3/1.
(٢) المرجع السابق: 10/1.
(٣) المرجع السابق: 57/1.
(٤) المرجع السابق: 253/1.
(٥) المرجع السابق: 37/1.
(٦) المرجع السابق: 44/1.

وفي حديث فتى غسانَ موعظةٌ لكلِّ ذي نعرةٍ يأبى تناَسيها

وهو بذلك يكون ترك الدين الذي يعلم علم اليقين أنه الحق من عند الله إلى دين آخر قد نسخ فأضا ع آخرته من أجل عصبية قبيلة نتنه.

كما يشير إلى من نادوا بفسخ زواج أحد الشيوخ من ابنة أحد سادة مصر بدعوى أن الشيخ ليس شريف النسب، وبذلك يكون هناك عدم تكافؤ في النسب بين الشيخ وزوجته[1]:

ونادى رجالٌ بإسقاطـــه وقالـوا: تلوَّنَ في المشربِ

ويصف أحد الشعراء ضعفاء الشاعرية بالغرور والتكبر[2]:

يختالُ بين الناس متئدَ الخطا ريحُ الغرور هَبتْ من أردانهِ

كما يتحدث على لسان أحد المتصوفين وهو يتغزل في غلام تركي كان يعشقه فقد جعله قبلته وإمامه وطبيبه الذي يشفيه من علله، فهو يقول اسألوا سبحتي هل كنت استعملها في غير ذ كر اسم شكيب. كما أنه أمر الرياح أن تطيع شكيب في أمره لتأتى به إليه سريعاً ويقصد أنه وفر له كل وسائل الإسراع في العودة وهو بذلك يكون جعل لنفسه ومعشوقه خاصية من خصائص الله لأن الرياح لا تجري إلا بأمر الله سبحانه وتعالى[3]:

هو ذكـــــــرى وقبلتي وإمامي وطبيـــــــبي إذا دعوتُ الطبيبا

فسلوا سبحتي، فهل كان تسبيـ ـــحى فيها إلا (شكيباً شكيبا) ؟

وأمرنا الرِّياحَ تجـــــرى بأمرٍ منك حتّى نراك منـــــا قريبا

ويشير إلى الشباب الذين ينفقون أموالهم في اللهو والمجون[4]:

كم وارثٍ غضِّ الشبَّابِ رميته بغرامِ راقصةٍ وحبِّ ەلوكِ

ألبسته الثوبينِ في حاليه ـــما تيه الغـــن وذلةَّ المفلوكِ

كما يشير إلى تحقير الإنجليز للمصريين فقد عملوا على إعزاز الجماد وإذلال الإنسان فاعلوا الطين وأرخصوا الدماء[5]:

عملتم على عزِّ الجماد وذلنا فأغليتمُ طيناً وأرخصتمُ دما

---

(١) الديوان: 198/1.

(٢) المرجع السابق: 60/1.

(٣) المرجع السابق: 111/1-112.

(٤) المرجع السابق: 250/1.

(٥) المرجع السابق: 20/2.

حديث حافظ إبراهيم عن الرذائل التي كانت منتشرة في مصر رسم لنا صورة واضحة للحياة المصرية في عصره، فقد كان ينظر للمجتمع بعين الناقد، ولعل ما نمى عنده هذا الإحساس النقدي هي السرعة الكبيرة التي كانت تتغير بها البلاد .فقد جاء الاستعمار وجلب معه عوامل كثيرة أسهمت في تغير ملامح المجتمع المصري مما جعل الشاعر يدون كل ما تراه العين ولكن دون أن يحمله أي رؤية خاصة أو أي فلسفة تجعل له طابعاً خاصاً.

والجدير بالذكر أن ما تناوله حافظ في مبحث الرذائل ينطبق تماماً مع ما جاء به في عمله النثري ليالى سطيح وهو عبارة عن سبع ليالى يدور فيها حوا89ن الراوي وشخص معه وسطيح الحكيم الناصح المتكهن بالأخبار والأحوال. ومن خلال هذا الحوار يطرح حافظ آراءه حول الأوضاع السياسية والاجتماعية وحتى الأدبية فيذكر الظلم الذي يتعرض له الشعب المصري على أيدي المحتلين وانتشار الصحف المأجورة وكبت حرية الكتاب والمثقفين كما اتهم الشعب المصري بأنه شعب متواكل ومكسال وعاب على المصريين انصرافهم إلى اللهو والملذات وانتشار الفساد الأخلاقي بينهم .ولقد اختلف النقاد حول هذا العمل فمنهم من أدخله في المقامة ، ومنهم من أدخله في القصة ومن خلال قراءتي له وجدت أن أسلوبه أقرب إلى المقامة ، وإن كان يفتقد لبعض أهم خصائصها وهي أن المقامة عمل قائم على الكدية والاستجداء والبطل المحتال، كما أنها عمل متصل الأحداث ، ويتميز بروح الفكاهة والمرح، بينما ليالي سطيح لم يقم على الكدية والاستجداء ، ويفتقد لهذا البطل المحتال كما أنه عمل متصل منفصل فهو متصل لأن الراوي وسطيح شخصيات ثابتة.بينما الشخصية الثالثة متغيرة، كما أن مواضيع الحوار تختلف كل ليلة عما قبلها ويغلب على ليالي سطيح الطابع التراجيدي الجدي.

الفصل الثاني

الدراسة الفنية

المبحـــث الأول

الصورة

مفهوم الصورة الفنية ووظائفها

الصورة هي أبرز سمات الشعر، وهي وسيلة الشاعر للتعبير عما يدور في مخيلته، ومن خلالها يستطيع الشاعر أن يجعل المستحيل ممكناً .وقد أشار إلى ذلك الدكتور محمد غنيمي هلال بقوله "الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة ، في معناها الجزئي والكلي"[1].

فالصورة بالمفهوم الفني تعني:" أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن"[2]. لأن هذه "الصورة التعبيرية الإيحائية أقوى فنياً من الصور الوصفية المباشرة، إذ أن للإيحاء فضلاً لا ينكر على التصريح "[3] "فقوة الشعر تقوم أساساً على الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور لا التصريح بالأفكار مجردة، ولا في المبالغة في وصفها .ومن هنا كان على الشاعر ألا يقتصر في شعره على الوقوف عند التشابه الحسّي بين الأشياء دون ربط التشابه بالشعور المسيطر على الشاعر لدى نقل تجربته" [4] .

ويقول الدكتور عز الدين إسلعيل:" الصورة الفنية تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع"[5].

وهذا يعني أن الصورة الفنية تعتمد على الخيال وتتولد منه، والخيال قدرة عقلية لا تتأتى للجميع، وكلما كان خيال الشاعر واسعاً كلما كانت الصورة أكثر عمقاً ، " فالخيال هو العدسة الذهبية التي من خلالها يرى الشاعر موضوعات ما يلحظه أصيلة في شكلها ولونها "[6]. فالصورة"نتاج لفاعلية الخيال وفاعلية الخيال لا تعني نقل العالم أو نسخه،إنما تعني إعادة التشكيل، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر، والجمع بين العناصر المتضادة أو المتباعدة في وحده . إذا فهمنا هذه الحقيقة جيداً أدركنا أن المحتوى الحسي للصورة ليس من قبيل "النسخ"، وإنما هو إعادة تشكيل لها . وطريقة فريدة في

---

(١) النقد الأدبي الحديث- ص 442-1973م- دار الثقافة- دار العودة- بيروت.

(٢) الصورة الفنية في النقد الشعري د / عبدالقادر الرباعي- ص 85- ط1- 1405هـ- 1984م- دار العلوم- الرياض.

(٣) النقد الأدبي الحديث- د/ محمد غنيمي هلال- ص 451.

(٤) الصورة في شعر بشار بن برد – د/ عبدالفتاح صالح نافع - ص 57 -1983م - دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان .

(٥) التفسير النفسي للأدب- ص 58- ط4- دار غريب للطباعة – القاهرة.

(٦) النقد الأدبي الحديث- د/ محمد غنيمي هلال ص 411.

تركيبها، إلى الدرجة التي تجعل الصورة قادرة على أن تجمع الإحساسات المتباينة،وتمزجها وتؤلف بينها في علاقات ، لا توجد خارج حدود الصورة" [1].

وقد أشار الدكتور نعيم اليافي إلى أن الصورة الفنية في شعر التيار التقليدي المحافظ تؤدي وظيفتين أساسيتين.

الوظيفة الأولى:

ترتبط بوظيفة الشاعر الاجتماعية التي تجبره على تقديم الأسباب والمعاذير بين يدي غيره، وترتبط أيضاً بالفكر المنطقي الذي يحكم الشعر بقيمه وترتبط بحاجة الإنسان إلى إقناع الآخرين بفعله.

الوظيفة الثانية:

استخدام الصور بقصد التزين والزركشة، وقد دعمته عدة أمور منها:

1 –نظرية المحاكاة والصنعة وعلاقتها بالشكلية والتعميم والإطار الصلب.

2 –المفهوم السائد عن الأسلوب أنه عبارة عن حلية ومقدرة لغوية.

3 –نظرية الجمال الحسية الموضوعية وصلتها بالمعنى الشريف واللفظ الأنيق.

فقد كان الشعراء التقليديون يقدمون صورهم الفنية لذاتها ؛ سعياً وراء التنميق والتزويق، وفي سبيل ذلك كانوا يطنبون في أوصافهم وينساقون وراء الكثير من الصفات التي يضيفون بعضه ا إلى المشبه وبعضها الآخر إلى المشبه به، وهي ليست إلا أثواباً زاهية ليست ضرورية ولكنها قد تعطي الفكرة عمقاً وزركشة[2].

وبما أن الشاعر حافظ إبراهيم ينتمي إلى التيار التقليدي المحافظ .فقد كانت الوظيفة الأولى واضحة وجلية في شعره من خلال الأبيات التي أوردناها في الفصل السابق، والتي كان يدعو فيها إلى الفضائل ويحارب الرذائل، فقد كان يقوم بالدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي من خلال حديثه عن الأخلاق، فشعره محكوم بقيم اجتماعية عالية مستمدة من الدين الإسلامي .وقد أشار إلى ذلك الدكتور جابر عصفور حين قال:" يصل حافظ إبراهيم هذا الشعر بالنفثة الروحانية التي تخامر النفوس الزكية، أو

---

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – د/ جابر أحمد عصفور – ص 340-341 – دار المعارف – القاهرة .

(٢)أنظر: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث- ص 19-20- ط1- 2008م- صفحات للدراسات والنشر- دمشق.

يقرن الشعر بالحقيقة التي تشرف على الكون في بيت منه، وبالحكمة التي تصل بين طريقة الشعر وآيات الكتاب العزيز، وذلك في عبارات تصل بين البعد المعرفي والبعد الأخلاقي من الحكمة"[1].

(١) الشاعر الحكيم – قراءة أولية في شعر الإحياء- ص124 - فصول 124- المجلد الثالث- العدد الثاني -يناير– فبراير- مارس- 1983م.

الصور الفنية في شعر حافظ إبراهيم

1- الاستعارة:

تعد أعظم فن في علم البيان وقد حظيت بكثير من العناية قديماً وحديثاً .وقد قال عنها عبد القاهر الجرجاني: "أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه. تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: رأيت أسداً"[1].

عرفها الخطيب القزويني بقوله:"هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له"[2].

تنقسم الاستعارة من حيث ذكر أحد طرفيها إلى:

1-استعارة تصريحية: :

"هي أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به"[3].

ومن أمثلتها قوله[4]:

عزلٌ ولكن في الجهاد ضراغمُ لا الجيشُ يفزعُها ولا الأُسْطُولُ

الشاعر في هذا البيت عبر بكلمة ضراغم عن الشعب المصري فقد شبههم بالأسود الضواري لشجاعتهم، فبرغم أنهم عزل من السلاح إلا أنهم يتحلون بالشجاعة فلا تفزعهم الجيوش الجر ارة ولا الأساطيل البحرية العظمى، فالعلاقة بينهم وبين الضراغم المشابهة، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي قوله: (ولكن في الجهاد) لأن الجهاد مفروض على الإنسان فقط دون الحيوان .وهنا استغل الشاعر الصورة المطبوعة في أذهان العرب عن الأسود تحديداً، فقد كان العربي يحرص على تسمية أبنائه بأسماء الأسد تيمناً بهذا الحيوان الذي يضرب به المثل في الشجاعة والإقدام، والشجاعة من أنبل الصفات العربية ومن أجمل ما اتصف به الرجل العربي. ومن هنا أحب العرب هذا الحيوان القوي وأحبوا التشبه به إلا أن استعارة أسماء الأسد للتعبير عن الشجاعة تعد استعارة مستهلكة ومكررة حتى إنها تستعمل في أحاديث الناس اليومية والاستعارة في هذا البيت تصرحية لأن الشاعر صرح بذكر المشبه به وهو الضراغم.

ويقول[1]:

---

(١)دلائل الإعجاز- عبد القاهر الجرجاني - ص 67- قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر – ط3- 1413هـ/1992م- دار المدني – جدة.

(٢)الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني - ص 159- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني – ط1- 1426هـ/2005م- دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) الإضاح في علوم البلاغة-عبد القاهر الجرجاني- ص 178.

(٤) الديوان: 69/1.

أنت ما يدريكَ لو أنبئتَ ربما أطلعتَ بدراً نيِّرا

في هذا البيت عبر بكلمة بدر عن اليتيم وهو بذلك يشبهه بالبدر في اكتماله وجمال ظهوره وعلوه ونظرة الناس الجميلة له فهو يقول أن هذا اليتيم إذا ساعده أهل الثروة والغنى وأتاحوا له أن يعيش حياة كريمة قد يصبح شخصاً مهماً صاحب مكانة رفيعة يخدم دينه ووطنه وشعبه لأنه إن تهيأت له الظروف المناسبة نبغ وأبدع .وهو بذلك يستفيد ويفيد غيره وحافظ هنا استعار كلمة البدر وحملها الكثير من المعاني الجميلة التي تدل عليها فهي تحمل معنى العلو والمكانة الرفيعة ومعنى الكمال والظهور إلا أن التعبير عن العلو والمكانة الرفيعة بالبدر تعبير مألوف ومنطقي ولا يحمل أي إبداع وهذه الاستع ارة تصرحية لأن الشاعر صرح بذكر المشبه به البدر.ويقول[2]:

واهاً على تلكَ المواقفِ إنها كانت مواقفَ ليثِ غابٍ ضاري

عبر حافظ بكلمة ليث عن ممدوحه مصطفى كامل(1874-1908م) وهو بذلك شبهه بالأسد في صرامته وقوته وتزعمه واتخاذه القرار في المواقف الصعبة، فالليث زعيم الغابة الذي تهابه كل الحيوانات وتأتمر بأمره، وكذلك الممدوح كان زعيماً مسموع الرأي في قومه، فقد كان سيد المواقف الصعبة وصاحب القرار الحاسم، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي حاليه تفهم من السياق . وكلمة ليث في هذا البيت وظفت من قبل الشاعر بشكل جيد، فقد اختزلت الكثير من الصفات والمعاني فهي ترمز إلى الشجاعة والقوة والقيادة وحسن التصرف، ولكن كما قلت سابقاً إن التعبير بأسماء الأسد عن الشجاعة والقوة يعد تعبيراً مستهلكاً والاستعارة في البيت تصريحية لأن الشاعر فيها صرح بذكر المشبه به وهو الليث.

2- استعارة مكنية:

تحدث عنها الخطيب القزويني بقوله :" قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به"[3].

ومن أمثلتها قوله[4]:

ننهبُ اللهو غافلينِ وكنـــا نحسبُ الدَّهــرَ قد أنابَ وتابا

---

(١) المرجع السابق: 245/1.

(٢) الديوان: 141/2.

(٣)أنظر: الإيضاح في علوم البلاغة – ص 176- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٤) الديوان: 204/2.

حافظ أراد أن يشبه الدهر بالإنسان فذكر المشبه الدهر وحذف المشبه به الإنسان ، وجاء بشيء من صفاته ولوازمه وهي الإنابة والتوبة، وهي أيضاً القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي .فالشاعر جاء بهذه الاستعارة حتى يوضح شدة الاطمئنان والأمن من الدهر والظن أنه صفا ولن يكدر ثانية، فالتوبة والإنابة تعني الصدق في الرجوع عن الشيء وعدم العودة إليه ثانية، فهذه الاستعارة أعطت المعنى قوة وأكسبته جمالا لأنها جعلت من الدهر إنساناً يتوب وينيب والشاعر من خلال توظيفه لهذين الفعلين أعطى مبرراً قويا جداً للإمعان في اللهو والغفلة، لأن من يأمن العقوبة يسيء الأدب، لكن هذه الاستعارة أيضا تعد قريبة و لم يحلق فيها حافظ بخياله وتسمى هذه الاستعارة استعارة مكنية.

ويقول- أيضاً-[1]:

مؤثرَ البؤسِ والشقَّاءِ على الشَّكـــ ـــوى وإنْ عضَّكَ الزَّمانُ بنابِ

شبه الزمان بحيوان مفترس فذكر المشبه الزمان وحذف المشبه به الحيوا ن المفترس وجاء بشيء من صفاته ولوازمه وهو العض بالناب، وهو أيضاً القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي .وقد جاء بهذه الاستعارة ليوضح شدة قسوة الظروف وحوادث الزمان على الإنسان ، حتى إنها أصبحت تفترسه افتراس الوحوش الضواري، فاستعارته الناب للزمان قد أعطى المعنى قوة وأكسبه حساً جلياً يستثير المشاعر.وحافظ بهذه الاستعارة قد سما بممدوحه إلى أقصى درجات الصبر وعزة النفس فهو صابر ورغم البؤس والشقاء إلا أنه عزيز النفس لا يشتكي وإن قسا عليه الزمان وافترسته حوادثه وظروفه، وهذه الاستعارة رغم ما أعطته للمعنى من قوة إلا أنها لم تحمل أي جدة ويطلق على هذه الاستعارة استعارة مكنية.

---

(١) الديوان: 219/2.

2- التشبيه:

" هذا الباب يتفاضل فيه الشعراء وتظهر فيه بلاغة البلغاء. وذلك أنه يكسب الكلام بيانا عجيباً. وهو طبقات في الحسن"[1].

وهو "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى"[2] وله عدة أنواع نختار أبرزها عند الشاعر كما يلي:

1. التشبيه المرسل:

هو" ما ذكرت أداته" [3]

ومن أمثلته[4]:

والحامل الأقلامِ مشروعةً كأنّها بعضُ القنا الشرُّعِ

يشبه الأقلام التي تدافع عن الحق وتنصر المظلوم وتحاكم الظالم بالرماح التي تصوب للدفاع عن النفس، فالقلم سلاح مشروع للدفاع عن النفس، كما أن قوته لا تقل أبداً عن قوة الرماح فإذا كان المحارب يقاتل في الحرب بعدة القتال، فالكاتب – أيضاً- يحارب ويقاتل بقلمه ويحقق الانتصار، فانتصاره انتصار للفكر والمبادئ والحرية .والشاعر من خلال تشبيهه الأقلام بالرماح جعل للقلم أهمية لا تقل عن أهمية السلاح لأنه نوع من أنواع الأسلحة لذلك فإن تشبيه القلم بالرماح تشبيه مستهلك وقريب جداً، وهذا التشبيه مرسل لأنه ذكر المشبه الأقلام والمشبه به القنا وأداة التشبيه الكاف.

ويقول[5]:

في دورهن شؤونهن كثيرةٌ كشؤون رب السريف والمزراقِ[6]

شبه حافظ عمل المرأة في بيتها بعمل المحارب في القتال فهي تناضل مثلما هو يناضل فعملها في بيتها جهاد تؤجر عليه مثلما يؤجر المقاتل على جهاده، وهو هنا يريد أن يوضح أن عمل المرأة في بيتها لا يقل أهمية عن عمل الفارس في الميدان فهي مربية الأجيال التي يخرج من تحت أيديها العظماء

---

(١)ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني – ص 81- حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد د / محمد زغلول سلام – ط4- دار المعارف- القاهرة.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني – ص 122- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٣) المرجع السابق 151

(٤) الديوان: 18/1.

(٥) المرجع السابق: 222/1.

(٦) المزراق: الرمح.هامش الديوان222/1

والأبطال.وهذا التشبيه مرسل لأنه ذكر المشبه ضمير الغائبات هن وذكر المشبه به وهو قوله : (شؤون رب السيف والمزراق) وأداة التشبيه الكاف.

2. التشبيه الضمني:

هو:"التشبيه المكني غير المصرح"[1] بمعنى أن التشبيه لا يظهر بشكل واضح بل يفهم ضمنياً من خلال السياق.

ومنه قوله[2]:

ما عابهم أنَّهم في الأرض قد نثروا فالشُّهبُ منثورةٌ مذ كانت الشُّهبُ

شبه الشاميين الذين قد انتشروا في بقاع الأرض طلبا للرزق، بالشهب المنتشرة في السماء وتشبيههم بالشهب يوحي بعلو المنزلة، فالشاميون وصلوا إلى مناصب عالية في البلدان التي هاجروا إليها، وحافظ جاء بالتشبيه بشكل ضمني في جملة مستقلة وضمنه المعنى في صورة برهان و لم يصرح به.

وقوله[3]:

جدتم لها بالنفس في ورد الصبا والوردُ لم ينظرْ إليه ذبـــولُ

يقول حافظ: إن شباب مصر قد ضحوا بأنفسهم من أجل مصر وهم مازالوا في عمر الزهور فهو يشبههم بالورد، والورد يوحي بالنظارة والجمال والإقبال على الحياة وهو بتشبيهه هذا جعل كل هذه المعاني تصل إلى ذهن المتلقي بأسلوب ضمني يوحي بالتشبيه ولا يصرح به ، وتشبيهه الشباب بالورد تشبيه مستهلك ومكرر حتى إنه يستخدم في الأحاديث اليومية التي تدور بين الناس.

3. التشبيه البليغ:

يقوم على" ترك كلمة التشبيه ووجه الشبه " [4].

ومن ذلك قوله [5]:

شمائلكَ الغرُّ هنَّ الرياض روى عن شذاها نسيمُ السَّحَرْ

شبه الشاعر صفات إسماعيل صبري (1854-1923م) وأخلاقه بالرياض ذات الشذا العطر وهو يريد أن يقول إنه صاحب سيرة عطرة وخلق رفيع، فالقرب منه يريح النفس مثلما القرب من الرياض يريح الإنسان. وهذا التشبيه بليغ لأنه ذكر المشبه وهو قوله (شمائلك) وذكر أيضاً المشبه به (الرياض) وحذف

---

(١) المطول على التلخيص- سعد الدين التفتازاني- ص 344- مطبعة أحمد كامل- 1330هـ.

(٢) الديوان: 210/1.

(٣) المرجع السابق: 71/1.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني - ص152- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٥) الديوان: 188/2.

أداة التشبيه ووجه الشبه وعلى الرغم من أنه تشبيه بليغ إلا أنه لا يعد كذلك لأن تشبيه الأخلاق الحسنة بالرياض والرائحة العطرة تشبيه مكرر ومتداول.كما أن البيت يضم استعارة مكنية في قوله : (شمائلك الغر) حيث شبه حافظ صفات ممدوحه بالخيول النفيسة ، فحذف المشبه به (الخيول) وجاء بشيء من لوازمها وهي الغرة التي تكون في الحصان النفيس.

3) المجاز:

" هو ما استعمل فيما لم يكن موضوعاً له لا في اصطلاح به التخاطب ولا في غيره كلفظة الأسد في الرجل الشجاع"[1].

وللمجاز أقسام عدة ذكرها البلاغيون وسأعرض أهم ما جاء منها في شعر حافظ.

1- المجاز المرسل:

"هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه"[2].

من أمثلته[3]:

وطوَّقت العوارفُ كلَّ جيد وكان شعارنا رفقاً و لينا

المجاز المرسل في قوله (جيد) فالمعروف لا يطوق الجيد فقط بل يغمر شخص الإنسان ولا يختص بالجيد ليس غير، لكن لما كان الجيد هو موضع كرامة الإنسان . ولذا أطلق على النفس كما في القرآن الكريم : (**وما أدراك ما العقبة . . . .فك رقبة**) [4]. وعندما يساعد الإنسان أخاه الإنسان يكون ذلك إكراماً واحتراماً له، لذلك أطلق الجزء (الجيد) وأريد به كل شخص الإنسان، وهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية. ويقول[5]:

دعائمه التقوَّى وأساسه الهدى وفيه الأيادي موضعُ اللبناتِ

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني - ص 152- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٢) المرجع السابق- ص 154

(٣) الديوان: 251/1.

(٤) البلد 12-13.

(٥) الديوان: 133/2.

المجاز المرسل في قوله: (الأيادي) والمراد أن بيت الإمام محمد عبده (1266-1323هـ) مليء بالنعم والخيرات أطلق كلمة (الأيادي) وأراد النعم لأن اليد هي الآلة التي تصدر عنها النعمة وهذا مجاز مرسل علاقته الآلية.

4-الكناية:

" لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ "[1] والكناية تنقسم إلى عدة أقسام كما ذكره ا البلاغيون، ونعرض لأهم ما ظهر منها في شعر حافظ.

1-الكناية عن الصفة:

"هي المطلوب بها الصفة"[2].

من أمثلتها[3]: 100

كثيرُ الأيادي، حاضرُ الصرَّحِ منصفٌ كثيرُ الأعادي، غائبُ الحقد مسعفُ

الكناية في قوله: (كثير الأيادي) فالشاعر يريد أن يصف الممدوح بكثرة النعم و كثرة المساعدة لغيره فهو كريم وصاحب نجدة، ولكنه لم يذكر ذلك صراحة بل كنى عنه بكثرة الأيادي . والكناية بكثرة الأيادي عن الكرم وكثرة المساعدة كناية مستهلكة واستخدمها الكثير من الشعراء قديماً وحديثاً.

ومنها- أيضا-[4]:

أستودعُ الله شهماً ندباً طويلَ النجادِ

الكناية في قوله (طويل النجاد) والشاعر هنا يريد أن يصف الممدوح بطول القامة والشجاعة ولكنه لم يذكر ذلك صراحة، وإنما كنى عنه بطول النجاد لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه ويلزم من طول الجسم الشجاعة، وهي من أجمل صفات الرجل العربي . والكناية بطول النجاد عن الشجاعة كناية مستهلكة ومكررة.

ومنها قوله في الشيخ محمد عبده (1266-1323هـ) [1]

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني - ص 182- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٢) المرجع السابق- ص 183

(٣) الديوان: 10/1.

(٤) المرجع السابق: 66/2.

ملاذ عيايلٍ، ثمال أرامل غياث ذوي عدمٍ إمام هداة

الكناية في كامل البيت فقوله: (ملاذ عيايل، ثمال أرامل، غياث ذوي عدم، إمام هداة) كلها كنايات عن صفات الكرم، والنجدة والمساعدة فهو يكفل الأيتام والأرامل، ويقوم بأمرهم ويعين المحتاجين والفقراء وتسمى هذه الكناية عن صفة وجميع هذه الكنايات مستهلكة ومكررة.

2-الكناية عن الموصوف:

هي " المطلوب بها غير صفة ولا نسبه"[2].

من أمثلتها[3]:

قيَّضَ اللهُ للضعَّيفِ نفوساً تعشقُ البِيَّمن ذواتِ الحجالِ

الكناية في قوله (ذوات الحجال) فالشاعر كنى بذوات الحجال عن السيدات ، والحجال هو موضع تزين العروس، وهو بذلك أراد أن يشير إلى جمعية خيرية كانت مكونة من سيدات.

ومنها قوله[4]:

ستكفيها العنايةُ كلَّ شرٍّ ويحرسُ خدرها (الروحُ الأمينُ)

في البيت كنايتان قوله (العناية) وهي كناية عن الله سبحانه وتعالى لأنه يعتني بخلقه ويحيطهم برحمته، أما الكناية الثانية فهي قوله (الروح الأمين) كناية عن جبريل عليه السلام، فقد كنى عنه بالروح الأمين ، لأنه أمين على الوحي الذي ائتمنه عليه الله سبحانه وتعالى ، واختصه به وكلا هاتين الكنايتين معروف ومستهلك يستعمله الناس العاديون في أحاديثهم اليومية.

ويقول الدكتور أحمد أمين عن راسكين:" كل من الشاعر والمصور يلتقط كل ما رأى وما سمع طول حياته، ولا يفوتهما منظر حتى لو كان أدق طيات الملابس أو حفيف أوراق الشجر، ثم يخزنانها ثم يهيم الخيال، فيستخرج منها صوراً وآراء متناسبة منسقة في الأوقات الملائمة"[5].

---

(١) المرجع السابق: 133/2.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني - ص 182- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٣) الديوان: 245/1.

(٤) الديوان: 223/2.

(٥) النقد الأدبي – أحمد أمين- ص 55-ط4-1387هـ/1967م- دار الكتاب العربي- بيروت.

وهذا يعني أن الصور الفنية التي يوردها الشاعر في شعره هي وليدة إعمال خياله فيما اختزنه من صور ومشاهد ومواقف وتجارب مرت عليه طول حياته، ولا بد أن يغذي هذه الصورة بعواطفه وأحاسيسه وآرائه وفلسفته الخاصة حتى تصطبغ بخلجاته النفسية وبشخصيته ويصبح لها طابعها المميز الذي يميزها عن غيرها.

وهذا ما لم يفعله حافظ إبراهيم في شعره عن الأخلاق، فقد وقف عندما رأته عينه ونقله كما رآه دون أن يحمله أي عمق وأي فلسفة.

وقد ذكرت الدكتورة فاطمة سعيد حمدان :"أن الصورة الفنية لا يمكن أن تنفصل عن الخيال، فهو الذي يمكن الشاعر من تكوين صور ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس، فيجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباعدة ويعيد تشكيلها وينشأ بينها علاقات تذيب التنافر وتقرب المسافات، فيحل بينها الانسجام والائتلاف، لأنها تتفاعل وتتحول إلى كائن لغوي وعالم مستقل عن جزئياته التي شكلته"[1].

الدكتورة فاطمة هنا تتحدث عن حالة الخلق لدى الشاعر كيف يستطيع أن يصنع من أشياء متضادة كائنا جديداً مختلفاً عن مكوناته، وهذه الحالة هي أقصى درجات الإبداع عند الشاعر ومن يحرم منها فقد حرم المتلقي من المتعة الفنية وجاءت صورة مألوفة ومبتذلة.فنحن لا نستطيع أن نصف أي شاعر بالإبداع إلا إذا استطاع أن يخلق حالات من الإبداع الفني لم يعتادها المتلقي و لم يألفها.

هذا ما لم يتأت لحافظ إبراهيم ولهذه الأسباب جاءت استعاراته وتشبيهاته وكناياته مألوفة ومستهلكة لدرجة أنها تستعمل في الأحاديث العادية التي تدور بين الناس، وهذا يظهر من خلال هذه النماذج التي تناولناها بالدراسة، والتي تعد من أفضل الصور في شعره عن الأخلاق كما افهم، إلا أنها تعد مألوفة وقريبة إذا ما قورنت بغيرها من صور شعراء المدرسة التقليدية. كما أني عملت جاهدة ع لى إبراز مميزات استخدامه لهذه الصور وكيف أنها أدت وظيفتها في إيصال المعنى لذهن المتلقي وعلى رغم من أنها مألوفة وبعيدة عن الإبداع والابتكار إلا أنها لا تخلو من الصور الجميلة التي تحمل معاني راقية وقيم خالدة، ولكن يؤخذ على حافظ نقله لصور القدماء كما هي دون أ ن يضف لها أي جديد، فهو لم يستطيع الابتكار و لم يستطيع التجديد، وقد أكد ذلك الدكتور طه حسين حيث قال :" كان حافظ يقلد القدماء تقليداً ويحاكيهم محاكاة تذهب بشخصيته أو تكاد تذهب بها .... وأحسست، كأنك تقرأ شعر طالب وضع أمامه نماذج من الشعر القديم وأراد محاكاتها، فأخذ معاني القدماء، وذهب مذهبهم في الغلو السقيم"[2].

---

(١) مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة- د/فاطمة سعيد حمدان- ص 290- 1421هـ/2000م.

(٢) حافظ وشوقي- ص 157.

كما قال أيضاً:" لحافظ في شعره كله صور يقلد فيها القدماء، ولكنه لم يحققها و لم يمحصها، و لم يكن حافظ يحفل بمثل هذا التحقيق والتمحيص؛ لأنه كان يؤمن بروعة اللفظ وأثرها في نفس السامع والقارئ"[1].

والدكتور طه حسين يشير في كلامه هذا إلى أن حافظ كان يؤثر جزالة اللفظ على التعمق في المعاني، كما أنه اعتمد في تشبيهاته على الأشياء المتشابهة و لم يحاول الجمع بين المتضادات التي تعمل على تميز العمل وتفتح آفاق الشاعر للخلق والإبداع .وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبدالعزيز المقالح حيث قال:" حافظ إبراهيم الذي لم يبرح مناخ الشعر العربي القائم على الفكرة لا على الصورة، وعبثاً يحاول الدارس البحث في شعر حافظ عن صورة تختلف في تركيبها عن تركيب الصورة كما هي عند شعراء العصر العباسي على أحسن الأحوال"[2].

وقد انتقد الدكتور نعيم اليافي الصور الفنية في شعر حافظ إبراهيم قائلاً:" لو ذهبنا نتتبع الصور الفنية في شعر هذا الشاعر ونفحصها بوصفها الوسائط التي يولدها الخيال ويخلقها، وقارناها ببقية الصور الفنية للشعراء التقليديين الذين ندرسهم لانتهينا إلى أن حافظاً كان أضحلهم خيالاً، وأقلهم إبداعاً وابتكاراً، وأضعفهم في التصوير، وأقربهم إلى سطح الحياة وتقرير الأشياء، وإذا كانت الأفكار المباشرة، والألفاظ التي لا تحمل سوى معانيها ذات الدلالات المحدودة، والإشارات الحرفية الكافية هي الأبنية الأساسية والهامة التي يقوم عليها شعره"[3].

هذا الكلام يؤكد ما ذكرته سابقاً أن حافظاً كان ضعيف الخيال هزيل الصور فصوره الفنية في أفضل حالاتها مألوفة ومبتذلة إذا ما قورنت بغيرها من صور شعراء المدرسة التقليدية المحافظة.

قال الدكتور طه حسين:"غنيت ذاكرة حافظ، ولكن عقله ظل فقيراً .فاعتمدت شاعريته على الذاكرة من جهة وعلى الحياة المحيطة به من جهة أخرى. استمدت موضوع شعره من هذه الحياة واستمدت صورة شعره من تلك الذاكرة ، وكانت ثقافة حافظ العقلية محدودة فلم ينفذ عقله إلى طبائع الأشياء، و لم يصل إلى أسرارها فعجز عن إجادة الموضوع"[4].

---

(١) المرجع السابق- ص 172-173.

(٢) شوقي وحافظ وأوليات التجديد في القصيدة العربية المعاصرة- د/ عبد العزيز المقالح - ص 198- فصول – المجلد الثالث- العدد الثاني- يناير – فبراير – مارس – 1983م.

(٣) تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث-ص 66.

(٤)حافظ وشوقي- ص 197-198.

كلام الدكتور طه حسين – أيضاً- يؤكد ما ذكرته سابقاً أن حافظاً لم يتعمق في رؤيته للأشياء إنما وقف عند ما رأته عينه ونقله كما هو دون أن يعمل خياله لذلك اتسمت صوره بالقرب وعدم الابتكار.

كما قال الأستاذ أحمد أمين في المقدمة التي كتبها لديوان حافظ إبراهيم "أما خياله، فكان مع الأسف –خيالاً قريباً- قل حظه من الابتكار، وقل حظه من التصوير، قصر خياله عن أن يغوص في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة فيه، ثم يخرجه إلى الناس كما يشعر به وقصر عن أن يحلق في السماء فيصور منظراً عاماً يجذب النفوس إليه" [1].

وبذلك نجد أن معظم النقاد وصفوا حافظ بضعف الخيال وعدم القدرة على الابتكار.

أما الدكتور محمد بن سعيد بن حسين فقد قال :" وفي بحثي عن الخيال في شعر شاعرنا، خرجت بنتيجتين أحسب أن الصواب حالفني فيهما:

الأولى: أنه لم يكن يخلو من الخيال البديع الموحى أحياناً.

والثانية: أنه لم يلحق بمن اعتبروا أنداداً له من فحول عصره" [2].

بالتأكيد لا يخلو شعر حافظ من الصور الجميلة وهذا يتضح من خلال النماذج آنفة الذكر، لكن هذه الصور الجميلة لا تلبث أن تصبح عادية إذا ما قورنت بغيرها من صور شعراء المدرسة التقليدية ، فهذه الصور تبدو جميلة عندما تقارن بالصور السخيفة التي يعج بها ديوان حافظ ومنها[3]:

وأصبحت (مكـــدنُ) ياقوتةً يغارُ منها الدرُّ والجوهرُ

علق الدكتور عبد الحميد سند على هذا البيت قائلا: " فهذا ذوق فاسد ونفس خشنة رأت في منظر الدماء ما يغار منه الدر والجوهر"[4].

من هذه الصور السمجة- أيضاً-[5]:

وأصبحَ الشعرُ والأسماعُ تنبذه كأنّه دسمٌ في جوف مهعودِ

هو يرى أن الشعر من بعد موت البارودي (1255-1322هـــ) أصبح شيء يكرهه وينبذه الناس مثلما ينبذ الإنسان المعلول بمعدته الطعام الدسم. وهذا التعبير يثير التقزز والاشمئزاز.فالشعر فن جميل

---

(١)مقدمة ديوان حافظ ج .

(٢)حافظ إبراهيم ونظرات في شعره- ص 92-ط1 – 1404 هـــ - 1984م – دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع - الرياض

(٣) الديوان: 7/2.

(٤) حافظ إبراهيم شاعر النيل- ص 122

(٥) الديوان: 127/2.

وراقي ولا يصح أن يشبهه بهذه الصورة التي صورها حافظ . وغير هذه الصور السمجة، كثير في ديوانه.

لذلك لا نستغرب إذا ما قال عنه صديقه الأستاذ أحمد محفوظ: "كان حافظ قريب الغور، لا يضرب في سموات الخيال بسهم بعيد الرمية، ولا يحلق إلا بأجنحة متكسرة"[1].

وقد قال الدكتور عبد الحميد سند أنه على أية حال فقد قصر خيال حافظ عن أن يحلق عالياً في السماء فيزجي إلى الفن صوراً رائعة. ونحن لا ننكر أن له صوراً جميلة ولكنها قليلة في شعره.

وقد أرجع أسباب نضوب خيال حافظ إلى ثلاثة أمور هي:

1- ضعف ثقافته الغربية ولو كانت واسعة لوجدنا أثر ذلك في شعره من خلال الخيال المجنح.

2- إنه لم يعيش حياة مترفة يرى فيها قصور الحكام الرائعة التي تزخر بالجمال من التحف والأواني النفيسة والأثاث الموحي.

3- قلة أسفاره ورحلاته فهو لم يتسنى له الكثير من الأسفار و لم يسافر إلى أوروبا إلا مرة واحدة زار فيها فرنسا وإيطاليا فلم يتمكن من رؤية ما يوسع خياله ويثرى قريحته[2].

وقد ذكر الدكتور محمد بن سعيد أن حافظاً لم يكن صاحب خيال، و لم تكن لديه القدرة على الانسياب والولوج إلى مسارب الحس والشعور ليصل إلى ما خلف الظواهر والمحسوسات الغريبة ، غير أن الخيال ليس كل الجمال وإنما هو جانب إذا نقص عوض عنه جانبٌ آخراً ، وهذا ما حدث لحافظ فقد اعتاض عن الخيال بجمال اللفظ وحسن التعبير وسلامة التركيب والأسلوب والتفنن في الموسيقى الشعرية ولكن هذا لا يلغى فقدان حافظ لجانب مهم جداً من جوانب الجمال وهو الخيال[3].

بالفعل هذا ما تم لحافظ فلم يكن صاحب خيال ولكنه كان صاحب موسيقى رنان ة، جعلت شعره يليق بأن يكون شعر المناسبات الاجتماعية لذلك سيكون المبحث الثاني من هذا الفصل عن الموسيقى في شعر حافظ إبراهيم.

---

(١) حافظ إبراهيم ونظرات في شعره – د/ محمد بن سعيد بن حسين- ص 88.

(٢)أنظر: حافظ إبراهيم شاعر النيل-ص 122-123 (بتصرف).

(٣)أنظر: حافظ إبراهيم ونظرات في شعره-ص 88-89 (بتصرف).

المبحث الثاني

الموسيقى

الموسيقى

يقوم الشعر على نسق من الموسيقى لا يكاد يخلو منه، بل ثمة من يرى : "إن صلة الشعر بالموسيقى صلة مصيرية وغير قابلة للفصل مطلقاً، وهي صلة قديمة تمتد إلى الجذور الأولى لنشأة كلمة شعر بمعناه الأولى البسيط، وتطورت هذه الصلة بتطور الفن الشعري حتى أصبح الشكل الشعري المنظوم محكوماً بهندسة موسيقية منتظمة لا تقبل الخلل"[1].

بهذا فالموسيقى هي حجر الأساس الذي يقوم عليه العمل ا لشعري، وهي الميزة التي تميزه عن النثر وتجعل له ميل فني في النفس الإنسانية لأنها تستجيب وترتاح لما يكون منظماً أو مستمراً في حالة منتظمة متشابهة[2].

ولكن مما تتكون هذه الموسيقى الشعرية ؟.

العناصر الأولية المكونة للموسيقى الشعرية "هي الحركة والسكون ومن هذه ا لحركات والسكنات تتكون الفواصل المختلفة، وكل مجموعة من الفواصل تكون تفعيلة ... وأوزان الشعر العربي تتكون من مجموعات من التفاعيل المتساوية أو المتجاوبة مع اختلافات بسيطة تسمى الزحاف والعلل ، وهي الخلافات التي لا تؤدي إلى تغير النسق الموسيقى العام للبيت الشعري"[3].

قسم علماء العروض المحدثين الموسيقى الشعرية إلى نوعين من الموسيقى خارجية وداخلية ومنهم الدكتور علوي الهاشمي حيث قال:" تنقسم بنية الإيقاع إلى مجالين خارجي/ظاهر وداخلي/خفي"[4].

بوقفة متأنية عند موسيقى الشعر في ديوان حافظ إبراهيم وشعره الأخ لاقي كغيره من ا لشعراء المحافظين. تمكنا من التميز بين نوعين من الموسيقى، دارت حولهما الدراسة في هذا المبحث.

النوع الأول: الموسيقى الخارجية:

وتتمثل في لونين هما: الوزن والقافية وهما من أساسيات الشعر التي لا يحق للشعراء إهمالها، وقد أشار إلى ذلك الدكتور إبراهيم أنيس بقوله:" فالشعر جاءنا منذ القدم موزوناً ومقفى، والشعر لا يزال

---

(١) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الإيقاعية – أ .د/محمد صابر عبيد- ص 63- منشورات اتحاد الكتاب العرب - 2001م- دمشق.

(٢) انظر: العروض وإيقاع الشعر العربي- د/ عبدالرحمن تبرماسين- ص 81- ط1- 2003م- دار الفجر للنشر والتوزيع– القاهرة.

(٣) الأدب وفنونه- د/محمد مندور- ص 34- ط2- دار نهضة مصر للطبع والنشر- القاهرة.

(٤) فلسفة الإيقاع في الشعر العربي- ص 34- ط1- 2006م – وزارة الإعلام والثقافة والتراث الوطني- مملكة البحرين.

في جل الأمم موزوناً مقفى، نرى موسيقاه في أشعار البدائيين وأهل الحضارة ويستمتع بها هؤلاء وهؤلاء، ويحافظ عليها هؤلاء وهؤلاء"[1].

وبالنظر إلى ديوان حافظ نجد أن الوزن والقافية يمثلان علامة بارزة في بناءِ الموسيقى، وهذا أمر طبيعي لأن حافظاً ينتمي إلى المدرسة التقليدية المتمسكة بتقاليد الشعر القديم المحافظ على عمود الشعر العربي، فجميع قصائد ديوانه من الشعر البيتي المتكون من شطرين، والملتزم بقافية واحدة من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت، برغم كتابته عدداً قليل جداً من القصائد التي حاول التنويع في قوافيها، وألزم نفسه فيها بما لا يلزم.

1 – الأوزان:

الوزن " هو مجموعة التفعيلات التي يتألف منها البيت"[2] وهو يتكون من " البحور العروضية وتفاعيلها المختلفة"[3].

وبحر الكامل أكثر بحر استهوى حافظاً لينظم فيه، وقد نظم فيه تاماً ومجزوءً التام منه نحو[4]:

ما كان يأمنُ عثرةً لو لم يكن روحُ الحقيقةِ ممسكاً بعنانهِ

متفاعلن متفاعلن متفاعـــلن متفاعلين متفاعلن متفاعلن

والمجزوء منه[5]:

يا كاسى الأخـــــلاق في بلدٍ عن الأخلاقِ عــارى

متفاعلـــن متفاعلـــــن متفـــــاعلن متفاعلان

وقد جاء المجزوء من الكامل أيضاً قوله[6]:

من كل أروع فاتـــــك لا يستشير سوى الغــرار

متفاعلن متفاعلـــــن متفاعلين متفاعـــلات

ثم بعد ذلك يأتي كل من بحرى الطويل والخفيف وقد نظم في بحر الطويل التام وجاء نظمه فيه على عدة صور منها[1]:

---

(١) موسيقى الشعر–ص 22–ط4–دار العلم– بيروت.

(٢) النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال ص 462 .

(٣) فلسفة الإيقاع في الشعر العربي – د/ علوي الهاشمي– ص 34.

(٤) ديوان حافظ إبراهيم 101/1– طبعة خاصة بمناسبة احتفال المجلس الأعلى للثقافة بالذكرى الخامسة والسبعين لرحيل حافظ وشوقى– 2007م– تقديم فاروق شوشه.

(٥) الديوان : 114/1.

(٦) المرجع السابق: 81/2.

وجرَّدتَ للفتيا حسامَ عزيمةٍ بحـــدَّيهِ آياتُ الكتابِ المنزَّلِ

فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

(١) المرجع السابق: 5/1.

أما الخفيف فقد نظم فيه تاماً على نحو قوله[1]:

يا أميناً على الحقيقةِ والإفـــــــ يتاءِ والشرَّعِ والهدى والكتابِ

فاعلاتن مستفعلن فاعـــــلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعـــــلاتن

وبحر البسيط يعد أيضاً من البحور التي أكثر حافظ من النظم فيها وقد جاء في ديوانه تاماً كقوله[2]:

حسبُ القوافي وحسبي حينَ ألقيها أني إلى ساحةِ (الفاروقِ) أهديها

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلـــن مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

وجاء مجزوءً كقوله[3]:

بأنّ هـــــذا عملٌ صـــــــالحٌ قـــــامَ به هذا الفتى القدسى

مستفعلن فاعـــلن مستفعـــلن مستفعـــــــلن فاعلن فعولن

هذا النوع من البسيط لم يستسغه الشعراء و لم ينظموا عليه كثيراً وفضلوا نوعً آخر مشتق منه سموه مخلّع البسيط [4].

أما بحر الرمل فقد نظم فيه حافظ تاماً[5]:

بشرَّوه بالتَّانى ونســـوا أنـــــه ذاكَ العصامى الأبى

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعـــــلاتن فاعلاتن فاعلن

وهذه الصور حسنة تستسيغها الأذن[6].

نظم حافظ في الوافر تاماً نحو[7]:

أصِيب بذي مضاءٍ أريحِيٍّ به عند الشَّدائِدِ يستَعِين

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

ونظم فيه مجزوءاً نحو قوله[8]:

يُقتِّلنا بلا قَوَدٍ ولا دِيَةٍ ولا رَهَبِ

مفاعلتن مفاعلتن مفـاعلتن مفاعلتن

---

(١) الديوان: 24/1.

(٢) المرجع السابق: 77/1.

(٣) المرجع السابق: 297/1.

(٤) انظر: موسيقى الشعر- إبراهيم أنيس.131.

(٥) الديوان: 39/1.

(٦) انظر: موسيقى الشعر- إبراهيم أنيس94.

(٧) الديوان: 243/2.

(٨) المرجع السابق: 110/2.

وكلا الصورتين شائع وحسن[1].

نظم حافظ في المتقارب عدة قصائد وقد جاءت على أكثر من صورة منها[2]:

وأَلْثِمُ كَفَّ كَرِيمِ الجُدُود غياثِ العُفاةِ مُزيلِ الكُرَبْ

فعولن فعولن فعولن فعل فعولن فعولن فعولن فعل

ومنها[3]:

نعمنَ بنفسى وأشقيـنى فياليتهـــــــــنَّ ويالَيتنى

فعولن فعولن فعولن فعو فعولن فعولن فعولـن فعو

وهذه الصورة من أكثر الصور شيوعاً وأحبها إلى الشعراء[4].

أما بحر السريع فهو من البحور التي قل استعمالها قديماً وحديثاً، فالأذن عندما تسمع شعراً من هذا البحر تشعر باضطراب في الموسيقى لا تستريح له الأذ ن والسبب في ذلك أن الأذن لم تعتد سماعه لقلته في الشعر العربي[5].

وقد نظم حافظ في التام منه نحو[6]:

جمُّ المحـــامدِ غيرُ متهمٍ جمُّ التَّواضعِ غيرُ مبتذلِ

مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن

وهذه الصورة هي أكثر الصور شيوعاً وأقربها إلى النفوس[7].

أما المديد فهو " بحر اعترف أهل العروض بقلة المنظوم فيه"[8] وقد نظم فيه حافظ تاماً نحو[9]:

يا أميرَ الحجِّ أنت له خيرُ واق خيرُ مؤتمنِ

فاعلاتن فاعلن فعلن فاعلاتن فاعلن فعلن

هذه الصورة هي الشائعة بين المتأخرين وإن كان بحر المديد مما يندر النظم فيه في الشعر العربي[1].

---

(١) انظر: موسيقى الشعر- د/ إبراهيم أنيس 87-123

(٢) الديوان: 177/1.

(٣) المرجع السابق: 124/2.

(٤) انظر: موسيقى الشعر- د/ إبراهيم أنيس98.

(٥) المرجع السابق 101-102 (بتصرف).

(٦) الديوان: 157/2.

(٧) موسيقى الشعر – د/ إبراهيم أنيس 103.

(٨) المرجع السابق 111.

(٩) الديوان: 3/1.

أما بحر المجتث فهو من الأوزان الخفيفة التي لم تكن شائعة قديماً إلا أنه كثر النظم فيه في العصر الحديث وخاصة في المسرحيات وكان حافظ إبراهيم من أكثر الشعراء الذين نظموا فيه في غير المسرحيات[2] .

وذلك نحو قوله[3]:

فديسَ ظلماً حماهمْ وكان غيرَ مدوس

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

بحر الرجز من الأوزان القصيرة التي نظم فيها حافظ تاماً نحو[4].

من واجدٍ منفوَّ المنـــامِ

مستفعلن مستفعلن فعول

طريدِ دهرٍ جائرِ الأحكامِ

مستفعلن مستفعلن فعول

هذا النوع أي التام من الرجز المقفى بقافية واحدة يسمى المشطور[5].

وقد نظم حافظ في مجزوء الرجز نحو[6]:

وقهرتما الباغى عـلى ردِّ الحقوقِ الناصعـةْ

مستفعلن مستفعلـن مستفعلن مستفعلـن

بهذا نكون قد مررنا في عجالة على معظم البحور التي نظم فيها حافظ واستشهدنا بأمثلة من بعض صورها، التي جاءت عليها. ولكن ما مدى مناسبة هذه البحور التي نظم فيها للموضوعات التي طرقها ؟ ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-173هـ) واضع علم العروض إلى ارتباط كل بحر بحالة نفسية معينة تكتنف الشاعر أثناء عملية الخلق[7].

---

(١) انظر: الموسيقى الشعر- د/ إبراهيم أنيس 112.

(٢) ا نظر: موسيقى الشعر- د/إبراهيم أنيس- ص 127-128 (بتصرف).

(٣) الديوان: 106/1.

(٤) المرجع السابق: 197/1.

(٥) انظر: موسيقى الشعر د/ إبراهيم أنيس 150.

(٦) الديوان: 143/1.

(٧) موسيقى الشعر العربي – د/ حسني عبدالجليل يوسف: 20/1- مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1989م (بتصرف).

وقد أيد هذه الفكرة حازم ا لقرطاجني (608-684هـ) حيث يقول: "فالعروض الطويل تجد فيه أبداً بهاءً وقوة وتجد للبسيط سباطة وطلاوة، وتجد للكامل جزالة وحسن اطراد، وللخفيف جزالة ورشاقة، وللرمل ليناً وسهولة، ولما في المديد والرمل من اللين كانا أليق بالرثاء"[1].

فقد وجد أن اللين والسهولة التي في المديد والرمل جعلتهما أكثر مناسبة لحالة الحزن في الرثاء.

وقد أشار إلى ذلك الدكتور محمد غنيمي هلال بقوله:" فقد يقع على البحر ذي التفاعيل الكثيرة في حالات الحزن لاتساع مقاطعه وكلماته لأناته وشكواه، محباً كان أو راثياً، أو لملاءمة موسيقاه لأغراضه الجدية الرزينة من فخر وحماسة ودعوة إلى قتال وما إليها، ولهذا كانت البحور الغالبة في الأغراض القديمة هي الطويل والكامل والبسيط والوافر .وقد تنفعل النفس أو تطرب لداع مفاجئ ، فتلجاء إلى البحور المجزوءة، أو إلى بحور الخفيف والمتقارب والرمل"[2].

هذا ما حدث مع حافظ إبراهيم فقد أكثر من النظم في الطويل والكامل والبسيط في قصائد المديح والتهاني والرثاء والقصائد السياسية، فتفعيلات هذه البحور الطويلة تناسب فخامة المدح ومناسبات الأمة العظيمة، كما تناسب حزن الرثاء الهادئ الذي يجيء بعدما تستقر النفس الشاعرة وتهدأ، ولكنها لم تتخلص بعد من الحزن الذي يسكن دواخلها، لذلك فهي تعبر عن الحزن بنغمات طويلة.وأيضاً تناسب هذه البحور القصائد السياسية وما تحمله من قضايا هامة، ولذلك نجد حافظ عندما رثى الإمام محمد عبده(1266-1323هـ)، وهو من أحب الشخصيات إليه، اختار أن يرثيه بقصيدة من بحر الطويل حتى تساعده تفعيلاته الطويلة في التعبير عن مدى حزنه وألمه ويقول فيها[3]:

سلامٌ على الإسلامِ بعد محمدٍ ... سلامٌ على أيامه الزَّاهراتِ

على الدِّينِ والدنيا، على العلمِ والحجا ... على البرِّ والتقوى، على الحسنات

لقد كان حافظ يكتب القصيدة ثم يعاود النظر إليها بعين الناقد ، ليختبر وقع موسيقاها على الجمهور وهذا يدل على أنه كان يكتب قصائده وهو في حالة نفسية مستقرة قادرة على الإتيان بهذه التفعيلات الطويلة.

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء- صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني- ص 269- تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة- ط3-دار الغرب الإسلامي – بيروت.

(٢) النقد الأدبي الحديث- ص 467-468.

(٣) الديوان: 144/2.

وقد أشار إلى ذلك الدكتور أحمد أمين في مقدمة الديوان حيث قال:" كان يطيل الوقت في تخير اللفظ الذي يحسن وقعه في السمع، كما يتخير الانسجام فيتغنى بالبيت قبل أن يدخله في عداد شعره، وينصت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ بإيقاعه على أسماع الناس"[1].

وقد قال عنه أيضاً بأنه:" كان يضع البيت فيردّده على أذنه بإنشاده اللطيف حتى يتبين موقعه من أذنه قبل أن يوقعه على آذان الناس ، ويتذوّق موسيقاه بنفسه قبل أن يتذوقها الناس، فكان يراعى موسيقى الطول والقصر، وموسيقى الفخامة والرقة، وموسيقى اللين والشدة، ويوائم بين ذلك وموضوعه، وبين ذلك ومعانيه وأغراضه، فوفق في ذلك توفيقاً كبيراً"[2].

هذا يدل على أن حافظ كان يهتم اهتماماً كبيراً بإيقاع شعره وموسيقاه .

مثلما نظم حافظ في البحور ذات التفعيلات الطويلة قصائد مدحه ورثائه وشكواه والقصائد السياسية التي كان يكتبها فقد نظم أيضاً في البحور القصيرة مثل مجزوء الكامل، ومخلع البسيط، والمجتث، والرجز وغيرها من الأوزان القصيرة التي تعبر عن الانفعالات النفسية القوية والسريعة، فالشاعر عندما يكون في حالة انفعال قوى من فرح أو حزن أو غضب يقع اختياره غالباً على البحور القصيرة ؛ حتى تتناسب مع حالة الاندفاع العاطفي عنده، وقد نظم حافظ في هذه البحور القصيرة في الوصف والأهاجي والمداعبات والأخوانيات نحو قوله في قصيدة كتبها تحت عنوان ذكرى وتشوق وهي من مجزوئ الكامل يقول فيها [3]:

لا مِصْرُ تُنصِفُني ولا أنا عَن موَدَّتِها أَرِيمُ

وقد أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى منا سبة هذه الأوزان القصيرة لحالات الانفعال النفسي السريعة حيث قال:" الحق أن النظم حين يتم في ساعة الانفعال النفساني يميل عادة إلى تخير البحور القصيرة"[4].

هذه البحور والأوزان الشعرية ما هي إلا أُطر تنظم وتحتوى التجربة الشعرية ومعنى هذا "أن الإطار الموسيقى يقدم لنا إيقاعات تضبط بصورة ما تجربة الشاعر، وتسيطر عليها"[5].

وهذه الأوزان التي تتشكل على نغماتها القصيدة لا تنفصل عن القافية في تكوين الموسيقى الخارجية للقصيدة، كما أن القافية لا تقل أهمية عنها.

---

(١) مقدمة الديوان- ص 84.

(٢) مقدمة الديوان- ص90.

(٣) الديوان: 173/1.

(٤) موسيقى الشعر- د/ إبراهيم أنيس- ص 197.

(٥) موسيقى الشعر العربي – د/ حسنى عبدالجليل يوسف- 23/1.

2- القوافي:

اختلف علماء العروض في تعريف القافية "فهي عند الخليل: من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن[1]".

وعند الدكتور عبد الحكيم العبد: "ما اتفق العروضيون العموديون على وجوب تكراره في نهاية كل بيت في القصيدة"[2].

وقد قال الدكتور إبراهيم أنيس:" ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرارها هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية .فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن"[3].

وقد ذكر الدكتور شكري محمد عياد في كتابه موسيقى الشعر العربي تعريفاً لثعلب وقال : إنه التعريف الشائع للقافية وهذا نص ما قال " إنها حرف الروي، أي الحرف الذي يتكرر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة، وهذا التعريف قاله ثعلب، و لم يأخذ به علماء العروض بعده، ولكنه لا يزال هو المعهود الشائع للقافية، ومعظم الدواوين القديمة مرتبة أبواباً حسب حرف الرو ي، وهو يسمى القافية"[4].

واستناداً على هذا التعريف الأخير نسبت القصائد إلى قوافيها فقيل لامية العرب وسينية البحتري وهمزية شوقي[5].

وعند الوقوف على قصائد حافظ التي تحدث فيها عن الأخلاق نجد أنه مثلما التزم بوزن واحد في كل قصيدة، فإنه أيضاً التزم قافية واحدة في كل قصيدة، يتكرر فيها حرف رو ي واحد من أول القصيدة إلى آخرها، باستثناء عدد قليل من القصائد التي حاول التنويع في قوافيها.

---

(١) المرجع السابق – 139/1

(٢) علم العروض الشعري في ضوء العروض الموسيقى- د/عبدالحكيم العبد- ص 132- ط3- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.

(٣) موسيقى الشعر- د/ إبراهيم أنيس- ص 273.

(٤) 89- ط1- يوليو 1968م- دار المعرفة – القاهرة.

(٥) موسيقى الشعر العربي – د/ حسني عبدالجليل يوسف- 139/1.

كما استخدم حافظ سبعة عشر حرفاً من حروف القوافي رتبناها تنازلياً من الأكثر إلى الأقل كالتالي:

- قافية الراء (40 قصيدة ومقطوعة).
- الباء، النون (كل منها 39 قصيدة ومقطوعة).
- الميم (35).
- اللام (24).
- الدال (22).
- العين (14).
- الكاف (11).
- القاف(10).
- التاء (9).
- الهمزة (8).
- الحاء (7).
- السين والهاء (كل منهما6).
- الياء(4).
- الألف والفاء (كل منهما2).

وقد تنوعت هذه القوافي في ديوان حافظ إبراهيم بين القوافي المطلقة والمقيدة.

القوافي المطلقة:

هي (المتحركة الروى) [1] وقد جاءت في ديوانه في حالات عدة:

قواف مطلقة موصولة بالهاء نحو[2]:

وقهرتما الباغى على ردِّ الحقوقِ الناصِعْ

فالألف من كلمة (الناصعه) تأسيس والصاد دخيل والعين المتحركة بالفتح هي الروى موصولة بالهاء.

قواف مطلقة مؤسسة موصولة بحرف لين نحو[1]:

---

(١) العروض وإيقاع الشعر العربي – د/ عبدالرحمن تبرماسين- ص 43.

(٢) الديوان: 143/1.

(حَسَنُ) و(زُهدِى) لم يمـــيتـّـــــــ ـــــــع بالشبَّابِ كلاهُما

سلكـــا سبيل الحقِّ ما عـــاشا ومـــا أولاهمـــا !

الألف في كلمتي (كلاهما وأولاهما) تأسيس، والهاء دخيل، والميم المتحرك بالفتح الروي وهو موصول بحرف لين وهو الألف.

القوافي المقيدة:

وهي " الساكنة الروى"[2] وقد جاءت أيضاً في ديوان حافظ على حالات عدة.

قواف مقيدة مؤسسة نحو[3]:

لا يستشيرُ سوى العزيـــــــ ـــــــمةِ في المواردِ والمصادرْ

الألف في كلمة (المصادر) تأسيس والدال المتحركة دخيل والراء الساكنة هي الروي.

–قواف مقيدة مجردة من الردف والتأسيس نحو[4]:

ربيتهنَّ على الفضيـــ ـــلةِ والطَّهارةِ والخفرْ

الراء الساكنة في كلمة (الخفر) هي الروي، وقد جاءت خاليةً من الردف والتأسيس.

قواف مقيدة مردوفة نحو[5]:

شاكى سلاحِ الصبّرِ ممـــــــ تحنٌ لدنياهُ لبيبْ

الياء في كلمة (لبيب) ردف والباء الساكنة هي الروى.

كما لجأ حافظ إلى التنويع في قوافي عدد يسير من قصائده فقد جاء بقصيدة من الممكن أن ندخلها في المربع وهي بعنوان نشيد الشبان المسلمين وقام فيها بتكرار قافية الشطر الرابع في كل مقطع من مقاطع القصيدة وذلك نحو[6]:

---

(١) المرجع السابق: 207/2.

(٢) العروض وإيقاع الشعر العربي – د/ عبدالرحمن تبرماسين- ص 43.

(٣) الديوان: 294/1.

(٤) المرجع السابق: 193/2.

(٥) المرجع السابق: 215/2.

(٦) المرجع السابق: 315/1.

أعيدوا مجدنا دنيا ودينـــــــــــا وذودوا عن تراثِ المسلمينا
فمن يعنو لغيرِ الله فيـــــــــــنا ونحن بنو الغزاةِ الفاتحيـــــنا
ملكنا الأمرَ فوق الأرضِ دهـــــرا وخلدنا على الأيامّ ذكـــرَى
أتى (عمرٌ) فأنسى عدلَ (كسرى) كذلك كان عهدُ الراشدينَـــا
حبينا السُّحبَ في عهدِ الرشـــــيدِ وباتَ الناسُ في عيشٍ رغيـــدِ
وطوقت العوارفُ كلَّ جـــــــيدِ وكان شعارنا رفقاً ولينـــــا

وقد حاول حافظ إبراهيم أن يجدد أيضاً في شكل القصيدة فكتب منظومة تمثيلية، استو حاها من ضرب الأسطول الإيطالي لمدينة بيروت انتقاماً من الأتراك في عام 1912م وقد فرض هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت وزوج له اسمها ليلى وطبيب ورجل عربي وقد نوع حافظ في قوافي هذه المنظومة ويقول في جزء منها[1]:

ليلى:

لو تُفتدى بحيـــــاتي من الردى لفديتُ
ولو وقـــــــاكَ وفى .بمهجـــــةٍ لوقيتُ
إن عشتَ أو متَّ إنِّى كمـــــا نويتَ نـــويت

الجريح:

(ليلاى) عيشى وقـرِّى إذا الحمـــــامُ دعـــانى
(ليلاى) ساعاتُ عمرى معـــــدودةٌ بالثـــّوانى
فكفكفي من دمـــــوعِ نفوَى حشـــاشةَ فـــانى

عيوب القافية:

عثرت على بعض الأخطاء التي تخص القوافي في ديوان حافظ إبراهيم وأنا هنا أورد شيئاً منها على سبيل المثال لا الحصر.

1- الإيطاء:

"هو أن يكرر الشاعر الكلمة التي تأتي في نهاية البيت بلفظها قبل سبعة أبيات "[2] وقد ورد في قصائد حافظ التي تحدث فيها عن الأخلاق[1]:

---

(١) الديوان: 71/2.

(٢)موسيقى الشعر – د/ حسني عبد الجليل – 145/1.

نبيلَ الطَّبعِ لا يغتابُ خـــــــــلا ولا يـؤذى العشيرَ ولا يمين
تطوعَ في الجهادِ لوجهِ (مصــرٍ) فما حامت حواليهِ الظــنون
و لم يـثنِ الوعيــد لــه عنــانــاً و لم تحنثْ لــه أبـداً يميــن

2- سناد التوجيه:

"هو اختلاف التوجيه:يعني اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المقيد أي الساكن [2] " نحو[3]:

فلم تستبـقْ نزوةً في الصبِّـا و لم تستبحْ هفوةً في الكبـرْ
اهنى الثرى أما أعزى الورى لقد فـازَ هذا وهذا خسِــرْ

3- الإقواء:

" هو الجمع في المجرى بين حركتين مختلفتين في قصيدة واحدة"[4] نحو[5]:

أنا لا أفخــرُ بالمـاضي، ولا أحسبُ الحاضرَ يطرى أو يـذمْ
كلٌّ همى أن أرانــم في غــدٍ مثلَ ما كنتم أسوداً في أجـــمَ

كما أشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى بعض أخطاء حافظ إبراهيم وتجاوزاته في استعماله بعض حروف القافية فكاف الخطاب عندما تستعمل روياً يشترط فيها أمرين إما أن يسبقها حرف مد أو أن يلتزم بالحرف الذي قبلها ولكن حافظ في إحدى مقطوعاته استعمل كاف الخطاب روياً وأهمل شروط استعماله فجاءت موسيقاه ناقصة[6]. وذلك نحو[7]:

ظبي الحمى باللهِ ماضرّ كمـــــا إذا رأينا في الكرى طيفكـــا
وما الذي تخشاهُ لـــو أنهـــــم قالوا فلانٌ قد غداعبدكـــــا ؟
قد حرموا الرقَّ ولكنهـــــــم ما حرموا رقَّ الهوى عندكـــا
وأصبحتْ مصرُ مراحاً لهـــم وأنت في الأحشا مراحٌ لكـــا

---

(١) الديوان: 243/2.

(٢) العروض و إيقاع الشعر العربي- د/عبدالرحمن تبرماسين- ص46.

(٣) الديوان: 209/2.

(٤)العروض وإيقاع الشعر العربي- د/ عبدالرحمن تبرماسين- ص45.

(٥) الديوان: 254/2.

(٦) موسيقى الشعر – د/ إبراهيم أنيس 280 (بتصرف).

(٧) الديوان: 248/1.

ما كان سهلاً أن يروا نيلـــه ـــا لو أنّ في أسيافنا لحظكـــــــا

بهذا نكون انتهينا من مكونات الموسيقى الخارجية في شعر حافظ إبراهيم لننتقل إلى النوع الثاني من الموسيقى.

النوع الثاني: الموسيقى الداخلية:

وهي متمثلة في : "أصوات الحروف وجرس الكلمات المتساوية الطول والمتناغمة المقاطع والمنسجمة في الحروف"[1]. فهي تنشأ من التجانس بين الكلمات والتواؤم بين حروفها وأصواتها. وهي " النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصورة، بين وقع الكلام، والحالة النفسية للشاعر، أي أنها مزاوجة تامة بين المعنى والشكل، بين الشاعر والمتلقى"[2].

" فالنغم الداخلي يأتي صدى للمحتوى النفسي، أو موسيقى اللفظ، فهي تعبير عن هواجس الإحساس وعمقه، وكلما كانت الموسيقى عذبه، كانت أقرب إلى محتوى النفس، وهاجس الشعور وأصالته"[3].

وهذا يدل على أن العمل الأدبي عبارة عن حالة نفسية معينة يحاول الشاعر إيصالها إلى المتلقى، ويساعده على ذلك ما تحمله كلماته من نغم وموسيقى .وقد زخر ديوان حافظ إبراهيم بهذه الموسيقى الداخلية وسوف أورد بعض الأمثلة البسيطة على ما جاء في ديوانه منها.

1- التصريع:

" وهو جعل العروض مقفاة تقضية الضرب"[4] وعلى نفس وزنه نحو(5):

صدفتُ عن الأهواءِ والحرُّ يصدفُ 119وأنصفتُ من نفسي وذو اللبِّ ينصفُ

عروض الشطر الأول (يصدف) جعلت كضرب الشطر الثاني (ينصف).

ومنه أيضاً[6]:

يا دولةَ القَواضبِ الصِّقالِ وصولةَ الذَّوابلِ الطِّوالِ

عروض الشطر الأول (الصقال) جعلت كضرب الشطر الثاني (الطوال).

2- رد الإعجاز على الصدور:

---

(١) فلسفة الإيقاع في الشعر العربي – د/ علوي الهاشمي- ص 37.

(٢) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر – د/ عبدالحميد جيدة- ص 352- دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع– 1986م.

(٣) التجديد في الشعر الحديث- د/ يوسف عز الدين- ص 78- ط1-1406هـ - 1986م – دار البلاد – جدة.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني- ص 222- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٥) الديوان: 21/1.

(٦) المرجع السابق: 31/1.

" أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني"[1] نحو[2]:

إذا ثارَ في يومِ الوغى مالَ منكبٌ من الأرضِ والأطوادِ وانهالَ منكبٌ

فقد جاء بكلمة (منكب) في آخر الشطر الأول وأعادها في آخر الشطر الثاني.

ومنه[3]:

لا تقيدوا من أمةٍ بقتيلٍ صادت الشمسُ نفسهُ حينَ صادا

جاء بكلمة (صادت) في أول الشطر الثاني وأعادها مع تحوير بسيط في آخر الشطر نفسه (صادا)

3- الجناس:

" الجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ واختلافهما في المعنى[4] ، نحو[5]:

فالعرشُ في فرحٍ، والملكُ في مرحٍ، والخلقُ في منحٍ، والدهرُ في رهبِ

وقع الجناس في كلمتي فرح ومرح حيث إن الاختلاف في اللفظين لم يقع إلا في حرف واحد وهو الحرف الأول من كلا الكلمتين وهذا يسمى جناس لاحق أو مضارع.

ومنه[6]:

أمةُ الرِّيِّ أكبرت أن تعُـــادِى من رماها وأشفقتْ أن تعُادَى

الجناس وقع في كلمتي (تعادِى وتعادَى) وهو جناس محرف لأن الاختلاف وقع في حركة الدال فقط.

4- الطباق:

هو " الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة"[7] نحو[1]:

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني- ص 218 اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٢) الديوان: 17/1.

(٣) الديوان : 20/2.

(٤) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني-ص 215- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٥) الديوان: 14/1.

(٦) المرجع السابق: 21/2.

(٧) الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني - ص 190- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

ملكتَ عليهم كلَّ فجٍّ ولجّةٍ فليس لهم في البرِّ والبحرِ مهربُ

التضاد وقع بين (فج ولجه) و(البر والبحر) وجميعها أسماء.

ومنه[2]:

ورجالٌ تتبارى للرَّدى لا تُبالى غابَ عنها أم حضرْ

التضاد وقع بين الفعلين (غاب وحضر).

ومنه[3]:

لا يستشيرُ سوى العزيـــ ـــمةِ في المواردِ والمصادرْ

التضاد وقع بين اسمين هما الموارد والمصادر.

كل ما درسناه في هذا المبحث من وزن وقافية وموسيقى داخلية يتضافر مع بعضه البعض ليخلق جواً إيقاعياً خاصاً لشعر حافظ إبراهيم والذي يزيد من جمال موسيقى شعره هو إلقائه وجمال صوته في الإنشاد فقد كان حافظ قوى الإنشاد جهور الصوت قادر على أن يضيف لموسيقى القصيدة جمالاً وبهاءً[4].

ولكن ما الذي يقف خلف هذه الأوزان والقوافي والموسيقى الداخلية ؟

إن الذي يقف خلفها ويكونها هي اللغة التي هي عبارة عن مفردات وأساليب الشاعر لذلك ستكون اللغة هي محطتنا التالية والأخيرة في هذا البحث.

(١) الديوان: 17/1.

(٢) المرجع السابق: 300/1.

(٣) المرجع السابق: 294/1.

(٤) انظر: موسيقى الشعر- إبراهيم أنيس 183.

المبحث الثالث

اللغـــة

اللغـــــة

اللغة "وسيلة للتعامل ونقل الفكر بين المؤثر والمتلقى"[1] وهي وسيلة الشاعر لنقل أحاسيسه ومشاعره وأفكاره للآخرين، لكن لغة الشعر لغة خاصة تختلف عن غيرها سواء اللغة ا لمحكية أو لغة الكتابة النثرية "فلغة الشعر لغة العاطفة، ولغة النثر لغة العقل، ذلك أن غاية النثر نقل أفكار المتكلم أو الكاتب، فعباراته يجب أن تشف في يسر عن القصد، والجمل فيه تقريرية، وعلامات على معانيها، ووسائل تنتهي بانتهاء الغاية منها، وموضوعه حدث من الأحداث أو مسألة من المسائل المبنية أولاً على الفكر. أما الشعر فإنه يعتمد على شعور الشاعر بنفسه وبما حوله شعوراً يتجاوب هو معه، فيندفع إلى الكشف فنياً عن خبايا النفس أو الكون استجابة لهذا الشعور، وفي لغة هي الصور"[2].

ومن هنا تظهر لنا العلاقة القوية بين اللغة والصور فلغة الشعر هي كل ما ظهر لنا سابقاً في مبحث الصور الفنية من استعارات وتشبيهات ومجازات وكنايات، وهي ما تحدثنا عنه في مبحث الموسيقى من وزن وقافية وموسيقى داخلية، هي كل ذلك متضافراً مع بعضه البعض . وقد أكد ذلك الدكتور جمال نجم العبيدي حيث قال: "إنّ للشعر لغته الخاصة والمميزة، وإن هذه اللغة تتسم بسمات كثيرة تتمثل في الجانب الدلالي والجانب العروضي والجانب الموسيقى وطريقة تركيب الكلمات وصوغها في قالب شعري، وإعطاء الكلمة دلالات واسعة تفوق دلالتها في الاستعمال النثري، ذلك أن الكلمة في الشعر تكتسب وضعاً خاصاً باستخدام الشاعر لها في ذلك المكان، ولهذا فإنّ الشاعر يقوم بعملية تطويع اللغة ليخضعها لغرضه ويستخدمها استخداماً خاصاً"[3].

ليس هناك لغة خاصة بالشعر وأخرى خاصة بالنثر، "إنما لغة كل شاعر حقيقي صيغة حميمة بينه وبين الواقع الذي يتعايش معه ويلتحم به، وبعبارة أخرى هي صيغة بين لحظة الإبداع ولحظة الوعي بالعالم الخارجي"[4].فالشاعر يستعمل المفردة ويخضعها لتجربته ويصبغها بأحاسيسه ومشاعره، ويكسبها معاني وظلال جديدة "فاللفظ العادي قد يكتسب قوة شاعرية بارزة إذا دخل في جملة أو تركيب شعري أو صورة بيانية"[5].

---

(١) علم اللغة العربية – د/ محمود فهمي حجازي- ص 10- وكالة المطبوعات- الكويت.

(٢) النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال- ص 377.

(٣) لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجري- ص 27- دار زهران- 2003م- عمان.

(٤) شوقي وحافظ وأوليات التجديد في القصيدة العربية المعاصرة.- د/ عبدالعزيز المقالح- ص 209- فصول.

(٥) الأدب وفنونه – د/ محمد مندور- ص 39.

هذه الألفاظ والمفردات يختارها الشاعر بعناية للإفصاح والتعبير عن أفكاره ومعانيه التي يريد إيصالها للمتلقي، فكل شاعر لديه هم يسلط الضوء عليه وقضيه يدافع عنها.وحافظ إبراهيم كان وطنه ومجتمعه هو همه وقضيته الأولى ، فقد أخذ على عاتقه الدعوة إلى التكافل الاجتماعي، وإلى الصبر وقوة العزيمة والوفاء والشجاعة والتآخي وترك التواكل وعدم السكوت على الظلم، وغير ذلك من الفضائل الخلقية التي من شأنها إصلاح المجتمع والارتقاء به، فهو يرى أن " أمته لا بد لها من سلاح، لا بد أن تتسلح للمستعمر بالعلم وبالخلق القوي، ولا بد أن تتخلص من كل ما يفت في عضد ها من نقائص ومعايب.فليصرخ حافظ هنا وهناك حتى يستنهض همة شعبه حتى يحفزه إلى ما يريد من نهضة قوية"[1].
ولكن كيف كان تناول حافظ لهذه المعاني السامية والأفكار الراقية ؟

الأفكار والمعاني:

ورغم أن المعاني التي اختارها حافظ جليلة وسامية إلا أن تناوله لها كان بسيطاً ساذجاً خالياً من العمق وذلك يعود إلى توقفه عند صور القدماء دون أن يضيف لها أي جديد —كما ذكر سابقاً في مبحث الصور الفنية — فهو لم يبتكر و لم يجدد كما أنه كان يهتم باللفظ أكثر من اهتمامه بالمعنى وقد أكد ذلك الدكتور عبد الحميد سند الجندي حيث قال:" وكان حافظ يعنى أشد عناية بتوفير عناصر الجمال اللفظي لشعره، وكان احتفاله بالمعنى لا يساوي شيئاً بجانب احتفاله باللفظ"[2].

فاحتفال حافظ بالألفاظ واهتمامه بجرسها ووقعها في الأذن جعله يغفل عن المعاني والتعمق فيها.

والمفردة تخضع لمدى قدرة الشاعر على تطويعها لخدمة معانيه ولخدمة نصه، واستخدامه لها قد يضيف لها معاني وظلال جديدة ، وقد يجعلها تقف عند معناها الحرفي الذي تدل عليه ، عندما ينظر إليها كلفظ مفرد لم يدخل في أي تركيب .وقد أشار إلى ذلك عبدالقاهر الجرجاني عندما قال: "إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردةٌ، ولا من حيث هي كلم مفردةٌ، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ"[3].

وحافظ عند تناوله للأخلاق لن أقول بأنه تناولها كما يتناولها غيره من الشعراء، سواء شعراء العصور القديمة أو العصر الحديث، إنما تناولها كما يتناولها الإنسان العادي، " فمعاني حافظ أكثر

---

(١) فصول في الشعر ونقده – د/ شوقي ضيف- ص354 – ط2- دار المعارف.

(٢) حافظ شاعر النيل- ص 100.

(٣) دلائل الإعجاز- ص 46.

قرباً من ظاهر نعرفه، وهو ظاهر مدرك، على مستويات متعددة، يصل إلى حد الإيهام " بالعمومية المعنوية"[1] ومهمة الشعراء ليست عرض المعاني كما هي إنما مهمتهم " أن يضيفوا إلينا محصولاً جديداً من الخبرات النفسية ومشاعر أعمق من مشاعرنا العادية"[2] فحافظ مثلاً في قوله[3]:

سنجمعُ أمرنا وترون منَّا لدى الجُلى كراماً صابرينا

ماذا أضاف حافظ للصبر في هذا البيت ؟ لقد توقف عند المعنى الحرفي الإشاري للصبر و لم يحاول تحميل هذه الفضيلة أي شيء من خبراته ومشاعره، و لم يتعمق في معنى الصبر.

وكذلك قوله في إحدى مراثيه[4]:

قضيت حياةً ملؤها البرُّ والتقى فأنت بأجـــــرِ المتقينَ جديرُ

فعندما تناول التقوى – أيضاً- توقف عند معناها الحرفي الإشاري و لم يحاول التعمق في معنى التقوى برغم أنها من الفضائل الروحية التي تفتح مجالاً واسعاً للشاعر للإفضاء بخلجاته ومكنوناته تجاه خالقه، وحافظ لما كان شاعراً مسلماً، ومستشعراً لمعنى القرب من الله كان من الأجدر أن يضيف للتقوى شيئاً من تجاربه النفسية واعتقاداته الدينية.

وكذلك في قوله[5]:

فتذكرتُ به يومَ انطـــوى صادقُ العزيمةِ كشافُ الكروبِ

فحافظ في هذا البيت يصف الإمام محمد عبده (1266-1323هـــ) بقوة العزيمة وبرغم أن الإمام رجل دين ومتوفى، وكان من أقرب المقربين لحافظ إلا أن حافظاً عندما وصفه بقوة العزيمة وقف أيضاً عند المعنى الحرفي الإشاري لها و لم يحاول التعمق في معناها من خلال تجاربه ومواقفه مع الإمام، ومن خلال عمل الإمام الديني والسياسي في فترة الاستعمار على وجه الخصوص.كل ذلك لم يستغله حافظ لتعميق فكرته ولإضفاء ظلال أوسع وأرحب على قوة العزيمة.

وقد وصف الدكتور عبدالعزيز المقالح لغة حافظ بأنها لغة قاموسية باردة من خلال تعليقه على إحدى قصائده في رثاء قاسم أمين (1865-1908م) بعد أن أكد على اختياره لها بشكل عشوائي حيث قال: "هذه اللغة القاموسية الباردة الجامدة المنقولة من الكتب كما تنقل الأحجار القديمة من المباني

---

(١) شعر الوجدان عند حافظ وشوقي- د/ حلمي بدير 231- فصول- المجلد الثالث- العدد الثاني- يناير- فبراير – مارس- 1983م.

(٢) الأدب وفنونه – د/ عز الدين إسماعيل- ص 99- ط8 – دار الفكر- القاهرة.

(٣) الديوان: 107/2.

(٤) المرجع السابق: 165/2.

(٥) المرجع السابق: 204/2.

المتهدمة لتستخدم في إقامة مبان أخرى. حقاً إن الاستخدام الشعري للقاموس اللغوي هو ما يفرق بين الشاعر الكبير والشاعر الصغير، وما يفرق بين الشاعر وغير الشاعر، فالاستخدام الشعري يخلع على اللغة إحساساً نابضاً بالحيوية ويعطيها ظلالاً لم تكن لها من قبل"[1].

والحقيقة أن حافظاً في معظم الفضائل التي تناولها اتسم بالبساطة والسطحية، وذلك يعود إلى أن حافظاً يتناول المعنى مستقلاً عما قبله وبعده، بمعنى أن المعاني عنده لا تأتي نتيجة لتطور الموقف النفسي الذي دعاه للكتابة، وبمعنى آخر أنه حرم نفسه من أن يكون لديه تصاعد انفعالي أثناء عملية الخلق، ولعل الذي أدى به إلى ذلك أنه كان يكتب كل بيت أو بيتين على حدة، أو في فترات نفسية متباعدة، ثم يقوم بجمع الأبيات التي يستسيغها ويضم بعضها إلى بعض .وبهذا تفقد القصيدة التصاعد النفسي والانفعالي الذي يجب أن يربط بينها، والذي يعمل على تعميق معاني الشاعر وأفكاره .ولعل هذا ما جعله يقع في فخ التكرار، فقد كان يعرض لمعاني قد سبق له تناولها في أجزاء أخرى من القصيدة كما أوقعه في التشابه، فقد كان يصف الشخصية بصفات معينة ثم نجده في قصيدة أخرى يذكر نفس الصفات أحياناً بنفس الألفاظ لنفس الشخصية أو شخصيات أخرى[2].

انظر – مثلاً- قوله في مصطفى كامل يمدحه بالشجاعة[3]:

هنا الكميُّ الذي شادت عزائمه لطالبِ الحقِّ ركنا ليس ينهدم

وبعد هذا البيت باثنين وثلاثين بيتاً عاد ليصفه مرة أخرى بنفس الصفة حيث يقول [4]:

قد كان لا وانياً يوماً ولا وكلا يستقبل الخطـــــب بسَّاماً ويقتحم

كما نجده يصف الإمام محمد عبده (1266-1323هـــ) بصفات ثم يصف مصطفى كامل (1874-1908م) في قصيدة أخرى بنفس الصفات ونفس الألفاظ حيث يقول في الإمام[5]:

كثيرُ الأيادي، حاضرُ الصَّفح، منصفُ كثيرُ الأعادي، غائب الحقدِ، مسعفُ

ويقول يصف مصطفى كامل[6]:

لك اللهُ يا (مصطفى) من فـتى كثيـــــــــرِ الأيادي، كثيرِ العـــــدا

---

(١) شوقي وحافظ وأوليات التجديد في القصيدة العربية المعاصرة-د/ عبد العزيز المقالح- ص 210- فصول.

(٢) الأدب وفنونه- د/ عز الدين إسماعيل- ص 98-99 (بتصرف).

(٣) الديوان: 2/160-163.

(٤) المرجع السابق: 2/163.

(٥) المرجع السابق: 1/22.

(٦) المرجع السابق: 1/263.

ونجده يصف المهاجرين الشاميين في أكثر من قصيدة بنفس الصفات حيث يقول في وصفهم بقوة العزيمة[1]:

إن ضاق ميدانُ سبق من عزائمهم صاحت بهم فأروها ألف ميدان

لا يستشيرون إن هموُّا سوى همم تأبى المقـــام على ذل وإذعـــان

ويقول في قصيدة أخرى[2]:

يمضـــــى ولا حيلةٌ إلا عزيمته وينثنى وحُلاهُ المجـدُ والذَّه ـــبُ

يكرُّ صرفُ الليالي عنه منقلبا وعزمه ليس يدرى كيف ينقلبُ

لم يحمهم علم فيها ولا عددُ سوى مضاءٍ تحـامى ورده النوبُ

ويقول في أخرى أيضاً[3]:

يمتطون الخطوبَ في طلب العيـــ ـــش ويبرون للنضـــال السهاما

وجميع هذه الأمثلة تدل على عدم حرص حافظ على الاحتفاء بالمعاني المبتكرة والألفاظ الموحية حتى أصبح شعره مكرراً. وهذا يعود فيما يبدو إلى أن حافظاً لم يكن واسع الثقافة و لم يكن يتعمق فيما يقرأ، فقراءته للعقد الفريد والأغاني ودواوين الشعراء القدماء لا تجعله مثقفاً .وقد أشار إلى ذلك الدكتور طه حسين بقوله:" لم يكن حافظ فقيهاً بالأدب العربي إذا توسعنا في معنى هذا الأدب . لم يكن يحسن علوم العرب ولا فلسفتهم، بل لم يكن يعرفُ من هذه العلوم والفلسفة شيئاً .إنما كانت ثقافته من كتاب الأغاني ودواوين الشعراء، وكان يفهم الأغاني والدواوين بقدر ما يستطيع، فيصيب كثيراً و يخطئ أحياناً"[4].

وذكر الأستاذ العقاد أن حافظاً كان "وسطاً بين المطلعين على الآداب العربية وحدها والمتوسعين في قراءة الآداب الأوروبية، فلا تجد بين جاهليها أحداً أشبه منه بمن يعرفونها.فلو أننا أردنا أن نختار شاعراً يصافح بيديه الاثنين هؤلاء وهؤلاء لما كان ه ذا الشاعر أحداً غير حافظ إبراهيم"[5].

---

(١) المرجع السابق: 1/137-138.

(٢) الديوان: 1/270.

(٣) المرجع السابق: 1/317.

(٤) حافظ وشوقي- د/طه حسين- ص 197.

(٥) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي- ص 17- ط3- 1965م- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة.

وهذا يدل على أن حافظ لم يكن مثقفاً و لم يكن جاهلاً إنما هو في منزلة متوسطة بين الجهل والثقافة.

وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف أن :" حافظ كان ضيق الثقافة بالقياس إلى البارودي، وكان أشد ضيقاً بالقياس إلى معاصريه من أمثال شوقي و مطران اللذين كانا يتقنان الفرنسية وآدابها، مما أفادت منه طبيعتهما الأدبية إفادة واسعة. أما هو فكان محدود الثقافة واضطرته إلى ذلك ظروف مادية قاسية"[1].

ولقد ذكر الدكتور عبد الحميد سند الجندي أن ثقافة حافظ البسيطة هي السبب في مجيء شعره ضحلاً لا عمق فيه حيث قال: "وقد انضم إلى هذه الطبيعة البسيطة ثقافة سطحية وقلة تعمق للمسائل وعدم اطلاع على ثقافات الأمم الأخرى في سعة واستقصاء، فجاء شعره ضحلاً لا عمق فيه .ومن أجل هذا لا نجد فيه كثيراً من أبيات الحكمة التي تجرى على الألسن، والتي تنبيء عن عمق النظر في الحياة وفلسفتها. ومن أجل هذا أيضاً كانت السطحية من أبين خصائص شعره"[2].

أما الدكتور محمد بن سعيد بن حسين فقد قال: " ونحن مهما قلنا عن ثقافة حافظ وحاولنا التماس نماذج من شعره، فإنها تتضاءل كلما قارناها بالمركز الذي وضع المجتمع فيه حافظ أو قارناها بثقافة الآخرين"[3].

ومن خلال هذه الآراء حول ثقافة حافظ نلاحظ أن هناك شبه إجماع على أن حافظاً ليس من ذوي الثقافة العالية، بل إن البعض وصفه بسطحية الثقافة ، وقد نتساءل كيف استطاع حافظ أن يصل إلى هذه المكانة الرفيعة وهناك شبه إجماع على قلة ثقافته؟

هذا يعود – فيما أرى– إلى الإعلام المصري القوي الذي خدم حافظ إبراهيم في تلك الفترة، فشعره شعر مناسبات اجتماعية يلقى في هذه المناسبات مع وجود حشد من أهم الشخصيات السياسية والإعلامية، وقرب حافظ من عدد من الشخصيات المهمة في مصر أمثال الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وحسين كامل وقاسم أمين .وهؤلاء على سبيل المثال لا الحصر فتحوا أمامه مجالاً واسعاً كي يعرف في الأوساط الإعلامية التي جعلت منه شاعر النيل العظيم، فالإعلام قد يجعل من أنصاف المتعلمين مثقفين ويحول اللصوص والخونة إلى مناضلين وطنيين وقد يجعل من نساء الحانات سيدات مجتمع. لذلك لا غرابة في أن يصنع من حافظ إبراهيم شاعراً عظيماً.

---

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر– د/ شوقي ضيف – ص 105.

(٢) حافظ إبراهيم شاعر النيل– ص 101.

(٣) حافظ إبراهيم ونظرات في شعره– ص 63.

بالإضافة إلى أنه كان يتحدث عن قضايا ومشكلات اجتماعية وسياسية مهمة تعني للشعب شيئاً كثيراً، وهذا أيضاً مما يلفت نظر الإعلاميين والمتلقين العاديين إلى شعره.

ومن ما يتبع عدم ثقافة حافظ عدم جرأته على طرح آرائه من خلال أشعاره، فقد كان عندما يعرض لموضوع معين يقف منه موقف الحياد دون أن يدلى برأيه تماماً كما فعل مع قاسم أمين عندما كتب عن دعوته في كتابيه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) ، وكان ذلك طبيعياً لأن حافظاً لم يطلع على كتابي قاسم أمين و لم يع تماماً دعوته فكان أسلم طريق له أن يكتب بحيادية، وأن يصفه بأوصاف عامة من الممكن أن يتصف بها أي شخص آخر .وكذلك عندما كتب عن ذكرى شكسبير فقد وصفه بأوصاف عامة، ولو كان قرأ لشكسبير وعلم جيداً من هو شكسبير ما جاء حديثه عنه بهذه السطحية.

إن حافظاً – كما يظهر – كان يكتب عن تجربة هي خارج ذاته وخارج انفعالاته، فتصبح كتابة الشعر عنده أداء واجب ومجرد رصف أوصاف وكلمات ذات موسيقى قوية، لكنها لا تتجاوز الآذان لأنها خالية من الداخل، إذ أن هذا يؤثر على إيقاع الشعر . فهناك نوعين من الموسيقى موسيقى سطحية مصنوعة وهذه تماماً تنطبق على شعر حافظ وموسيقى تنبع من ا لنفس لتنتقل إلى صميم النفس[1].

وهذا النوع من الموسيقى يساعد على تعميق المعاني كما أنه يكون أبلغ أثراً في المتلقي .وقد أشار إلى ذلك شكيب أرسلان(1869-1946م) وهو أحد شعراء المدرسة التقليدية إذ يقول : " وإذا تغلغل الشاعر في أنحاء النفس وأنحاء القلب، وهام في أوديةِ الانفعال أخذ يؤدي من هناك ما يلقيه إليه مضاعفاً : هوى ملح وشوق هاف وحب شاغف، وتمنّ واصب، وتوسل هالع، ورغبة ورهبة، وإيمان كإيمان العجائز، ثم آب من أودية إحساساته وأعطاف فراساته- مفضياً بذلك إلى سامعيه- أشجى وأصبى وأرقص وأبكى"[2].

فالموسيقى التي تخلفها الانفعالات النفسية والخلجات الداخلية أقوى أثراً لدى المتلق ي لأنها تصل من القلب إلى القلب، وكما قيل – سابقاً – أن لغة الشعر هي لغة العواطف والأحاسيس.

" فالشعر الجيد يمتاز قبل كل شيء بأنه مرآة لما في نفس الشاعر من عاطفه .مرآة تمثل هذه العاطفة تمثيلاً فطرياً بريئاً من التكلف والمحاولة، فإذا خلت نفس الشاعر من العاطفة، أو عجزت هذه العاطفة عن أن تنطق لسان الشاعر بما يمثلها فليس هناك شعر، وإنما هناك نظم لا غناء فيه"[3].

---

(١) الأدب وفنونه-د/ عز الدين إسماعيل- ص98 (بتصرف).

(٢) في الأدب الحديث- د/ عمر الدسوقي : 2/227- مصوره عن ط1- 1420هـ/2000م- دار الفكر العربي- القاهرة.

(٣) حافظ وشوقي- د/ طه حسين- ص 109.

والشاعر الجيد يعبر عن تجربته وانفعالاته النفسية من خلال خياله فنعمة الخيال هي التي تجعل الشاعر يتعمق في المعاني، ويكسبها هالة من الخصوصية. "والخيال: سمة بارزة من سمات الأسلوب الأدبي، لأنه يصور العاطفة وينقلها إلى السامع أو القارئ، ويبرز المعاني ويضفى عليها ثوباً زاهياً فتنقبلها ونفهمها. ويلجأ إليه الأديب للإيضاح وحسن العرض وقوة الإبانة والتصوير، ويرى القارئ، والسامع الحقائق من أثناء كل ذلك عن طريق خياله"[1].

ولكن حافظ حرم هذه الموهبة الربانية وفقدها أدى إلى عدم قدرته على التعمق في المعاني والغوص فيها فالخيال "موهبة تنفذ بروح الأديب إلى أسرار الوجود، واكتناه الحقائق المستكنة ، وراء مظاهر الأشياء وتجعله يحلق طليقاً في أجواء وعوالم جديدة مليئة بالرؤى الجذابة والصور الخلابة والموسيقى الساحرة. وهذه الموهبة تتباين قوة وضعفاً وضيقاً واتساعاً، وغنى وفقراً لدى الأدباء بحسب قدرتهم على استيعاب أسرار الحياة وهتك حجب المادة، والوصول إلى ينابيع الإلهام، وقدرة نفوسهم على التوليد والتفاعل مع الحياة وانعكاس إشعاعاتها"[2].

جميع هذه الأسباب السابقة أدت إلى عدم قدرة حافظ على الغوص والتعمق في المعاني وبالتالي جاء تناوله للأخلاق سطحياً ساذجاً خالياً من أي عمق.

مع هذه السطحية والبساطة استطاع حافظ أن ينقلنا إلى عالم لا يشبه عالمه الداخلي ولكنه يشبه عالمه الخارجي إلى حد كبير . فقد قال الدكتور جمال نجم:" أن الشاعر يختار في عمله الكلمات ذات الأثر الفني في نقل المستمع أو القارئ إلى الأجواء الشعرية التي عاشها الشاعر"[3].

فحافظ نقل لنا من خلال شعره كل ما رآه وعاشه فقد كان رجل عادياً، من أسرة بسيطة عاش في حي الفقراء ورأى معاناتهم ومشاكلهم اليومية، لذلك حث في شعره على التكافل والزكاة ومساعدة المحتاجين، ولأن مصر كانت تعيش فترة حرب واستعمار فقد حث على الشجاعة والصبر وقوة العزيمة والعدل، ولأنه كان وحيداً وبلا أسرة فقد حث على الوفاء والصدق بين الأصدقاء.

---

(١) في الأدب الحديث – د/ عمر الدسوقي : 329/2.

(٢)في الأدب الحديث – د/ عمر الدسوقي : 329/2.

(٣) لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجري- ص 21.

المعجم الشعري:

عند الوقوف على المعجم الشعري لحافظ إبراهيم وأقصد به الألفاظ التي تخص الجانب الأخلاقي في شعره نجد أنه في حديثه عن التكافل جاء ببعض الألفاظ القديمة نحو(العفاة) في قوله[1]:

غياثِ العفاةِ مزيل الكُـــــــرَب

ونجد أنه في حديثه عن التكافل كرر استخدام عدد من الكلمات التي تندرج ضمن الحقل الدلالي للتكافل نحو (البر، الاحسان، العفاة، كثير الايادي، العمل الصالح، ، الأجر ، إقالة العثار).

ومن أمثلتها قوله[2]:

وفي ساحةِ الإحســانِ والبِرِّ مــوقفُ

وقوله[3]:

كثيرُ الأيادِي،حاضِرُ الصَّفحِ، مُنصِفٌ

وقوله[4]:

بأنّ هــــــذا عمــــــلٌ صــالحٌ

وقوله[5]:

بفضــل الزَّكــــاةِ والإنعــــــامِ

وقوله[6]:

إنّ خيرَ الأجــــــرِ أجرُ مدَّخــــرْ

وقوله[7]:

وكم أقلــتَ كريـمــا عند عثـرته

كما نجده في حديثه عن الشجاعة جاء بكثير من الألفاظ ا لقديمة نحو قوله (الأروع، الصنديد، الكمى، الغرار، الصارم، البيض، القضب) ومن أمثلة ذلك قوله[8]:

---

(١) الديوان: 177/1.

(٢) المرجع السابق: 23/1.

(٣) المرجع السابق: 22/1.

(٤) المرجع السابق: 297/1.

(٥) المرجع السابق: 287/1.

(٦) المرجع السابق: 301/1.

(٧) المرجع السابق: 236/2.

(٨) المرجع السابق: 81/2.

من كلِّ أروعَ فاتـــــــكٍ لا يستشير ســـــــــوى الغِرار[1]

وقوله[2]:

كم وقفةٍ لك والأبطال طائرةٌ والحربُ تضرب صنديداً بصنديدِ

وقوله[3]:

هنا الكمـــيُّ الذَّي شادت عزائمه

وقوله[4]:

حيـــاتي، وأمّا صارمى فمشطَّبُ

وقوله[5]:

يُنسى الكُماةَ صليلُ البيض والقُضُبِ

كما أنه كرر استخدام عدد من الكلمات التي تندرج ضمن الحقل الدلالي للشجاعة نحو (الأسد ، الفارس، الصنديد، الكمي، الضيغم، العرين) وذلك نحو قوله[6]:

من ذا يغيرُ على الأسودِ بِغابِها

وقوله[7]:

ربما أطلعـــــتَ منه فارِسًـــا

وقوله[8]:

يختالُ ما بينَ السُّطُورِ كضَيغَمٍ

و قوله[9]:

هذا زَعيمُ النِّيلِ حـــــــلَّ عرينَه

أما في حديثه عن الصبر فنجده استخدام عدد من الكلمات التى تندرج ضمن الحقل الدلالي لصبر نحو(الصبر،الحلم ، لا تجزعن،احتسابا، تجملت) ومن أمثلة ذلك قوله[10]:

بعروة الصَّبرِ ولا تعجـــــــــــــلا

---

(١) الغرار: حدّ السهم والرمح والسيف:هامش الديوان81/2

(٢) الديوان: 141/2.

(٣) المرجع السابق: 160/2.

(٤) المرجع السابق: 19/2.

(٥) المرجع السابق : 173/2.

(٦) المرجع السابق: 99/2.

(٧) المرجع السابق: 309/1.

(٨) المرجع السابق: 150/1.

(٩) المرجع السابق: 119/1.

(١٠) المرجع السابق: 200/1.

وقوله[1]:

بحـــــــــــــــــــ لم كان محمُودَ المزايا

وقوله[2]:

لا تجـــــــــــــــــــزعنَّ فلست أوّلَ ماجدٍ

وقوله[3]:

في نفـــــــــــــــــــوسٍ أبين الااحتسابا

وقوله[4]:

كـــــــــــــــــــم تجمَّلتَ والأمانيُّ صـــرعى

ومن خلال هذه النماذج نلاحظ أن ألفاظ حافظ بسيطة وسهلة وإن كان يذكر بعض الألفاظ القديمة إلا أنها تعتبر من الألفاظ السهلة التي تفهم من دون الرجوع إلى معاجم اللغة، وهذه السهولة والبساطة جاءت من شخصية حافظ البسيطة فهو رجل من بيئة متوسطة ويمثل عقلية رجل الشارع العادي الذي لا ينظر إلى ما خلف الأشياء، وإنما يكتفى بظاهرها، وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبدالحميد سند الجندي حيث قال:" وكان حافظ ذا طبيعة واضحة لا غموض فيها ولا التواء .وقد جعلت منه هذه الطبيعة البسيطة شاعراً قليل الحظ من الخصب الذهني والعمق العقلي.وقد نجم عن ذلك أن امتاز شعره بالوضوح وسهولة المأخذ .فهو شعر قريب الغور يكاد يكون خالياً من المعاني الفلسفية التي تلذ العقل والفكر، ولا يجد المرء عناء أو مشقة في الوصول إلى قراره"[5].

فقد تناول جميع القضايا والمواضيع التي كتب عنها في شعره بشكل بسيط ومباشر ونقل لنا ما رأته عينه بدون عمق ودون فلسفة؛ فقد كان يرى الأمور مثلما يراها عامة الشعب ويشعر بها مثلما يشعرون بها برغم مخالطته ومجالسته لرجال السياسة والوطنية في مصر، إلا أنه أخذ منهم الموضوعات السياسية القوية وتحدث عنها ببساطة وبثقافة الرجل العادي، لذلك استحق أن يكون شاعر الشعب . وقد أشار إلى ذلك الدكتور شوقي ضيف حيث قال :" كان حافظ يشعر بما يشعر به شعبه شعوراً

---

(١) الديوان: 98/1.

(٢) المرجع السابق: 27/1.

(٣) المرجع السابق: 220/2.

(٤) المرجع السابق: 240/2.

(٥) حافظ إبراهيم شاعر النيل- ص 101.

دقيقاً، لأن نفسه كانت مصرية خالصة، واستطاع أن يصوغ هذا الشعور في لغة جزلة متينة صياغة باهرة.وبذلك يتبوأ مكانته في تاريخ شعرنا الحديث"[1].

وعلى ما يبدو فالدكتور شوقي ضيف نظر لشعر حافظ من زاوية تمسكه بالقوالب القديمة وطريقة القدماء في الصياغة لذلك وصفه بالجزالة والصياغة الباهرة، ولكنه لو نظر إلى معانيه وألفاظه ومدى عمقها لما وصفه كذلك.

وقد ذكر الدكتور عبدالحميد سند الجندي أن السبب في هذه السهولة و البساطة في شعر حافظ أنه شعر يراد به مخاطبة الجماهير لذلك ابتعد عن الألفاظ الصعبة الغريبة حتى يفمهمه السامعين بيسر[2].

ولقد جاءت لغة حافظ بعيدة عن الغموض والتعقيد لأن الغموض وليد الثقافات المتعددة والإبحار في عالم الفلسفة والغوص في عالم النفس الإنسانية، وحا فظ كان أحادي الثقافة رغم معرفته البسيطة بالفرنسية ألا أنها لم تكن معرفة عميقة متمكنة، فهو لم يقرأ في الأدب الفرنسي ولو قرأ لظهر أثر ذلك في شعره.

الظواهر اللغوية:

(1)الأساليب البديعية:

1- الاقتباس :

"هو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه"[3].

وقد ذكر الدكتور جابر قمحية أن حافظ كان يقتبس في شعره من بعض الآيات القرآنية أو أجزاء منها وقد كان بارعاً جداً في هذا الاقتباس فهو يضع الآية في مكانها من سياق شعره دون افتعال وتكلف مثل قوله:

أقرضوا الله يُضاعفْ أجركم إنّ خيرَ الأجرِ أجرٌ مُدَّخرْ

مقتبس من قوله تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾

---

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر- ص110.

(٢) حافظ إبراهيم شاعر النيل- ص101 (بتصرف).

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة- القزويني 232- اعتنى وراجعه عماد بسيوني زغلول.

وقوله:

وتَواصَوا بالصّبرِ فالصبرُ إنْ فا رَقَ قوماً فما له من مَسدِّ

مقتبس من قوله تعالى:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾

وقوله:

واذكُري الوَحْشَةَ في القبر فلا مُؤنسٌ فيه سِوى تقوى القُلُوبِ

مقتبس من قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾.

وبهذا نجد أن حافظ شديد التأثر بالقرآن الكريم مما يعكس عنده نزعة دينية واضحة[1].

135

2 – التضمين:

" هو أن يضمن الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء"[2].

ذكر الدكتور عبدالحميد سند الجندي مجموعة من الأبيات التي ضمن فيها حافظ شعره شيئاً من شعر غيره ومنها قوله.

بكينا على فرد وإن بكاءنا على أنفس لله منقطعات

أخذه من قول الشاعر :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدّما

وقوله:

نامت بمصر وأيقظـــــــت لحـــــوادث الأيـــام سعـــد

آخذة من قول بشار ابن برد:

إذا أيقظتك صعـــــــاب الأمور فنبه لها عمـــــــــراً ثم نـم

وفي هذه الأمثلة لم يستطيع حافظ أن يضف جديد إلى المعاني التي استفادها من غيره[3].

3 – المبالغة:

" أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً"[1].

---

(١) الأدب الحديث بين العدالة الموضوعية وجناية التطرف– د/جابر قمحية– ص 109، 110، 111– ط1–1412هـ– 1992م– الدار المصرية اللبنانية (بتصرف).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة– القزويني 234– اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٣) حافظ إبراهيم شاعر النيل– ص 190–192 (بتصرف).

المبالغة كثيرة جداً في شعر حافظ وخاصة في الرثاء، وتعود إلى تقليده للقدماء وتأثره بهم، وقد ذكر الدكتور طه حسين حديثاً دار بينه وبين حافظ حول قوله في رثاء مصطفى كامل[2]:

(١) الإيضاح في علوم البلاغة- للخطيب القزويني 205- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٢) الديوان : 149/2.

أيا قبر هذا الضَّيفُ آمالُ أمـــــةٍ فكبر وهلل والق ضيفك جاثيا

حيث قال: "وقد سألته –رحمه الله– ذات يوم كيف تتصور القبر جاثيا؟ فقال دعنى من نقدك وتحليك، ولكن حدثني أليس يحسن وقع هذا البيت في أذنك؟ أليس يثير في نفسك الحزن ؟ أليس يصور ما لمصطفى من جلال؟ قلت بلى ولكن ... قال دعني من لكن، واكتف مثلي بهذا "[1].

ومن أمثلة المبالغة قوله[2]:

أبصروا في حِماك غَيثًا ونـارًا ذاكَ يهمي وتلكَ تَذكُو لَهِيبا

ونسوا أنّ جُودَ كَفِّكَ غيـثٌ ظَلَّ للمرتَجي الورودَ قَرِيبـا

وهي ضَيفٌ أَصابَه عَنَتُ الدَّهـ ـرِ وألفى هذا الفناءَ رَحيبـا

وقوله[3]:

علمتْ من تُقِلُّ فانبَعَثَتْ للـ ـقصدِ مِثلَ انبِعاثِه للثَّواب

ورأى الدكتور عبدالحميد سند الجندي أن شخصية حافظ وطبيعته أذكت من روح هذه المبا لغة حيث قال"واعتقد أن طبيعة حافظ نفسه قد أذكت من روح هذه المبالغة التي يجرى فيها على غبار الأقدمين . لأنه كان رجلاً بسيطاً في خلقه، يسرف في الحب ويسرف في الرضا ويسرف في السخط ويسرف في الحزن ويسرف في الإخلاص"[4].

كما رأى الدكتور إبراهيم خليل أن بعض مبالغات ح افظ لا يقبلها الذوق حيث قال :" وقد يبالغ على عادة القدماء مبالغات لا يتقبلها الحس وتنبوعنها ذائقة القارئ:

لهم بكل خضـم مسـربٌ نهـجُ وفي ذرا كل طود مسلك عجـبُ

لم تبدُ بارقـةَ في أفـق منتجـع إلا وكان لها بالشام مرتـقـب

ما عابهم أنهم في الأرض قد نثـروا فالشهب منثورة مذ كانت الشهب

رادوا المناهل في الدنيا ولو وجـدوا إلى المجـرة ركباً صاعداً ركبـوا

سعوا إلى الكسب محموداً وما فتئت أم اللغـات بذاك السعي تكتسـب

---

(١) حافظ وشوقي– د/ طه حسين – ص 173.

(٢) الديوان: 233/1.

(٣) المرجع السابق: 24/1.

(٤)حافظ إبراهيم شاعر النيل– ص105.

فمثل هذه المبالغات كان سائداً في الشعر القديم لكن الذوق في أيامنا هذه أو حتى في أيام الشاعر لا يتقبل مثل ذلك.ولا يُعلم إن كان الشاعر بهذه المبالغات يمتدح الشاميين أم أنه ينسب إليهم طباعاً لا تدعو للاستحسان.فالتمسك بالأوطان خير وأبقى من الجري وراء الكسب، حتى لو كان هذا الكسب يؤدي إلى شيوع العربية في أمكنة بعيدة"[1].

4 – المقابلة:

" هو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب"[2] نحو قوله[3]:

فكم في طريق الشرِّ خيرٍ ونعمةٍ وكـــم في طريق الطيباتِ شرور

المقابلة بين (الشر والطيبات) وبين (خير وشرور).

وقوله[4]:

عصفت فوقهم رياح عواتٍ أمـــا أجازت بهم صبا أم دبور

المقابلة بين (عصفت وجازت) وبين (فوقهم وبهم) و(رياح عوات وصبا).

5 – التقسيم:

" أن يذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال ما يليق بها"(5) وذلك نحو[6]:

الحلمُ حليتُهُ/ والعدْل قبلتُهُ/ والسعـــيُ لحتُهُ/ كشـــافةَ الكُرَبِ

وقوله[7]:

كثيرُ الأيادي/ حاضرُ الصفحِ/ منصف كثيرُ الأعادي/ غائبُ الحقد/ مُسْعفُ

وقوله[8]:

---

(١) مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث- د/ إبراهيم خليل- ص 74، 75 – ط2- 1427هـ /2007م- دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة- عمان.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة- القزويني 193- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٣) الديوان: 166/2.

(٤) المرجع السابق: 231/1.

(٥)الإيضاح في علوم البلاغة- القزويني 203- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٦) الديوان: 14/1.

(٧) المرجع السابق : 22/1.

(٨) المرجع السابق: 118/1.

يا كاسى الخلقِ الرضى/ وصاحبَ الـــ ـــأدبِ السرِّىِّ/ ويافَتَى الفتيـــانِ

6 - الترصيع:

هو نوع من أنواع السجع ويشترط فيه أن يكون " مافي إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية"[1] نحو[2]:

يبكونَ فقد امرئٍ للخيرِ منتسبٍ بالبشر منتقب في النّاس محمود

نجد أن (للخير مثل بالبشر) و(منتسب مثل منتقب).

7 - التكرار:

استخدم حافظ " التكرار في التأثير والتطريب بما يوفره التكرار الفني من موسيقى النفس واللفظ"[3].فهو " يكرر اللفظ الواحد أو الجملة الواحدة مرة وأكثر من مرة، ليثير السامع ويسترعي انتباهه ويحرفه معه تياره، ويملك عليه عواطفه يصرفها كما يشاء "[4].وقد يكون التكرار في كلمة أو في جملة أو في شطر كامل وقد يكون التكرار في الحروف وذلك نحو[5]:

هُنا جنانُ تعالى الله بارئُـــــه ضاقت بآمالهِ الأقدارُ والهمـــــمُ

هنا فمٌ وبنانٌ لاح بينهمـــــا في الشرقِ فجـــرٌ تحى ضوءهُ الأمـــمُ

هنا فمٌ وبنانٌ طالما نـــــثرا نثرا تسيرُ به الأمثالُ والحكـــــمُ

هنا الكمى الذي شرادت عزائمه لطالبِ الحقِّ ركنا ليس ينهـــــدمُ

هنا الشهيدُ، هنا رب اللواء، هنا حامى الذِّمار، هنا الشهمُ الذي علموا

وقوله[6]:

رحـــمَ اللهُ مـــــنه لفظا شهياً كان أحلى من ردِّ كيـــدِ الأعادى

رحـــــمَ اللهُ منه طرفا تقياً ويميناً تسيـــلُ سيلَ الغـــــوادي

رحـــــمَ اللهُ منه شهماً وفياً كـــان ملءَ العيونِ في كلِّ نـــادِى

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني 220- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٢) الديوان: 132/2.

(٣) خصائص الشعر الحديث- د/ نعمات فؤاد - ص 148-149- دار الفكر العربي.

(٤) الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف- د/ جابر قمحية- ص112-113.

(٥) الديوان: 160/2.

(٦) المرجع السابق: 134/2.

وقوله[1]:

رجـــالَ الغدِ المأمولِ إلاّ بحاجةٍ إلى قـــــادةٍ تبنى وشعبٍ يعمـــرُ
رجالَ الغدِ المأمولِ إلاّ بحاجـــةٍ إلى عالمٍ يدعو وداعٍ يذكـــــــرُ
رجالَ الغدِ المأمولِ إلاّ بحاجـــةٍ إلى عالمٍ يدرى وعلمٍ يقـــــــرَّرُ
رجالَ الغدِ المأمولِ إلاّ بحاجـــةٍ إلى حكمةٍ تملى وكفٍّ تحـــــررُ
رجالَ الغدِ المأمولِ إلاّ بحاجـــةٍ إليكم فسدوا الرقّصَ فينا وشمروا

في المثال الأول كرر حافظ كلمة (هنا) في خمسة أبيات متتالية وجملة (هنا فم البنان) مرتين متتاليتين وفي المثال الثاني كرر جملة (رحم الله منه) في ثلاث أبيات متتالية.أما في المثال الأخير فقد كرر الشطر الأول بـــأكمله في خمسة أبيات متتالية.

أما التكرار في الحروف فهو نحو[2]:

فتململتْ جزعا وقالت: حاملٌ لم تدرِ طعمَ الغمض منذُ ليالى

وقد علقت الدكتورة نعمات فؤاد على كلمة "تململت" في هذا البيت بقولها "إن كلمة (تململت) بتجانس حروفها وترتيبها على هذا النسق وجرس لفظها بفعل تكرار الميم واللام وهما حرفا الألم البارزان ترسل إلى سمعي أنيناً مكبوتاً وكأني أرها تتمزق"[3].

8 – الفكاهة والصور الكاريكاتورية:

رغم ما عرفت به شخصية حافظ إبراهيم من فكاهة ومرح إلا أنه لم يظهر هذا الجانب في شعره إلا على نطاق ضيق. وقد رأى الأستاذ أحمد أمين أن السبب وراء ذلك هو "أن الأديب في كثير من الأحيان تكون له شخصيتان أو أكثر؛ فله في حياته العامة شخصية خاصة، فإذا أراد أن يصوغ شعره أو نثره، انصب في قالب خاص، وتقمص شخصية أخرى؛ ولو قد أتيح له أن يدخل كثيراً من فكاهته في شعره، لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير .وسبب آخر، وهو أن الناس كانوا ينظرون إلى هذه النوادر، كأنها من الأدب الشعبي الذي لا يصح أن يرتقى إلى الأدب الأرستقراطي، ولذلك قلّ أن يدخلوا – حتى الآن- فكاهتهم ونوادرهم في الأدب، كما احتقروا القصة واحتقروا ألف ليلة وليلة، وقصة عنترة ونحوها، ولم يعرها الأدباء الراقون

---

(١) المرجع السابق:2/41-42.

(٢) الديوان: 1/276.

(٣) خصائص الشعر الحديث: 149.

اهتماماً إلا في الأيام الأخيرة؛ فكان حافظ إذا قال شعراً في فكاهة أو مزح، عده من سقط متاعه، و لم ينظر إليه عندما يتخير شعره للنشر أو التدوين"[1] ومن ذلك قوله[2]:

ولقد عجبـــــتُ لبخلـــهِ ولكفِّهِ المتحجـــــــــــرِ
لا يصـــــــــــرفُ السحتوتَ إلا وهو غيرُ مخـــــــــــيرِ
لـــــــــو أنّ في إمكانـــه عيشا بغـــيرِ تضـــــوُّرِ
لاختارَ ســــــــــدَّ الفتحتيـــ ـــــنِ وقال: يا جيبُ احذرِ

(2) الأساليب الإنشائية:

1- الاستفهام:

وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وقد يخرج الاستفهام من معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام[3].وذلك نحو قوله[4]:

أتشقى بعهـــــــدٍ سما بالعلوم فأضحى الضَّعيفُ بها أيِّدا؟

الاستفهام في هذا البيت خرج لمعنى الاستنكار.

وقوله[5]:

أعزِّى فيكَ أهلكَ، أم أعزى عفاةَ الرِّسِ، أم همَ الكرامِ؟

الشاعر في هذا البيت استخدم أسلوب الاستفهام وقصد به التحسر.

2- الأمر:

وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء . وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام[6].

وقوله[1]:

---

(١) مقدمة الديوان: 67.

(٢) الديوان: 194/1.

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني 81-87- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٤) الديوان: 262/1.

(٥) المرجع السابق: 245/2.

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني 87، 88- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

فاوضْ فخلفكَ أمةٌ قد أقسمتْ ألا تنـــام وفي البلاد دخيلُ

فعل الأمر (فاوض) خرج لمعنى التشجيع والحث فالشاعر يحث أحد القادة السياسيين على التفاوض مع الإنجليز باسم الشعب والمطالبة بالاستقلال والحرية.

(١) الديوان: 110/1

وقوله[1]:

فاكتسبـــوا الأجرَ ولا تبتغوا ش_____راءه بالثَّمنِ البخسِ

فعل الأمر (اكتسبوا) خرج لمعنى النصح والإرشاد فالشاعر يرشد الناس إلى البذل في سبيل الله ليحصلوا على الأجر في الآخرة.

3- النهي:

وهو طلب الكفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء .وقد يخرج النهى عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال[2].وذلك نحو قوله[3]:

لا تيأسِي، وتجلدْ أراكَ شهماً ركينا

النهي في قول الشاعر (لا تيأسي) وقد خرج النهي إلى معنى النصح والإرشاد فهو ينصح أحد الجرحى بالصبر والتجلد على ما أصابه.

وقوله[4]:

لا تظُنُّوا بنا العقوقَ ولكـنْ أرشدونا إذا ضللنا الرَّشـــادا

لا تقيدوا من أمّةٍ بقتيـــلٍ صادت الشمسُ نفسهُ حينَ صادا

النهي في قوله(لا تظنوا) في البيت الأول وقوله(لا تقيدوا) في البيت الثاني والنهي في كلا الجملتين خرج لمعنى الترجي.

4- النداء:

وهو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو .ويخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفاد من القرائن[5].

وذلك نحو قوله[6]:

يُؤديكَ قد أزدريت بالعلمِ والحجا ولم تُبـْقِ للتعليم يا (لردُ) معهدا

النداء في قوله(يالرد) وهذا النداء خرج لمعنى الزجر والتوبيخ.

---

(١) الديوان: 298/1.

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة الخطيب القزويني: 88/3- شرح وتعلق د/محمد عبدالمنعم خفاجي- ط3- دار الجيل- بيروت.

(٣) الديوان: 74/2.

(٤) المرجع السابق: 20/2.

(٥)انظر: الإيضاح في علوم البلاغة–الخطيب القزويني 91/3–شرح وتعلق د/محمد خفاجي.

(٦) الديوان: 28/2.

وقوله[1]:

يا شُجاعاً وما الشَّجاعةُ إلا الـــ ـــصَّـــ بـــرُ لا الخوضُ في صدورِ الصعابِ

النداء في قوله : (يا شجاعاً) وقد خرج معنى هذا النداء للإغراء.

5- التمنى:

وهو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكناً غير مطموع في نيله[2].وذلك نحو قوله[3]:

ليتها تسمعُ منى قصـــــــــةً ذاتَ شجوٍ وحديثاً عجبـــــا

الشاعر في هذا البيت استخدم (ليت) لإبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بعد تحققه وهو أن تستمع أمته لنصحه وتتخذ من أمة اليابان قدوة.

ولقد تميزت اللغة الشعرية عند حافظ بظواهر أسلوبية أخرى، كالطباق والجناس والتصريع ورد العجز على الصدر و لم نذكرها هنا لأننا تناولناها- سابقاً- في مبحث الموسيقى لأنها من أهم مكونات الموسيقى الداخلية.

وقد ظهر لي من خلال دراستي لديوان حافظ إبراهيم أن ديوانه يضم بعض التعابير والألفاظ العامية والتي يبدو أنها جاءت نتيجة لتأثر حافظ إبراهيم بلغة الصحف وقد رأى الدكتور شكري محمد عياد أن:" لمثل هذه العبارات أثر غير هين في رواج شعر حافظ لدى الجماهير، وسرعة تقبله في المحافل.فالعبارات المألوفة التي تتردد كل يوم، ولا تحمل أي معنى جديد، تطرب الأكثرية لأنها توهمها أنها تعلم وهي لا تعلم، وتورد عليها ما تجده" على طرف ألسنتها "، وفي هذا ما فيه من إرضاء لغرورها.ولكن مثل هذه الأبيات عند حافظ لم تكن لترضى الشعراء وطلاب البلاغة"[4].

والحقيقة أن حافظ من أوائل الشعراء الذين حاولوا تبسيط اللغة الفصح ى وتقريبها من لغة الشعب ولعل عذر حافظ أن كثير من الألفاظ العامية فصيح وصحيح.ولقد شاع هذا الأسلوب بعد حافظ وظهر بكثره عند نزار قباني والدكتور غازي القصيبي والأمير عبدالرحمن بن مساعد آل سعود

---

(١) الديوان: 240/2.

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني 81- اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني.

(٣) الديوان: 8/2.

(٤) قراءة أسلوبية لشعر حافظ – د/شكري محمد عياد- ص 17- فصول.

وقد وصلوا به إلى القمة وأطلق على هذه اللغة البسيطة القر يبة للعامية مصطلح اللغة الثالثة.ولقد لاقت رواجاً كبيراً في عصرنا الحاضر[1].

وعلى الرغم من انتماء حافظ للاتجاه المحافظ المتمسك بتقاليد القدماء إلا أنه وقع في بعض الأخطاء اللغوية والنحوية والعروضية.وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبدالحميد سند الجندي وذكر بعض الأمثلة منها قوله:

سما فوقه والشرق جذلان شيقٌ لطلعته والغربُ خذلانُ يرقُبُ

فهو يريد بكلمة (خذلان) مخذول، ولقد بحثنا عن هذه الصيغة بهذا المعنى في معاجم اللغة و لم نجدها وعلى ما يبدو أن حافظ ذكرها في مقابل كلمة (جذلان) في الشطر الأول.

وقوله:

ولا تنس من أمسى يقلبُ طرفهُ فلم ترَ إلا أنتَ في النّاسِ عيناهُ

والصواب أن يقول: (إلا إياك) أو (إلاك) بضمير النصب.

وقوله:

رجوتك مرّة وعتبتُ أخرى فلا أجدَى الرَّجاءُ ولا العِتابُ

والصواب أن يقول: (فما) بدل (فلا) حتى يستقيم الوزن .وقد برر حافظ هذه الأخطاء بأنها نتيجة تأثره بلغة الصحافة[2]

ورغم هذه السطحية والمباشرة في لغة حافظ الشعرية إلا أن هذه اللغة البسيطة استطاعت أن تعانق قلوب الشعب وتعبر عنهم، فشعر حافظ كان بمثابة فيلم وثائقي جسد كل ما كان يدور في المجتمع المصري من أحداث ومناسبات وكل ما طرأ عليه من تغيرات في الأخلاق والعادات وكل ما تعرض له المواطن المصري من خيبات ونكبات وظلم واضطهاد .ومن خلال هذه اللغة البسيطة استطاع حافظ أن يلفت النظر إلى الأخلاق الإسلامية التي بدأت تتراجع في المجتمع ويرى أن على المجتمع أن يتمسك بهذه الأخلاق ويقاوم محاولات التغير التي تخرج عنها أو تسعى إلى إماتتها.

---

(١) انظر : مفهوم الشعر عند غازي القصيبي – رسالة ماجستير– إعداد علي بن عتيق المالكي : 78-87- إشراف أ.د/صالح بن سعيد الزهراني- جامعة أم القرى- 1424هـ-2004م- مكة المكرمة.

(2) حافظ إبراهيم شاعر النيل-186-189.

الخاتمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

بعد هذه الرحلة مع حافظ إبراهيم وشعره في الأخلاق يطيب لي أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها:

1 – إن شعر الأخلاق عند حافظ عبارة عن أبيات جاءت في ثنايا قصائد مدحه ورثائه وشكواه وشعره السياسي و لم يفرد لها قصائد كاملة.

2- التكافل كان أكثر فضيلة تناولها حافظ في شعره ولعل ذلك بسبب تردى ال وضع الاقتصادي في مصر في تلك الفترة.

3- تناول حافظ للأخلاق كان سطحياً وخالياً من أي عمق.

4- برغم ما كان لحافظ من سقطات إلا أنه كان ذا نزعة دينية واضحة.

5- شعر حافظ لا يخلو من الصور الفنية المستحسنة رغم ما وجد فيها من ضعف.

6- اهتمام حافظ بعنصر الموسيقى في شعره وفر له قوة التأثير في السامعين.

7- كان حافظ يقصد بشعره مخاطبة الجماهير لذلك حرص على أن يختار الألفاظ السهلة والبسيطة.

8- حافظ من خلال لغته البسيطة ومشاركته بشعره في كل ما يخص مصر والشعب المصري استحق بجدارة أن يكون شاعر النيل.

9- استخدام حافظ إبراهيم لبعض التعابير العامية مهد لظهور ما يسمى (اللغة الثالثة في الشعر العربي الحديث) وقد لاقت رواجاً كبيراً.

وأخيراً أود أن أقول:إني اجتهدت في بحثي عن الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم، فإن قصرت أو أخطأت في شيء فهذا العمل جهدي وطاقتي التي استطعت وإن أصبت في شئ فهذا من تو فيق الله سبحانه وفضله.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبو العتاهية أشعاره وأخباره – طبعة محققة على مخطوطتين ونصوص لم تنشر من قبل- عنى بتحقيقها د/شكري فيصل- مطبعة جامعة دمشق- 1384هـ-1965م- دمشق.
- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر- د/عبدالحميد جيده- 1986م- دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع.
- إحياء علوم الدين- أبو حامد الغزالي- طبع بالمطبعة العامرية بمصر المحمدية-1326هـ.
- الأخلاق الإسلامية وأسسها- عبدالرحمن حبنكة الميداني- ط1- 1423هـ- 2002م – دار القلم – دمشق.
- الأخلاق في الإسلام والفلسفة ا لقديمة- د/ أحمد السحمراني – ط1- 1408هـ- 1988م- دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.
- الأخلاق في الإسلام- د/ كايد قرعوش- د/ خالد القضاة- د/ عبدالرزاق أبو البصل- د/ محمد حسن الشلبي- د/ محمد نصر موسى- د/ نصر البنا- د/ وليد السعد- ط4- 1424هـ-2004م – دار المناهج للنشر والتوزيع- عمان- الأردن.
- الأخلاق في الإسلام – د/ عبداللطيف محمد العبد- ط2- 1409هـ- 1988م- دار التراث- المدينة المنورة.
- الأخلاق في الشريعة الإسلامية- د/ أحمد عليان – ط1- 1420هـ-2000م- دار النشر الدولي – الرياض.
- أخلاق المسلم وعلاقته بالخلق- أ.د/ وهبة الزحيلي- ط1- 1423هـ- 2002م- دار الفكر – دمشق – دار الفكر المعاصر- بيروت.
- آداب المجتمع في الإسلام- محمد جمال الدين رفعت- طبعه ونشره عبدالله إبراهيم الأنصاري – إدارة إحياء التراث الإسلامي – قطر.
- الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف- د/ جابر قمحية- ط1- 1412هـ- 1992م- الدار المصرية اللبنانية.
- الأدب المفرد – الإمام أبي عبدالله محمد البخاري – ص148- تحقيق د/ علي عبد الباسط مزير- علي عبد المقصود رضوان –ط1-1423هـ -2003م مكتبة الخانجي – القاهرة
- الأدب وفنونه – د/ عز الدين إسماعيل- ط8- دار الفكر العربي – القاهرة.
- الأدب وفنونه –د/ محمد مندور – ط1- دار نهضة مصر للطبع والنشر- القاهرة.

- الإيضاح في علوم البلاغة- الخطيب القزويني – اعتنى به وراجعه عماد الدين بسيوني – ط1- 1426هـ-2005م- دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.
- الإيضاح في علوم البلاغة – الخطيب القزويني- شرح وتعليق د/ محمد عبالمنعم خفاجي – ط3- دار الجيل- بيروت.
- التجديد في الشعر الحديث- د/ يوسف عز الدين- ط1 – 1406هـ-1986م- دار البلاد – جدة.
- التدين والصحة النفسية – د/ صالح بن إبراهيم عبداللطيف الصنيع – ط1- 1421ه ـ- 2000م – أشرف على طباعته ونشره الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض.
- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وإساس البلاغة- طاهر أحمد الزاوي- 1951م- مطبعة الرسالة – عابدين.
- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث- د/ نعيم اليافي- ط1-2008م صفحات للدراسة والنشر- دمشق.
- تعريفات الراغب الأصفهاني – د/ عمر عبدالرحمن الساريسي – ط1- 1425هـ- 2004م – عالم الكتب الحديث- إربد- الأردن.
- التعريفات- العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني- تحقيق وزيادة د/ محمد عبدالرحمن المرعشلي – ط1- 1424هـ- 2003م دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.
- التفسير الكبير- الإمام الفخر الرازي- ط3- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- التفسير النفسي للأدب- د/ عز الدين إسماعيل – ط4- دار غريب للطباعة- القاهرة.
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق- أبي أحمد بن محمد الرازي (مسكويه)- قدم له الشيح حسن تميم- ط2- منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت.
- التوقيف على مهمات التعاريف- محمد عبدالرؤوف المناوى- تحقيق د/ محمد رضوان الداية – ط1- 1410هـ-1990م- دار الفكر المعاصر- بيروت- دار الفكر- دمشق.
- ثلاث رسائل في اعجاز القرآن- الرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني – حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد ود/ محمد زغلول سلام- ط2- دار المعارف- القاهرة.
- حافظ إبراهيم شاعر النيل – د / عبدالحميد سند الجندي – ط4- دار المعارف- القاهرة.
- حافظ إبراهيم ونظرات في شع ر- د/ محمد بن سعد بن حسين- ط1- 1404هـ- 1984م- دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع- الرياض.

- حافظ وشوقي – د/طه حسين – ط2- 1953م- دار الجهاد- القاهرة.
- خصائص الشعر الحديث – د/ نعمات فوائد- دار الفكر.
- خلق المسلم- محمد الغزالي- ط2- 1406هـ-1986م- دار القلم للطباعة والنشر.
- دلائل الإعجاز – عبدالقاهر الجرجاني – قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر- ط3- 1413هـ-1992م- دار مدني- جدة.
- ديوان ابن دراج ا لقسطلي- حققه وعلق عليه وقدم له د/ محمود علي مكي- ط1- منشورات المكتب الإسلامي- دمشق .
- ديوان حافظ إبراهيم – ضبطه وصححه وشرحه ورتبه- أحمد أمين وإبراهيم الأبياري – ط7 – 1955م- المطبعة الأميرية – القاهرة.
- ديوان حافظ إبراهيم – تقديم فاروق شوشة – طبعة خاصة بمناسبة احتفال المجلس الأعلى للثقافة بالذكرى الخامسة والسبعين لرحيل حافظ وشوقي – 2007م.
- ديوان صفي الدين الحلى- 1403هـ - 1983م – دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت.
- زبدة التفسير بهامش مصحف المدينة النبوية- د/ محمد سليمان عبدالله الأشقر- الطبعة الشرعية الوحيدة- دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن.
- السنن الكبرى- الإمام أبي بكر أحمد بن حسين بن علي البيهقي- في ذيله الجوهر النقي للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني- دار الفكر.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى- صنعه الإمام أبي العباس أحمد بن يحى بن زيد الشيباني- 1363هـ- 1944م- مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة.
- شعراء صدر الإسلام وتمثلهم للقيم الاجتماعية – د/ وفا ء فهمي السنديوني- ط2- كمبيوجرافيك آرت سنتر للجمع التصويري والطباعة المميزة- القاهرة.
- صحيح مسلم بشرح النووي- ط2 – 1392هـ-1972م- دار الفكر- بيروت.
- صفات المؤمنين في القرآن وآثارها على الإنسان- بادي أحمد الكنتى العقبي القرشي- قدم له د/ عبدالعزيز الحميدي- 1422هـ- مكة المكرمة.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – د/جابر عصفور – دار المعارف- القاهرة.
- الصورة الفنية في النقد الشعري – د/ عبدالقادر الرباعي- ط1- 1405هـ-1984م- دار العلوم – الرياض.
- الصورة في شعر بشار بن برد – د/عبد الفتاح صالح نافع – 1983م – دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان.

- العروض وإيقاع الشعر العربي- د/ عبدالرحمن تبرماسين – ط1- 2003م- دار الفجر للنشر والتوزيع – القاهرة.
- علم الأخلاق الإسلامية- د/ مقداد يالجن- ط2- 1424هـ-2003م- دار عالم الكتب للطباعة والنشر- الرياض.
- علم العروض الشعري في ضوء العروض ا لموسيقى- د/ عبدالحكيم العبد- ط3- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.
- علم اللغة العربية – د/ محمود فهمي حجازي- وكالة المطبوعات – الكويت.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري- تقديم وتعل يق عبدالقادر شيبة- ط1- 1421هـ-2001م.
- فتح الخلاق في مكارم الأخلاق- أحمد سعيد الدجوى- تحقيق عبدالرحيم مارديني- ط1 – 1411هـ-1991م- مكتبة دار المحبة.
- فصول في الشعر ونقده- د / شوقي ضيف- ط2- دار المعارف- القاهرة.
- الفضائل الخلقية في الإسلام – د/ أحمد بن عبدالرحمن إبراهيم- ط1- 1409هـ 1989م دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة.
- فلسفة الإيقاع في الشعر العربي- د/ علوي الهاشمي- ط1-2006م وزارة الإعلام والثقافة والتراث الوطني- مملكة البحرين.
- في الأدب الحديث – د/ عمر الدسوقي- نسخه مصورة عن ط 1- 1420هـ- 2000م دار الفكر العربي – القاهرة.
- القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الاجتماعية- أ.د/ محمد صابر عبيد- منشورات اتحاد الكتاب العرب- 2001م- دمشق.
- لغة الشعر في القرنين الثاني والثالث الهجري – د/ جمال نجم العبيدي- 2003م- دار زهران- عمان.
- مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث- د/ إبراهيم الخليل- ط2- 1427هـ- 2007م دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة- عمان.
- المطول على التلخيص- سعد الدين التفتازاني- 1330هـ- مطبعة أحمد كامل.
- معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها – د/ محمود محمد بابللي- 1405هـ-1985م.
- معجم مقاييس اللغة – أبي الحسن بن فارس اعتنى به د/ محمد عوض وفاطمة محمد أصلان- ط1- 1422هـ-2001م- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

- المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد النجا- دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع – اسطمنبول- تركيا.
- مفهوم الخيال ووظيفته في النقد القديم والبلاغة- د/ فاطمة سعيد حمدان- 1421هـ- 2000م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء- صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني- تقديم وتحقيق محمد حبيب ابن الخوجه- ط3- دار الغرب الإسلامي- بيروت.
- منهاج المسلم- أبو بكر الجزائري- ط2-1990م.
- موسيقى الشعر – د/ إبراهيم أنيس- ط4- دار القلم- بيروت.
- موسيقى الشعر العربي- د/ حسني عبدالجليل يوسف- 1989م- مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- موسيقى الشعر العربي د/ شكري محمد عياد- ط1- 1968م- دار المعرفة.
- النظرية الخلقية عند ابن تيمية- د/ محمد عبدالله عفيفي- ط1- 1408هـ- 1980م- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض.
- النقد الأدبي- أحمد أمين- ط4- 1387هـ-1967م- دار الكتاب العربي – بيروت.
- النقد الأدبي الحديث- د/ محمد غنيمي هلال- دار الثقافة- دار العودة- بيروت.

الدوريـــــات:

- فصول - المجلد الثالث- العدد الثاني- يناير- فبراير- مارس- 1983م.

الرسائل الجامعية:

- مفهوم الشعر عند غازي القصيبي- علي عتيق علي المالكي- إشراف أ.د/ صالح سعيد الزهراني -1424هـ-2004م.

فهرس الموضوعات

العنـــــــــــــــوان	رقم الصفحة
ملخص الرسالة	أ
ملخص الرسالة باللغة الانجليزية	ب
الإهداء	ج
المقدمة	د
حافظ إبراهيم ولادته ونشأته	2
صفاته	3
مفهوم الأخلاق	5
الفصل الأول	9
المبحث الأول	10
الفضائل	11
التكافل	12
الشجاعة	19
الوفاء	25
الصبر	30
قوة العزيمة	35
العدل	39
التقوى	43
الإخاء	46
الكرم	49
الإباء	52
التواضع	55
الرحمة	58
المروءة	60
الصدق	62

الأمانة 65
فضائل أخرى 67
المبحث الثاني 70
الرذائل 71
الظلم 72
التواكل 76
الغدر 82
الكذب 84
البخل 86
مذمومات الأخرى 88
الفصل الثاني : الدراسة الفنية 91
المبحث الأول (الصورة) 92
مفهوم الصورة الفنية ووظائفها 93
الصور الفنية في شعر حافظ إبراهيم 95
الاستعارة 95
استعارة تصريحية 95
استعارة مكنية 96
التشبيه 98
التشبيه المرسل 98
التشبيه الضمني 98
التشبيه البليغ 98
المجاز 100
المجاز المرسل 100
الكناية 101
الكناية عن الصفة 101
الكناية عن الموصوف 101
المبحث الثاني (الموسيقى) 107
الموسيقى 108

أولاً: الموسيقى الخارجية 108
الأوزان 109
القوافي 114
قوافي مطلقة 116
قوافي مقيدة 117
عيوب القافية 118
الإيطاء 118
سناد التوجيه 118
الإقواء 119
ثانياً: الموسيقى الداخلية 119
التصريع 120
رد الإعجاز على الصدور 120
الجناس 121
الطباق 121
المبحث الثالث (اللغة) 123
اللغة 124
الأفكار والمعاني 125
المعجم الشعري 132
الظواهر اللغوية 135
الأساليب البديعية 135
الاقتباس 135
التضمين 136
المبالغة 136
المقابلة 138
التقسيم 138
الترصيع 139
التكرار 139
تقليد القدماء 140

الفكاهة والصور الكاريكاتورية 140
الأساليب الإنشائية 141
الاستفهام 141
الأمر 141
النهي 142
النداء 142
التمني 143
الخاتمة 145
فهرس المصادر والمراجع 146
فهرس الموضوعات 151